

﴿ الرحلة الفليارية . بالملكة التونسية ﴾



تأليف الفاضل النحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلل من كبير لكبير . الاديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للمريضة
بلغنا الله كل امنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بنولس)

١٣٣٠
—
١٩١٢

Ibn al-Khujat, Muhammad

al-Rihlah al-Falhiyyah



صاحب القضاة مسيو فليار رئيس الجمهورية الفرنسية

صحيفة	فهرس الرحلة القليارية بالملكة التونسية
	الخطبة
٢	المقدمة وفيها كلام مستفيض يتعلق بنشأة الملائق السياسية بين فرنسا وتونس
١٩	الباب الاول في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبزرت واجتماعه بالحضر العلية واستعراضهما للاساطيل الفرنسية والانكليزية والاطليانية والاسبانيولية
٤٢	الباب الثاني في زيارة فخامته لحاضرة تونس وفيه كلام على زينة العاصمة ومواكب القبول واجتماعه بالمجلس الشرعي وزيارته للحضرة العلية بسراية باردو والمتحف العلوي والمستشفيات والمدارس واستعراض فخامته والحضرة العلية للوفود والجيوش بميدان القصر السعيد وتجول فخامته بجهات الخلاعة من احواز الحاضرة وحضوره موائد الكرام وتقليده لجملة من اوسمة الشرف والامتياز
١٢٦	الباب الثالث في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجم وافتتاح سكة حديد صفاقس وفيه كلام على تاريخ هذا القصر العتيق والاحتفالات التي اقيمت بتلك المناسبة وخصب البلاد الساحلية ووفرة عمرانها واحتفال اهالي سوسة بالحضرة العلية عند رجوعها من الجم
١٤٥	الباب الرابع في الكلام على جهة صفاقس وثورتها وغاية زيارتها ونفاق سوق الادب قديما بعاصمتها وزيارة فخامة مسيو فلييار

١-١٨-٤٧ ١٩ ٨٣

صحيفة	بقية فهرس الرحلة الفيلارية بالملكة التونسية
	لها ولاحوازا وفيه تصريحات عظيمة ناطقة بعمارة تلك الجهة ونشاط اهله ووفرة ثروتها
١٦٤	الباب الخامس في الكلام على قابس ووحدات النخيل وبر الاعراض ونفزاوة والجهات الصحراوية وعوائد واخلاق اهله وسمعتها في التاريخ القديم وفي القرون الاولى للهجرة الشريفة وزيارة فخامة الرئيس لقابس ووحداتها وقصر مدين
١٩١	الباب السادس في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتاوي وزيارة فخامة الرئيس لقفصة ومصانع الفسفاط وفيه كلام على ثروة الجريد وما يبطون ارضها من الكنوز الوفرة
١٠٧	الباب السابع في الكلام على سبيظلة واطلالها وغزوة المباداة وزيارة فخامة الرئيس لجهتها وقوفه معتبرا فوق آثارها البالية ومعالها الخالية
٢١٢	الباب الثامن في الكلام على القيروان وآثارها المباركة وشهرتها في العالم الاسلامي وزيارة فخامة الرئيس لمعالها ومشاهدها واحتفال اهليها احتفالا شاقا بجنبه العالي
٢١١	الباب التاسع في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية وفيه كلام على سمعتها في اسواق الادب العربية

صحيفة	بقية فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية
٢٤٠	الباب العاشر في الكلام على زيارة فخامته للجهات الفريية ولخرابات دقة وعودته من رحلته وقبوله لمراسم الوداع ورجوعه لفرنسا
٢٧٧	الخاتمة وهي فلسفة الرحلة الرئيسية وتحتوي على فصول
٢٧٧	الفصل الاول في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا ولتنوس
٢٨٤	الفصل الثاني في الكلام على هدايا الاكرام وشواهد الود والاحترام
٢٨٦	الفصل الثالث في عطايا الكرام
٢٨٧	الفصل الرابع في مصاريف الرحلة الرئيسية
٢٨٩	الفصل الخامس في عرايض التهاني وقصايد المديح
٢٩٧	ذيل يحتوي على اسماء الدوات والاعيان التونسيين المنعم عليهم باوسمة الشرف والامتيان
٣٠٠	عبارة الختم





صفحة	فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١٠	المقدس المرحوم علي باشا باي
٢١	الدارعة الفرنسية المسماة « الحق »
٢٣	جناب ميسو الابيت الوزير المقيم العام
٢٤	فخامة رئيس الجمهورية والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بميلا بنزرت
٢٥	نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية من البحر الى البر بنزرت
٢٦	فخامة الرئيس يقلد الاوسمة لضباط حامية بنزرت
٣١	الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت
٤٨	موكب فخامة الرئيس بيطحاه السفارة الفرنسية يوم دخوله لتونس
٤٩	فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته الوزيرية
٥٥	جناب الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال بتونس
٥٧	جناب الوزير المفوض مسيورا الكاتب العام للاداية
٥٨	جناب مسيولان الكاتب العام للامور الادارية
٦١	جناب مسيو ديپورت كاهية الوزير المقيم العام
٦٣	قبة بستان الخضراء بحديقة الباندير
٦٤	مدرج الاسود بمرآية باردو
٦٦	قاعة التشريفات الكبرى بمرآية باردو
٦٧	الحضرة العلية ووزرائها انفخام
٦٨	الحاشية الملوكية

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
٦٩	الصحن الكبير بمتحف باردو
٧٠	الشاعر فرجيل وهو ينظم الشعر
٧١	تمثال ايروس وهو آلهة العشق عند اليونان
٧٢	القسم العربي من المتحف العلوي
٧٢	فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو
٧٤	تختوان الشرف بمضمار استعراض الوفود بالقصر السعيد
٧٦	جموع المريدين ووفود الذاكرين من اهل الطرق
٧٧	جناب امير اللوا السيد محمد الصادق غيلب شيخ المدينة
٧٨	السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة
٨٠	فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من استعراض الوفود بالقصر السعيد
٨١	سراية السفارة الفرنسية بتونس
٩٨	موكب الحضرة العلية بشوارع تونس
١٠١	منظر من بلد جبل النار
١٠٤	المدرسة الصادقية
١٠٦	التلميذ سي صالح مزالي يخطب امام رئيس الجمهورية بالمدرسة الصادقية
١٠٩	السيد محمد القروي رئيس الخزانة العامة
١٠٩	السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة
١١٠	السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١١١	السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي
١١١	السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
١١١	المسيو فيتوسي العضو بمجلس الشورى
١١٤	جناب مسيو شارلتي المدير العام للعلوم والمعارف
١١٦	بهو الطاق العاوي بمرآة المملكة
١١٨	بطحاء القصباء بتونس
١٢١	راموز مصفر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملوكة
١٢٢	الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية
١٢٣	منظر من موكب الركاب الملوكة خارج الحاضرة
١٣٣	قصر الجم
١٥٠	البطحاء البلدية بصفاقس
١٦٥	ضريح سيدنا ابي لبابه الانصاري بقابس
١٧١	السيد محمد بن خليفه عامل الاعراض
١٧٢	واحة النخيل بقابس
١٧٣	قصر الحواف على مقربة من قصر مدين
١٧٤	مسكن البدو بقصر مدين
١٧٦	واحة دوز بصحراء نفزاوة
١٧٧	واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة
١٧٧	البرج الحربي بقبلي من عمل نفزاوة
١٧٨	كيف يحرقون الارض بقم تطاوين

صفحة	بقيّة فهرس النور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١٧٨	سوق بن قردان
١٧٩	مرسى جرجيس
١٨٠	منظر جهة غمراسن
١٨١	قصر بني بركة
١٨٢	برج التدهيات
١٨٢	برج الجنان
١٨٤	الشيخ محمد الحشايشي الشريف
١٨٩	فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدنين
١٩١	موكب فخامة الرئيس بين قابس والغربية
١٩٣	موكب فخامة الرئيس بالمكناسي
١٩٧	موكب اقتبال فخامة الرئيس بقفصة
٢٠١	فخامة الرئيس وحاشيته بالمتلوي
٢٠٢	محلات شركة الفسفاط بالمتلوي
٢٠٦	السيد احمد اللوثو عامل الجريد
٢١٠	فخامة رئيس الجمهورية واقفا على اطلال سيطلت
٢١٥	استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية بالقيروان
٢١٨	بيت الصلاة بجامع عقبة بن نافع
٢٢٠	مشهد الامام السيوري
٢٢١	باب الجلادين بالقيروان

صحيفة	بقية فهرس الصور والر - وم الواردة في هذا الكتاب -
٢٢٢	نهج الحجامين بالقيروان
٢٢٣	مدخل قصباء القيروان
٢٢٣	جامع عقبه بن نافع وصومعته
٢٢٥	المحراب والمنبر بجامع عقبه بن نافع
٢٢٨	ماجل بني الاغلب بالقيروان
٢٢٩	منظر داخلي من زاوية سيدي ابي زمعة البلوي
٢٣٠	منظر خارجي من الزاوية المذكورة
١٣٢	قصر الرباط بسوسة
٢٢٣	ضريح الامام يحيى بن عمر الكناني
٢٣٤	الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسي اليها
٢٣٥	موكب تقليد الاوسمة بسوسة
٢٣٦	السيد البشير صفر عامل سوسة
٢٣٨	موكب فخامة الرئيس عند مبارحته سوسة
٢٤١	فخامة الرئيس متوجها للجهات الغربية
٢٤٢	مدافن قدماء البرابرة بشواط
٢٤٣	قنطرة مجاز الباب
٢٤٥	الجسر الروماني بقريش الواد
٢٤٥	هيكل عطارد بعين طنقة
٢٤٦	مواجل البرابرة بتوكار
٢٤٧	صومعة جامع تستور

صحيفة — بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب —

منظر من بلد السلوقية وصومعتها	٢٤٨
جامع تبرسق	٢٤٩
السيدة تاج البخت ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروبن	٢٥٢
الجامع الاعظم بالكاف	٢٥٤
منظر من بلد سوق الاربعاء	٢٥٥
رسم اصلي من عريان جندوبة	٢٥٥
ضريح روماني بعمل الشحية	٢٥٦
شجرة الفران التي كان اهالي خمير يقدمون اليها التدور	٢٥٧
موكب الخطب بسوق الاربعاء	٢٥٨
جامع سوق الاربعاء	٢٦٣
مساكن اهل الكهوف بريئة	٢٦٤
بلد عين الدراهم	٢٦٥
مقطع المرمر بشتو	٢٦٧
مدينة باجة	٢٦٩
السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة	٢٧٢
المرقع شانه سيدي المنصف باي	٢٧٥



﴿ الرحلة الفليارية . بالملكة التونسية ﴾



تأليف الفاضل النحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلل من كبير لكبير . الاديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للمريضة
بلغنا الله كل امنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بنولس)

١٣٣٠
—
١٩١٢



الحمد لله الذي جعل الأرض سفرا بديعا يسفر عن أعمال البشر
وآثارهم . وحوادثهم واخبارهم . وكل مملكة منها صحيفة كبرى من ذلك
الكتاب الجليل . تدرس فيها احوال الامم في صعودهم وانهط اطلهم
واخلاقهم وعوائدهم جيلا بعد جيل . فانبثت همم اولي العزم والعقل .
والزمامة والفضل . الى ركوب الاخطار . واقتحام لجج البحار . في جوار
منشآت كالاعلام . لنوال هذا المقصد الهام . وجوب الفدا فد الشاسعة . والمفاوز
الواسعة . لتقف على تلك الاسفار الجميلة التي خطتها يد الزمان . وتستطلع
من غصونها فنون العرفان . حرصا على تنوير الازهان . وترقية مدارك
الانسان . واكتشافا لما عرض للامم في بداوتهم وحضارتهم . واجتماعهم
ومدنياتهم . من المجد الانيل . والشرف النبيل . والمعارف المتسعة النطاق .
والعمران الممتد الرواق . وضد ذلك من سقوط وجهالة نزال بالانسان الى
الحضيض . ولم يترك البريق استعدادا للمطر من وميض . والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الذي امر في غير ما آية بالسير في الارض . والسعي في
مناكبها بالطول والعرض . وعلى آله وصحبه الذين كثرت اسفارهم .
وارتسمت في جبهة التاريخ آثارهم . فكانت سيرتهم قدوة صالحة لها اعمال
ناجحة . لهذا وقد دعاني عشق التاريخ وحب تخليد الانار . وتطوير
صفحه بيض الايادي الغزار . خصوصا ما يتعلق برجال الامة التي لها على

هذه البلاد حماية اسدلت ذيولها . وايداد تتابع هطولها . وما يمدد العاقل
 المحنك من قبيل خدمة البلاد . ومنبت الاباء والاجداد . بتدوين الحوادث الهامة .
 التي لها تعلق شديد بالمصالح العامة . ان افرد بكتاب مستقل حادنا تاريخيا
 عظيما . واحتفالا شاقا عميما . بمناسبة زيارة الرجل العظيم . والهام الكريم .
 فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية مسيو فليجار للمملكة التونسية . امثل
 فيه للقاري رحلة جنبه متد بارح باريس . الى ان حل بآخر نقطة من
 المملكة في موكبه الانيس . وما قبول به من الحفاوة والاحلال . من
 لدن سمو ملكنا المعظم ذي المهابة والجلال . وما اقيمت له من مراسم
 الافراح . وآيات الانبساط والانشرح . ترحابا بالضيف الجليل . في كل اقامة
 ورحيل . بما يرهن على ان الامة التونسية تعرف الجميل . وتشكر
 الفضل الجزيل . ويشاهد فيه المطالع مناظر من تلك المواكب الرسمية .
 والابنية والانار التاريخية . وقد شفعت هذا الغرض المهم بما سقته من
 توار يخ بعض الآثار الخالدات للرومان . وتخطيط بعض شاهير البلدان .
 في عهد الدول الاسلامية . ليكون القاري على بينة من اهمية هذا
 القضية . وان رحلة كرحلة فخامة رئيس الجمهورية لاتخلوا من مغزى
 سياسي عميق . ضرورة انها رحلة اكبر رجل لدولة نصبت على هذا
 البلاد حمايتها . وبواتها عدلها ورعايتها . فيجب على اولي الاباب . من
 مشاهير الكتاب . ان يجعلوها صحيفة من تاريخ البلاد . ولا غرو اذا اطلوا في
 موضوعها النجاد . فدونك ايها القاري صحائف لم تسود الابيض الاعمال . وماثر
 الرجال وانما قصدت بها خدمة التاريخ والوطن . والله عز اسمه المستعان
 تحريرا في صفر سنة ١٣٣٠

محمد بن الخوجة





مقدمة

من المعلوم ان المملكة التونسية في كفالة الحماية الفرنسية منذ
الاثين سنة وان ماوكها توارثوا ود الجنس الفرنسي خلفا عن سلف سيما
في عهد البيت الحسيني السني ففي الدواوين التوتونية ما يويد ذلك ويشعر
بان تلك العواطف لم ينفرها الشعب بل اخذ منها اهل الطبقات العالية
حظهم وفي مقدمتهم اهل العلم والادب اذ ادرك المتسابقون منهم في ميدان
التريقات الفكرية معنى المدينة الفرنسية الصحيحة وامتدحوها نظما ونثرا
قديما وحديثا

ومن تتبع اخبار الامم البالية والعهود الخالية يجد هنالك ما لفرانسا
منذ ازمان متقدمة من الاقبال على خدمة العلم والادب وهذا ولي لدين ابن
خلدون شهد بذلك حيث قال في مقدمة ديوان العبر وتاريخ المبدأ والخبر
ما نقله عنه بحروفه وهو قوله عند التعرض للكلام على العلوم العربية
واصنافها ونص محل الحاجة منه قوله : كذلك بلغنا لهذا العهد (اواخر المائة
الثامنة) ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنج من ارض رومة وما اليها
من العدو الشمالية (فرنسا) نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة
ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكررة اه فانت
تري ان هذا الامة التونسية ادركت منذ احقاب بعيدة ما لجارتها قوية
الساعد من الامتياز عن بقية الامم النصرانية في خدمة الاداب والعلوم العقلية
حتى ان ذلك الاحساس اخذ يتاصل ويتأكد مع ادوار الزمن واختلاف
حوادثه السياسية لحد صيرورته كامر مرغوب فيه عند اهل النظر واصحاب

المظاهر والحيثيات الرسمية الذين سعت حكومة تونس في تهذيبهم وتدريبهم على المساعي الجسيمة والمشروعات الخطيرة مثل رجالها ووزرائها السابقين واللاحقين بتكليفهم بالاسفار والسفارات لدى حكومة فرنسا للقيام بمهمات الاعمال وتأكيد العلاقات الودية بين الجانبين

واقصى ما امكن العثور عليه في التواريخ التونسية ولا فرنجية من اخبار علايق فرنسا بتونس ان اول معاهدة انعقدت بين فرنسا وتونس هي التي وقع الاتفاق عليها بين السلطان المنتصر الحفصي والملك فيليب الجسور اثر موت ابيه لويس التاسع الشهير بسانت لويس الذي قدم على عهد الحروب الصليبية لغزو تونس سنة ٦٦٨ ومات بالطاعون وسط اطلال مدينة قرطجنة القديمة حيث اقامت له دولته بعد نحو ستمائة سنة كنيسة باسمه تخليدا لذكرا في هاته الارض التي كتب الله عليها ان تدخل تحت حكم فرنسا لا بتلك الطريقة التي نواها سانت لويس وخاب سعيه فيها ولكن بطريقة المسالة المبنية على تبادل المصالح بينها وبين الامة التي ارخت عليها سدول حمايتها المنية

فبعد ان اخذت البلاد التونسية حظها من السؤدد والعز والقوة والمنعة وتحكمت ازمنا طويلة على البحر المتوسط حينما كان جسمها خصبيا وشرائنها ملانة بدم الحياة بتاصل الثروة والعمران الطافح في ربوعها الزاهر بالتجارة الرابحة وبانوار العلوم التي جعلت لها المقام الاول بين امم العالم الاسلامي اخذ امرها في الاندبار سنة الله في عبادة فتحوّل قوتها للضعف ثم للمرض ثم للهرم ثم لمعاناة آلام الفوضى والفاقة والجهل مدى الثلاثة القرون الاخيرة وهي مدة الفترة التي كان فيها لاوروبا يد عاملة بالبلاد التونسية فضربت

عليها بسيطرتها الشديدة الى ان جعلتها كريشة في مهب الريح تأتية بين
 الخوف والرجاء وهذا دورها الاول في علاقتها مع فرنسا وان شئت قلت مع
 دول اوربا جمعا وكان رفع الستار عن الدور الثاني من روايتها التاريخية
 هو احتلال فرنسا للجزائر ثم نهوض اوربا من سباتها العميق الذي دام
 قرونا عديدة فركزت فرنسا بارض افريقيا قدمها ركوز من ينوي الخلود
 والتحقت الولاية الجزائرية بممالكها وجعلتها المحور الذي تدور عليه رحا
 سياستها بافريقيا الشمالية مع مراعاة حقوق الجوار ولكن مع تتبع حركاتها
 وسكناتها بدون توان ولا استدبار وذلك حفظا لناموسها بين الاقوام وصيانة
 لحقوقها من تلاعب الايام وكانت يومئذ علائق فرنسا بتونس مبنية على
 النصح من جهة وعلى اعتبارها ضمن منقطة النفوذ الفرنسي من جهة
 اخرى حيث اصبحت المملكة التونسية بطبيعة موقعها الجغرافي متممة
 لدائرة السياسة الفرنسية بافريقيا الشمالية وآخر العهد بهذا الدور الثاني
 تهيأة اسباب حلول الدور الثالث الذي هو نصب الحماية الفرنسية وما نشأ
 عنها من مشروع المصالحات المادية والادبية بالمملكة التونسية بيدان ما
 قدمت في هذا التمهيد الوجيز يحتاج طبعا لبيان

كنت فيما قبل احسب ان استحكام علائق الوداد بين فرنسا وتونس
 واعتماد الثانية على الاولى في شئونها السياسية كان ابتداءا اثناء دولة
 المرحوم حسين بن محمود باي وهو الامر الذي اشرت له في السنة الخامسة
 من الرزنامة التونسية (راجع صحيفة ٤٠) فعثرت بعد ذلك اثناء ابغاثي
 المتواصلة في احوال هذه الديار على ما ينبأ بتقدم صلات الود بين الطرفين
 اذ لدينا الان حجة ناطقة باعتماد تونس على فرنسا في نظاماتها الاساسية من

عهد المرحوم الباي علي بن حسين بن علي تركي رابع امير تولى عرش الملك الحسيني بتونس وهذا الحجة هي عبارة عن مكتوب رسمي صدر في سنة ١٧٧٧ (سنة ١١٩١ للهجرة) من لويس السادس عشر ملك فرنسا خاطب به علي باي المذكور بموافقته على جعل ابنه حمودة باشا ولي عهد له تقديما على من كان اسن منه من ذرية آل الحسين واليك عبارة ترجمته عن النص الفرنسي

فرساليا في ٢٨ افريل سنة ١٧٧٧

ايها المولى العظيم الطائر الصيت

نعلم سموكم بامثال ببعوثكم سليمان آغا لدى حضرتنا لقضاء المأمورية المكلف بها من قبل حضرتكم وقد تلقينا بمظاهر الالتفات والتكريم وتسلمنا منه المكتوب الذي ارسلتموه الينا كما تسلمنا منه الاسارى والخيول والاسود والاكسية التي وجهتموها لبلاطنا الملوكي على وجه الهدية وقد كان قبولنا لما ذكرنا بقلب منشرح وسرور زائد ولاجله اهديكم شكراتي الفايفة عن مقاصدكم الحسنة وليس في نظرنا شي مستوجب للسرور اكثر من هذا المظاهر الودية والمواطف الشريفة الدالة على تعلقكم بذات حضرتنا وهذا الاحساسات تدلكم على اهتمامنا الصادق بمصالحكم كما تبين عن مرغوبنا في زيادة احكام الصلات بين الفرنسيين والتونسيين وتشهد بحسن التفاتنا واعتبارنا العظيم اليكم فهذه الشائرنوكدها لكم اليوم من جديد هذا وقد علمنا كيفية الاسابوب الذي رتبتموه لجعل وارثة الملك بدمكم لابنكم البرنس حمودة واتنا نهنتكم بذلك ونحقق لكم اتنا سنكون دائما

• سرورين بكل امر يسركم ويسر انبا بيتكم والمسؤل من الله ان يشملكم
ايها المولى الكريم بحراسته القدسية

الامضاء لويس السادس عشر

فانت ترى يارعاك الله ما لهذا المخاطبة من الاهمية الكبرى اذ هي
تمس اعظم ركن اساسي بالدولة التونسية ولا شك انها نتيجة تقاليد سياسية
متبعة تقدم تمهيدا قبل عصر علي باي لان علايق الدول تزداد ارتباطا
او فتورا بطريقة التهمية والتحضير لا بالوسائط الدفعية لانها تكون في
الغالب عقبة وتلك تكون مصحوبة دائما بالنجاح وفي المثل العربي
« مع الثاني السلامة ومع العجلة الندامة »

ثم ان تلك العلائق الودية بين فرنسا وتونس اخذت تتصل بعد علي
التوالي فمن جهة بتقلص ظل السلطة العثمانية بشمال افريقيا ومن جهة اخرى
بنمو نفوذ فرنسا والتفاتها للاستعمار بالشمال الغربي الافريقي حتى ان
غزا الملك كارلوس العاشر عمالة الجزائر اوائل سنة ١٢٤٦ بلغ امير تونس
امصرا وهو حسين بن محمود باي ان بعض المفسدين اشاعوا عليه مقاصد
سيئة نحو الدولة الفرنسية فضاطب قنصلها بتونس لدفع ذلك عن نفسه
وصرح له بقوله « قد جهد بعض الناس في ان يؤولوا بتاويل كاذب ما في
قلبي مع اني جاهرت بمقصودي واعتيت باشهاره فلا بد حينئذ ان اصرح
بان مرادي ان استمر مجتنباً عن الفريقين عند الحرب على ان مناي ان يكون
النسر للامة الفرنسية اذ هي اصدق احلاف بلادي واشدهم قوة وعلى
تقدير ان السلطان الاعظم يشهر الحرب على فرنسا لما يقال فاني لا اريد
عن ذلك الحياد ولو جاءني من الدولة العثمانية مائة فرمان يدعوني لما كسة

فرنسا حليفتي فاني لا اطيع لها امرا ولا اسمح لاحد بتلبية نداءها لحمل السلاح ضدها على اني عليم بان خطتي هذا تعرضني لخطر جسيم ولكن اذا نزل ذلك بي اسلم امري للامة الفرنسية وليس احد اشوق مني الى معاقبة عدوها الظالم ذاي الجزائر » اهـ

وهذا السياسة البالغة في الودحد الغاية مع فرنسا هي التي اتبناها كل من تولى مقاليد الملك بعد المرحوم حسين باي فان اخلا المرحوم مصطفى باي هو اول من تنازل عن التقاليد القديمة التي منها تقبيل الراحه الملكية عند اقتبال الباي لقناصل اوربا وذلك ارضاء لقنصل فرنسا وكذلك ابنه من بعده احمد باشا فانه كان حليفا للملك لويس فيليب وكان هذا الملك محل اعتمادا ومرجع استشارته ناهيك بما لا قالا به سنة ١٢٦٢ من مظاهر التفضيم والتعظيم كما كان يفعل مع ملوك اوربا عند اقتباله لزيارتهم ولم يصدده في تلك الاونة اعتراض سفير الدولة العثمانية عن اعتبار ضيفه ملكا مستقلا لا يحتاج في قبوله لواسطة لان العلاقات بين فرنسا وتونس انما كان عقدها وتاييدها من اقدم الازمان راسا بدون توسط اية دولة بينهما (راجع الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٣)

ولما مات الامير احمد باي في رمضان ١٢٧١ ورثه في الملك ابن عمه المرحوم محمد باي والد سمو ولي النعم اميرنا الحالي ابقى الله ملكه مدا الايام والليالي وكان على قدم سابقه في مودة فرنسا وزاد في احكام الارتباط بها بالعمل بنصيحتها في تاسيس النظمات وترتيب القوانين المعروفة بمهد الامان اوائل سنة ١٢٧٤ وكان واسطة ذلك الربط السياسي المتين هو المستعرب الدائم الصيت القنصل جنرال ليون روش وهو رجل صاحب حنكة

وتجربة وصفه المورخ الوزير الشيخ احمد ابن ابي الضياف بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » وخدم دولته في بلاد الاسلام ٣٢ عاما قضاه متفاناً بين الشرق والغرب في تأييد شوكة امته بين الاقوام الاسلامية وتلبس مدة بالاسلام وتخلق باخلاق اهله وتعلم لغتهم وكتب فيها وقد وقفت له على جملة رسمها بخطه على لائحة تمهيدية لقانون عهد الامان هذا نصها نقلتها تأييدا لما ذكرنا آنفاً واليك هي عبارتها « صح من كتابه بيده الفانية عبد ربه سبحانه ليون روش قنصل جنرال الامبراتور ومتولي امور فرنسا في عمالة تونس » وقد زاد الشيخ ابن ابي الضياف في وصفه « بانه كان خبيراً باصول الملة الاسلامية » ولا يبعد ذلك لان الرجل كان صاحب فطنة عظيمة في الشؤون السياسية مكنته من ممارسة ملوك المسلمين ومن حج البيت الحرام حيث رمى بنفسه في المضارب القرية من المهالك كل ذلك تأييدا لسياسة دولته واعلاء لكلمتها بافريقية الشمالية فكان اول فرنساوي خدم المصالح الجنسية بالبلاد الاسلامية خدمة حفظ التاريخ ذكرها وكانت هي الاساس الثمين الذي بنيت عليه دعامة هيكل الحماية الحاضرة - هذا ولم تزد الحالة ارسوخاً وثباتاً على عهد المرحوم محمد الصادق باي فانه افتتح ملكه باداء زيارة الوداد والاحترام للامبراطور نابليون الثالث عند قدومه للجزائر اوائل سنة ١٢٧٧ وكان سفره لتلك الزيارة بمساعدة اهل الحل والعقد بدولته انظر ما قال في ذلك العلامة المفتي والشاعر المفلح المرحوم الشيخ محمود قبادو الشريف من قصيدة بليغة مخاطباً بها ذلك الامير عند عودته من الجزائر وهذا مطلعها

ريبع مع جيبك قد اطلا على افق الجزائر فاستهلا
ومنها مشيرا الزيادة الامبراطور ولحكام رابطة الوداد معه
رعى له الجوار وكان حقا عظيما رعيه شرعا وعقلا
واكدت المودة وهي عهد تضم لفرض عهد السلم نقلا
ويا الله ما اهدلا رايا والطفه مجاملة ونبلا
ويا الله من سمى كفيل بحفظ جوارنا ظعننا وحلا
ولا برح التزاور مستجدا ولا سيما لاهل الملك وصلا
سيحمد غبه من ليس يدري ويعلم انه ما كان بطلا

وكان في استحكام روابط الولاء بين الدولة الامبراطورية والدولة
الصادقية هزة حسد من الامم الاروباوية الاخرى المجاورة للقطر التونسي
فاخذ رجال سياستها يسمون جهد المستطيع في حل عرى تلك الروابط
ولكن دولة فرنسا العلمية بقوتها الوثيقة بسطوتها لم تتحمل تلك المنافسة
فاخذت تؤيد مشروع سياستها جهرا بواسطة خارجيتها في اروبا وبواسطة
نوابها بتونس ومن اقواهم سميا لذلك قنصاها العام مسيور سلطان الذي ارتقى
اثر نصب الحماية لخطه وزير مقيم لدى الحكومة التونسية ولذلك لما آن
اوان الاحتلال الفرنسي كانت المملكة التونسية متاهية ومتهيلة بطبيعة
الزمان لتلقي مشروع الحماية بامان واطمينان وكان في مقدمة الموافقين
على قبول الحالة السياسية الجديدة امير البلاد ورجال دولته واهل العام
وقد اسفر صبح الحماية الفرنسية عن استقرار الراحة وتامين الناس على
النفس والعرض والمال وبسط وجوه الرفاهية والعمران بسائر الجهات ووافق
ذلك التحاق صاحب الدولة الصادقية بالدار الاخرة وطلوع هلال الملك

العاوي بصمود شقيقه وولي عهد الامير المرحوم علي باي على عرش اسلافه
الاكرمين في اواسط ذي الحجة ١١٩٩



﴿ المقدس المبرور علي باشا باي ﴾

(وهو اول ملك حسيني تلقى التقليد من الدولة الفرنسية)

وهو ثالث عشر باي من آل المولى حسين بن علي مؤسس ملك البيت
الحسيني السني في عام ١١١٧ وكان ارتقاؤا للملك لما قدمنا في ١٦ حجة
١٢٩٩ وبمجرد انتصابه على عرش اجداد المقدسين اهداه فخامة رئيس
الجمهورية جوقة الشرف الفرنسية وخاطبه بتلفراف نص عبارته
« لما كان مرادنا في هذا الوقت الذي دعيت فيه للولاية عوض اخيكم

سيدي محمد الصادق ان نعطي لسموكم علامة ظاهرة على ما لنا من المودة
والوئوق نحوكم وجهنا لكم الصنف الاكبر من نيشان اللجون دونور
وان وزير الدولة الجمهورية مسيو كمبون يقد حضرتكم باسمنا هاتما
الرتبة الرفيعة فلتقبلها حضرتكم العلية توثقة لربط الاتصال بين الملكتين
التونسية والفرنسية »

وباتر الولاية تفرغ هذا الامر لاصلاح حال رعيته واجراء التنظيمات اللازمة
ببلادها وافتتح ملكه باصدار عفوه الكريم لعموم العصاة الذين شقوا عصا الطاعة
في وجه الدولة الصادقية عند انتصاب الحماية وآذنههم بالرجوع لوطانهم
ورد عليهم املاهم كما اسقط بقية الغرامة الحرية على اهالي صفاقس الذين
ندموا عما صدر منهم من المجاهرة بعصيان الدولتين الحامية والحماية فتمتع
الكل من حينهم مثل كافة اخوانهم التونسيين بمرحمة الدولتين الحامية والحماية
ودام ملكهم عشرين سنة كانت كلها ايام راحة وهناء وكان من اكبر المساعدين
له على تحسين الاحوال بما يناسب الزمان والمكان ووزير الخطير الشيخ
محمد العزيز بوغفور المتوفى في مستهل المحرم سنة ١٢٢٥

وفي الخامس من ربيع الانور ١٣٢٠ اتقى المرحوم محمد الهادي باشا
باي لكربي المالك عوض والد المقدس وعلى عهدا زار فخامة مسيو لوبي
الحاضرة التونسية اوائل سنة ١٣٢١ واقام بها ثلاثة ايام كانت كلها واسم
بواسم وبارحها بعد ان ابقى بين اهاليها الذكر الجميل ودعى اميرها لزيارته
بباريز فرد له الزيارة في صائفة العام التالي وكان اقبال مسيو لوبي لسيدي
محمد الهادي باشا باي باكمل مظاهر الاجلال والتعظيم واحضره بجانبه
في موسم عيد الجمهورية واستعرض الجيش الفرنسي تحت انظاره وبالغ

والدولة الفرنسية في اكرامه بما انطق لسان الامير المرحوم بالشكر الجميل
ودام ملك سيدي محمد الهادي باي اربعة سنين والتحق بربه ليلة اليوم
التاسع عشر من ربيع الانور سنة ١٣٢٤ وفي مساء اليوم المذكور تلقى
مولانا الامير العالي التقليد الملكي وارتقى على عرش اسلافه الاكبرمين
قبل البيعة من رعاياه الصادقين المنزلين منه منزلة الابناء المطيعين وابتهجت
لولاياته البلاد واتشرفت لذلك قلوب الجموع والافراد واليك خطاب تنصيب
سمو العالي بلسان عمدة الدولة الجمهورية بتونس

يامولاي المعظم

بناء على مغيب جناب الوزير المقيم العام قد كلفت بان اترجم لحضرتكم
العلية عن شعائر الاسف الشديد الذي الم بالدولة الجمهورية لوفاته سيدي
محمد الهادي باي وقد كان سموه كوالده الجليل اصدق مساعد للحكومة
الفرنسية هذا وقد مر ربع قرن على ما بين الامة الحامية وتونس من
الارتباط المحكم تحققت اتناولا سعادة الايالة ونمت خيراتها وكذلك سيكون
ملك سموكم موسوما بالسعد وال عمران - وبالنسج على منوال اسلافكم في
التعلق بفرنسا سيتم بمساعدة حضرتكم مشروع العدالة والتعدن والتقدم
المناسب الذي قاموا به والذي هو عنوان الامارة في نظركم العالي

واني اقلد حضرتكم الولاية في هذا الجمع المشهود باسم الدولة الفرنسية
والتمس من سموكم ان تقبلوا تهنئاتي الدانية وفي هذا المقام يروق لي ان
اوكد لمقامكم ان حضرتكم العلية سيكون لها في جناب الوزير المقيم العام
خير مساعد على القيام بالولاية الجليلة التي آل امرها اليكم لحسن حفظ
المملكة التونسية

وقد اجاب سمو الامير عن تلك التصريحات العالية بالخطاب الجليل
الآتي نصه

ياجناب المتمد السفير

لقد تأثرت تأثيرا حسنا من الاحساسات التي اعرب لنا جنابكم عنها بالنيابة
عن الدولة الفخيمة الفرنسية وارغب منكم ان تبلغوا لها غني تشكراتي
الخاصة وان تحققوا لها ونوقي بفرنسا حسبما هو غير خفي على علم جنابكم
وساقتني بصدق نية وحسن طوية اعمال المرحومين ابن عمنا وعمنا واستمين
الله في بلوغ المرام في ذلك وارجوا سبحانه وتعالى ان يوقني الى تسديد
مقاصدي مع الاستعانة المستمرة بعمدة الدولة الجمهورية الفخيمة على
ما فيه نمو الخير والسعادة والتقدم المادي والادبي للايالة التونسية اهـ

وهذا الجواب الشريف يدل على ما لسمو صاحبه من عاو المدارك
وسلامة المقاصد وطهارة النية وحب الخير لمملكته واهلها فذلك جاءت
مقاصد سموه موافقة بكل معاني الكلمة للمشروع الخيري الذي انتهجته
فرانسا بتونس وجريا على قاعدة هذا الود الراسخ اعرب فخامة مسيو فليار
رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي في اوائل العام الفارط عن مرغوبه
في زيارة المملكة التونسية التي كان زارها اواخر المحرم سنة ١٣٢١
في صحبة سلفه الموقر جناب مسيو لوبي رئيس الجمهورية السابق على عهد
المرحوم سيدي محمد الهادي باي وتحفظ لها على ذكرى الوداد والمجاملة
شان النفوس الكريمة كما تقدمت الاشارة لذلك فتأقت الدولة الفرنسية
باجمها مرغوب رئيسها الهام بعلايم البشر والاحترام واحتدت من شهر مارس
الموافق لاول ربيعي عام ١٣٢٩ في تحضير برنامج هذه الزيارة السعيدة

بمشاركة جناب الوزير مسيو الابنتيت المقيم العام بالحاضرة ولما استهل ربيع الاخر الموافق لشهر افريل من السنة الفارطة كانت وزارة الخارجية ووزارتا الحرية والبحرية بفرنسا قد اخذت التاهبات اللازمة لانجاز الرحلة الرئيسية بالعمالة التونسية وباتحاد مع مدير التشريفات عينت الدولة يوم ١٨ افريل ١٩١١ فاتحة زيارته للديار التونسية

وقبل ان نام باخبار هذه الرحلة التي كانت موسومة بالخيرات الوفيرة لما تخللها من نزول الغيث الجزيل بعد الضما الطويل ناسب ان نبتي اولابترين جيدها بترجمة مسيو فليار حتى تكون اخبارها مستوفاة من كل الوجوه ومعام ان هذا الرئيس الا بر من الرجال الذين حنكتهم التجربة بممارسته الطويلة لاسياسة العمومية بفرنسا فهو شيخ الدولة وعظيمها الموقر بسائر بلاد العالم المتمدن لانه الروح المتجسدة من فرنسا والمثل لامتها قاطبة لدى جميع دول الدنيا

اما ترجمة فخامته فهو مسيو ارمان فليار ولد في ٦ نوفمبر سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ للهجرة) وقد دخل ميدان العمل بصفة افوكات ييلد نيراك من المقاطعة المذكورة وولي عضوا بلديا بها سنة ١٨٦٨ ثم شيخ مدينة في سنة ١٨٧١ وولي العضوية بالمجلس العمومي بالمقاطعة المذكورة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٦ . وفي ٢٠ فيفري سنة ١٨٧٦ انتخب نائبا بمجلس الامة فكان واحدا من الثلاثمائة والثلاثة وستين نائبا وجدد انتخابه في سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٨١ وسنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٩ وفي تلك الاثناء ولي كاهية لوزير الداخلية والديانات في سنة ١٨٨٠ وكاهية لرئيس المجلس البلدي سنة ١٨٨٢ ثم وزيرا للداخلية سنة ١٨٨٢ و ١٨٨٣ في وزارة

المسيو دوكلير وكان مسيو جول غرينفي رئيس الجمهورية السابق كلفه بتأليف وزارة فالفها وتولى فيها زمام الخارجية ثم تولى في عدة وزارات زمام المعارف من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٥ فزمام الداخلية في سنة ١٨٨٧ فزمام العدلية من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٨٨ فزمام المعارف والديانات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٠ فزمام العدلية من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٨٩٢ دخل جنابه مجلس الشيوخ يوم ٨ جوان سنة ١٨٩٠ وجردد انتخابه للمعضوية به يوم ٤ جانفي سنة ١٨٩٧ ثم ولي رئيسا لمجلس الشيوخ يوم ٣ مارس سنة ١٨٩٩ وبقي بهذا المنصب العالي الى يوم ١٣ فيفري سنة ١٩٠٦ وعندئذ استقال من رئاسة مجلس الشيوخ لتولي رئاسة الجمهورية التي انتخب لها في اجتماع فرساي يوم ١٩ جانفي سنة ١٩٠٦

هذا وقد آن بنا الاوان ان نتكلم على محل الحاجة من هذا التأليف فنقول مقتبسا ما ياتي من الجريدة الرسمية للدولة الفرنسية ومن الأوراق الرسمية وما سمعته من المصادر الثقات وشاهدته بالعين وحضرته بالذات

تحرك ركاب فخامة مسيو فليار من باريس مساء السبت خامس عشر افريل ١٩١١ وكان في معيته من الوزراء ورجال الدولة الفرنسية كل من جناب مسيو دلوكاسي وزير البحرية وجناب مسيو بامس وزير الفلاحة وجناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالوسطة والتلغراف وجناب الوزير السابق مسيو كوشري العضو بدار الندوة وجناب مسيو رمندو باش كاتب رئاسة الجمهورية وجناب الوزير المفوض مسيو مولار مدير التشريعات الرئيسية وجناب مسيو فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر

الراية والقبطان البحري لوحى والكلونيل هلوت من معيني فخامة الرئيس ونجله
 مسيو اندري فليار وغيرهم من رجال الحاشية الرئيسية اما جناب وزير الخارجية
 فانه حال دون قدومه مع فخامة الرئيس تلبد سحب المسالة المغربية يومئذ
 باوروبا وكان من مرغوبه ان يرافق الجناب الرئيسى في رحلته فلما عرض
 له ذلك العارض ارسل من باريس تلفرافا لجناب الوزير المقيم العام يقول
 فيه انه بمزيد الاسف لا يستطيع مصاحبة فخامة رئيس الجمهورية اثناء
 رحلته بالملكة التونسية لوقوع هذه الرحلة في زمن لا يمكنه فيه الابتعاد
 عن الوزارة الخارجية ولذلك فانه يرغب من جناب الوزير المقيم ان ينهي
 اعتذاره لمقام الحضرة العلية

هذا وكان ارتحال جناب الرئيس ومن معه في رتل خاص سار بهم قاصدا
 نغز طولون على طريق مرسيليا بعد ان تلقى فخامته مراسم المواعدة
 والاحترام من وزراء الدولة ورجالها وقد وصل الرتل الرئيسى لمرسيليا
 ضحوة نهار الاحد الموالي لليامى السفر فتقدم للسلام على فخامة الرئيس
 الجنرال اندرى قائد مرسيليا العسكري وحيث لم يتقرر في برنامج الرحلة
 اجرا موكب قبل الوصول لطولون اكتفى فخامة الرئيس برد السلام على
 الحاضرين من عربته واقلع القطار بعد حين قاصدا طولون وكان الطقس
 جميلا والجوزاهايا بصحو الربيع فتسابق الناس لموقف السكة الحديدية
 واخذوا يهتفون بالدعاء لمقام الرئيس وللجمهورية واذاك نزل فخامته لقاعة
 الاستقبال بالمحطة التي كانت مزينة بالاكسية والرياش واليارق الفرنسية
 فتلقى مراسم السلام والاحترام من شيخ المدينة ومن حاكمها البحري ومن
 الجنرال قائد الفيلق الخامس عشر ومن عاملها واعضاء البرلمان الحاضرين

الحاضرين بها وبانفصال موكب القبول خرج فخامته من موقف السكة الحديد فصعدت لديه الموسيقى بالنشيد الوطني واطلقت القلاع مائة طلقة وطلقة مدفعية اشعارا بالسلام عليه واذاك تقدم فخامته نحو جبهة المعسكر الفرنسي وامتعرض الجيوش الضاربة هنالك وتكرم ببعض الاوسمة من درجات مختلفة على بعض الضباط والمساكر ثم توجه للقطور ومن بعدا قصد سراية المجلس البلدي بطولون وكانت رباع المدينة وشوارعها مزدانة بالرايات وبالاكاليل والناس في جدل وهيام لشدة فرحهم بالرئيس الموقر والمحبوب فحيلا عند دخوله للسرايا البلدية شيخ مدينة طولون وخطب لديه خطبا حماسيا اشار فيه لتوقد نيران الغيرة والحمية في قلوب الفرنسيين وتعلقهم تعلقا وثيقا بالنظامات الجمهورية التي يستمتتون دونها فاعجب فخامة الرئيس بهذا الخطاب الوطني المبرهن على تمكن النظام الجمهوري من المهج والقلوب وقال ان في جعل طولون مركزا افتتاحيا لسياحته الافريقية معنى لطيفا يرمي لما لفرنسا من العناية بهذا الثغر المنيع العزيز باساطيله ذات القوة والبأس

وبعد ان بارح فخامته المجلس البلدي قصد ساحل المرسى فركب على ظهر نسافة حرية بصحبة وزارته وحاشيته وقصد الدارعة المسماة « الحق » واذاك كانت كل السفن الراسية بعباءة الثغر من حرية وتجارية تخفق على اعاليها رايات الزينة والافراح وعند ما وطأت قدمه متن تلك الدارعة اخفق لئندانها فوق عمودها الاعلى راية رئيس الجمهورية وهذا الراية الخاصة بفخامة متولي الرئاسة هي الراية المثلثة الالوان بعينها سوى ان فوقها بالقلم الغليظ وباحرف ذهبية رمزا يشير لاسم صاحب الرئاسة

وادی نوتيتها السلام لجناحه واذاك تكرم فخامته فقلد الكمندان المدكور
وسام الكمندور من اللجيون دونور واتعم على بعض ضباط الدارعة باوسمة
من درجات مختلفة ثم امر فخامته بالاقلام والسفر فسارت الدارعة قاصدة
ميلا بنزرت مخفورة باسطول ضخيم سار حسب النظام الاتي ففي المقدمة
على اليمين والشمال الدوارع الآتية :

الوطن - الديمقراطية - رينان - العدالة - الحرية - سوفرين

وفي الوسط : الدارعة الرئيسية

ومن خلف الدوارع الآتية :

البيادي - التريور - البهاوان - الفارس - الباطة - القانص

اما المدرعة الرئيسية فكانت لامرأة الكمندان سان بير المستشار البحري
سابقا بسفارة فرنسا في رومة وهي ذات اربعة مدافع من اعظم طراز وبها
من النوتية ٧٤٢ بحريا وقوتها تبلغ الى ١٨٠٠٠ حصان

هذا وكان سير الاسطول بفخامته بحساب ١٧ ميلا بحريا في الساعة
فقضى في البحر ليلة سابع عشر ابريل ويومها وكان البحر في اول السير
هادئا والهوا عيلا ثم اعقب ذلك حدوث عاصفة شديدة في الليلة الثانية
التي اسفر صباحها عن وصول فخامته بسلام



الباب الاول

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبنزرت واستعراض الاساطيل بها

وهو اليوم الاول من رحلة فخامته (١٨ افريل ١٩١١)

قبل ان نتكلم على تفاصيل تلك الزيارة يجدر بنا ان ننقل للقاري نبذة من اخبار بنزرت وما كانت عليه في العهد القديم ليتمكن للمطالع ان يناظر بين ماضيها وحاضرها فمدينة بنزرت جاء ذكرها في معجم البلدان بهذا اللفظ الذي هو اسمها المعروف لهدنا هذا

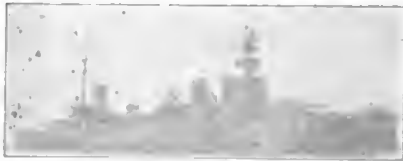
ولم ندر لما ذا رسمها الشيخ محمد يرم في رحلته صفوة الاعتبار بالفظ « بني زرت » فكانه توهم اتسابها لقبيلة او شبه ذلك كقولنا بني خلاد وبني حسان اما كلمة بنزرت فمحرقة عن لفظ « هيبوزارتوس » الذي هو اسمها في ايام الرومان وهي انجرت لهم من الفينيقيين قبل زماننا هذا بما يقرب من الفي عام وكانت يومئذ من ازهر نفور الاستعمار الروماني بافريقيا وبعد ان اخذ الرومان دورهم من العزوال ودد وتولى امرهم الادبار سنة الله التي لا تحول عاث البرابرة فيها بالتهب والفساد وساعدهم على اتمام تدميرها امة الوندال الذين توالى هجماتهم على شمال افريقيا بعيد المسيح فكانت بنزرت في القرن الرابع قبل الهجرة سائرة مع تيار الانحطاط وهكذا وجدها العرب عند قدومهم لفتح افريقيا بل وهكذا بقيت قرونا طوالا الى ان ورد عليها الاندلس من جالية عام ٩٠٠ للهجرة فحركوا رماها وفتحوا روح الحياة في ربوعها الدارسة واحداثوا فيها المصانع والغروس وعمروها بالبناءات ناهيك انهم اسسوا بها حومة تعرف ليومنا هذا باسم

« حومة الاندلس » الواقعة في قلب المدينة كما فعل اهل الجالية الاخيرة منهم بتونس على عهد يوسف داي (اوائل القرن الحادي عشر للهجرة)
وفي القرون الوسطى كانت بنزرت مكمنا لاهل اللوصية من قرصان البحر ولها في هذا الباب شئتان مع اساطيل البندقية التي كثيرا ما رمتها بالقنابل اخذا بالثار

ولبنزرت اهمية بحرية عظيمة يقال ان موقعها البحري من اهم البواعث على انتصاب الحماية الفرنسية على تونس لذلك كان هذا الثغر المنيع محط انظار الدوائر العسكرية الفرنسية من حين بسط اجنحة الحماية على هذه الديار فقد اتفقت فرنسا على استحكام ثغر بنزرت من المال ما دونه كنوز قارون واهتمت بهذا المرسى الاهتمام الذي جعل اليوم بنزرت في طليعة المراسي الحربية الاولى على لوحة الوجود باقرار كل موجود وفي صدر الحماية كان سكان بنزرت نحو خمسة الاف نسمة فبلغوا اليوم خمس مرات اضعاف ذلك وهذا يقطع النظر عن مدينة فريفييل المتولدة عنها والواقعة على بحيرتها بالقرب منها حيث مناخ اليد العاملة البحرية والحربية الفرنسية وقد اخذت مدينة فريفييل من سرعة التقدم ما جعلها على صفر منها مغمورة بالعمران ناهيك ان عدد سكانها يربو اليوم على العشرة الاف نفس

لاجرم ان مثل هذا التقدم الواضح المويد لسطوة فرنسا بين الامم هو الذي جعل بنزرت مما يقام لها ويقعد في دواوين الحكومة الفرنسية وكان ابنا جيلنا الحاضر لم يزوالوا على ذكر من الخطوة التي نالتها هذه المدينة لثمان سنوات فارطمة عند تشرفها بزيارة فخامة رئيس الجمهورية

السابق فكيف بها وقد نمتي تقدمها وتكاملت عدتها حتى صار ثغرها امنع
من عقاب الجويدلك عليه التصريحات العظيمة التي هي عنوان السياسة
الفرنساوية من جهة مصالح فرنسا الوطنية التي فبالها فخامة رئيس
الجمهورية عند قدومه للعمالمة التونسية كما سترأه قريبا
اما وصول الاسطول الرئيسي لميلا بنزرت فكان بكرة يوم الثلاثاء
ثامن عشر افريل ١٩١١



الدارمة الرئيسية المسماة « الحق »

وكان دخول الاسطول لبحيرة المرسى على الساعة السابعة صباحا
مصحوبا بمظاهر المهابة والاجلال فحيته في الحال الاساطيل الفرنسية
والانكليزية واليطالية والاسبانية التي سيأتي ذكرها وهتف نوتية جميعها
بالسلام واطلقت المدافع من المعامل والثكنات ومن الاساطيل المذكورة
واذاك تهب فخامة الرئيس لقبول سمو الحضرة العلية التي تقدم مجيئها
لبنزرت بكرة ذلك اليوم في رتل خصوصي مصحوبة بالوزراء الفخام
وبرجال الدولتين الحامية والمحمية وعندئذ ركب سمو الامير ونجله
البرنس سيدي المنصف باي وجناب الوزير المقيم العام وجناب الوزير
الاكبر وجناب وزير القام وكبار رجال الحاشية الملكية الطرادة الحرية

المسمات « هالبارد » وسارت بهم تحت الراية الحسينية نحو الدارعة
الرئيسية وعند صعود سموها اليها اخفق كمنذاتها بجانب الراية الرئيسية
اليرق الحسيني واذاك ادت الدارعة الحرية الراسية قريبا من هنالك
مراسم السلام لمقامه الموكي باطلاق احدى وعشرين طلقة مدفعية وعند
ارتقاء سموها للدارعة الرئيسية تلقاها براس المدرج جناب مسيو مولار مدير
التشريفات ورجال الحاشية الرئيسية وتقدموا بسموها نحو قاعة الاستقبال
حيث كان فخامة الرئيس في انتظاره وحوله وزراءه وكان مسيو فليار بكسوة
التشريف الكبرى وسمو سيدنا محمد الناصر باي بعباس الاعياد وعلى راسه
التاج الوهاج وصدره موشعا بالشرائط الاكبر الفرنساوي وبرقبته نشان
آل البيت الحسيني فاما دخل على فخامة الرئيس تلقاها جنابه بمظاهر
التعظيم والتكريم وبعد ان تصافحا مضافحة الكرام حيثما الحضرة العلية
بالمبارات الاتية تلقاها فخامته بمظاهر الشكر الجميل - قال -

اني اعد هذا اليوم من اسعد اوقاتي واني احقق لفخامتكم ان سروري
اصبح عظيما بقدوم جنابكم لزيارة هذه الديار التي في دنف حماية فرنسا
المنبعة

واني اقدم لفخامتكم عبارات التهنية القلبية وارجو من الله ان تكون
رحلكتم مشمولة بالراحة ومقرونة بالسرور

ثم تعرف كل من جنابها بحاشية صاحبه فقدمت الحضرة العلية
لفخامة الرئيس نجلها سيدي المنصف باي ووزيرها الاكبر ووزيرها
للعلم وقدم فخامته لسموها وزير البحرية ووزير الفلاحة والكاهية
الوزيرى للبوسطة والتلغراف وباش كاتب الرئاسة الجمهورية وبقية رجال

معيته ثم بعد ذلك جلس سموها فوق دسيتين توأمين فخيمن وتبادلا عبارات الوداد الراسخ بما دل على تمكن صلات الوفاق واستحكام روابط الألفة بين العنصرين المتحايين

وكان جناب الوزير المقيم اتنا ذلك محل التفات فخامة الرئيس فحيلا جنابه تحية الوداد وشكر همته عن ملازمته لمركزه العالي بالرغم عن الرزء العظيم الذي ألم به قبل ذلك بيوم اذ فقد اخاه بفرنسا



جناب مسيو الابتيث الوزير المقيم العام

ثم على اثر ذلك قدم على الباخرة الرئيسية الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي مصحوبا باركان حربه فادى لفخامة الرئيس زيارة الاكرام والاحترام وعلى اثره قدم الامير اوبري قائد الاسطول الطلياني مصحوبا باركان حربه وادى لفخامته مثل تلك المراسم ثم على اثره قدم القبطان ماركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية وادى لفخامته نظير تلك الواجبات وكان لزيارة هؤلاء القواد الثلاث احسن وقع في النفوس لما قاموا به نحو

فخامة الرئيس من مظاهر التوقير والتعظيم ثم بعد ان قدم فخامة الرئيس
روساء الاساطيل الثلاثة واحدا بعد واحد للحضرة العلية انتقل وسموها
على الساعة الثامنة للطراوة المسماة « الهرج » من اسطول بنزرت واستعرضا
عموم الاساطيل الفرنسية والاجنبية المتجمعة هنالك



فخامة الرئيس والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بمرأى بنزرت
فكان منظر ذلك في آن واحد بديعا ورهيبا لما تحكيه تلك المظاهر
النارية من معاني القوة وسلامة الاوطان وفي تلك الاثناء كانت المدافع تبرزق
وترعد بما يخيّل انها قد قامت القيامة والموسيقى تترنم باناشيد الفخار
والنوتية يهتفون بالدعاء

ثم بعد استعراض الاساطيل ركب فخامة الرئيس بوزرائه وحاشيته
زورقا حريبا وتوجه لرد الزيارة للاميرالات قواد الاساطيل الاجنبية فابتدا
اولا بالاسطول الانكليزي حيث ارتقى للباخرة الاميرالية المسماة
« سوفتزور » وزار الاميرال بوالمفود باسطوله من قبل دولة بريطانيا

العظمى ومن بعده زار الاسطول الطلياني حيث تلقاه على متن الدارعة « بنديتوبرين » الاميرال اوبري الموفود باسطوله من قبل دولة ايطاليا ثم ختم زيارة السفن الاجنبية بزيارة الدارعة « كتلونيا » الموفودة بقيادة القبطان ماركيس للسلام عليه من قبل دولة اسبانيا وبهاته المناسبة احسن فخامته بوسامات الشرف لضباط تلك الاساطيل فللاميرال الانكليزي بالصنف الاول من اللجيون دونور ولن سولا باوسمة من الدرجتين الثالثة والرابعة اما الاميرال الطلياني فحيث كان محرزا من قبل على الصنف الاول الفرنسي فقد اهداه فخامة الرئيس وعاء ثمينا من الفيروز يمثل شكل المرأة « المصلية » التي رسمتها يد المعلم كاربو النقاش المشهور

وبعدئذ عاد فخامة الرئيس من زيارة الاساطيل الاجنبية فركب والحضرة العلية ووزراؤهما رحاشيتهما الطرادة « الهرج » التي تقدم ذكرها وساروا نحو جبهة البر للتزول بينزرت



نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية الى البر

فنزل فخامته والحضرة العلية على نعمات النشيد الوطني الفرنسي وكان في استقبالهما كافة اهل الحل والعقد ولدى نزول فخامته البرادسل جنابه رسائل برقية للملك انكلتيرة وايطاليا واسبانيا في التشكر انيهم عن مشاركة اساطيلهم في الاحتفال بفخامته بمناسبة قدومه للبلاد التونسية مما يؤيد علائق الوداد بين دولهم والدولة الجمهورية ولا شك ان في قدوم تلك الاساطيل في الاوقات الحاضرة معنى سياسيا دقيقا لانها صادف اول مرة شاركت فيها اساطيل تلك الدول بالحضور رسميا في مظاهرات فرنساوية بالمياه التونسية

ثم تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامة الرئيس باولئك الدوات ومشى لموكب نحو جهة العساكر التي حشدت هنالك لاداء مراسم السلام والاحترام فتم عرضها فخامته ثم انعم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة على الكلونيل دونال قائد الطبجية وبأوسمة من الرتبة الرابعة على من دونه من ضباط البر والبحر



فخامة الرئيس يقد الاوسمة لضباط حامية بنزرت

وكان المقام جليلا لكونه عسكريا بحثا ترنمت خلاله مويسقى الجيش
 باناشيد الفخار وانشودة المرسلين الوطنية التي ما سمعها احد فيه نفس
 تتحرك بين جنبهيه إلا وداخله العجب وتحركت فيه دواعي الحمية وهذه
 الانشودة التي نظمها احد الوطنيين من الضباط الفرنسيين واسمها
 « روجي دى ليزل » في سنة ١٧٩٢ كادت ان تكون اشهر من نار على علم
 حتى انها قد اصبحت في زماننا هذا انشودة العالم المتمدن باجمعه ولا شك ان كل
 واقف على اخبار الدول واحاديث الملل ام يزل على ذكر من ان خلع السلطان
 عبد الحميد خان وقيام السلطان محمد خان الخامس كان على نعمات هذا التشيد
 بلسان حزب الاحرار من الامة العثمانية وقد اعتنى المرحوم رفاعة باشا الطهطاوي
 المتوفى سنة ١٢٩٠ بترجمة هذه الانشودة ورسمها في رحلته المشهورة وانا
 ننقلها عنه هنا اتساما للفائدة لان ذكرها سيتكرر مرارا بهذه الرحلة ودونكها بنصها

فهما يابني الاوطان هيا فوقت فخاركم لكم تهما
 اقيموا الراية العظمى سويا وشنوا غارة الهيجا مليا
 عليكم بالسلاح ايا اهالى ونظم صفوفكم مثل اللاالى
 وخوضوا في دماء اولى الوبال فهم اعداؤكم في كل حال
 وجورهم غدا فيكم جليا بنا خوضوا دماء اولى الوبال
 اما تصفون اصوات العساكر كوحش قاطع البيداء كاسر
 وخبث طوية الفرق الفواجر ذبيح بنيكم بظلمى البواتر
 ولا يبقون فيكم قط حيا
 (عليكم الى آخر الايات الثلاث)

فماذا تبتنى منا الجنود وهم همج واخلاط عبيد
 كذا اهل الخيانة والوغود كذاك ملوك بنى لن يسودوا
 تمصهم لنا لم يجد شيا
 (عليكم الى اخره)

لمن جعلوا السلاسل والقيود واغلالا واطواقا حديدا
 لاهل فرسة ليروا عبيدا وليس مرامهم هذا جديدا
 اما هذا عجيب يا اخيا
 (عليكم الى آخره)

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا من الاغراب ينفون ارتفاعا
 ويجري شرعهم فينا شراعا واتدال لديهم لا تراعى
 رعايا بل تكب على المحيا
 (عليكم الى آخره)

فسلم يا سلام من المذله فما نرضى بان نبقي اذله
 وياسرنا وقتيتنا اجله فريقت بالدراهم قد تولد
 فكيف وقدرنا اضحى عليا
 (عليكم الى آخره)

الهي كيف يقهرنا ملوك بسبل العدل ليس لهم سلوك
 واتدال للاستعباد حيكوا وما في الفخر يشركنا شريك
 ولا احد به ابدا حريا
 (عليكم الى آخره)

قل لهم ايا اهل المظالم وارباب الجرائم والمذنبين
 اما تخشون من تلك المحارم كذا اهل الخيانة للمكارم
 وظلمهم لقد بلغ الثريا
 (عليكم الى آخره)

احلوا الخوف نحوكم اماما وخلوا العدل عندكم اماما
 وتفضكم لموطنكم ذماما به تجزؤون ذلا وانتقاما
 وتكتسبون عند القوم خزيا
 (عليكم الى آخره)

فهاكم قد تمسكت الاهالي وسارت كلها نحو القتال
 لتفتحتم المهالك لا تبالي اذا ما مات ليث في النزال
 تولد ارضا شبلا صيبا
 (عليكم الى آخره)

صغير القوم منا والكبير يحب قتالكم فرحا يطير
 نحاربكم وليس لكم نصير وليس لحربنا اصلا نظير
 وحاشا فحولنا يلقون عيا
 (عليكم الى آخره)

لنا وطن به همنا غراما به تقوى عزائمنا دواما
 نعماننا ونخشي ان يضامنا وناخذ ثارا ممن اعامى
 وجاروان يكن ملكا عنيا
 (عليكم الى آخره)

لنا حرية في الكون تسمو تزيد اذا الحروب بدت وتنمو
تمتع عن بنهما ما بهم بها ثمرات نصرتهم تتم
على نعم المثاني والحميا
(عليكم الى آخره)

تموت عداتها موتا شنيعا اذا ما ابصروا عزا منيعا
يحوزحاتها مجدا رفيعا فويل للذي يبني الرجوعا
لرق يكتسى خطأ وغيا
(عليكم الى آخره)

سندخل سلك ارباب الجهاد كاسلاف لهم طول الايادي
وتنحونحوهم في كل ناد وثقفو فضلهم في كل واد
ونبلغ في العلى شأوا قصيا
(عليكم الى آخره)

نؤمل ان نكون لهم فداء وكل فتى بفخر النصرباء
وان لا بعدهم ببقى مساء اذا لم تنقم لهم العداء
وياخذ ثارهم من كان حيا
(عليكم الى آخره)

ولنرجع لحديث رئيس الجمهورية فنقول ان فخامته والحضرة العلية
واهل الموكب جميعا ساروا بعد على القدم بين سموط العساكر قاصدين دار
المراقبة المدنية بينزرت حيث تاقى فخامته مراسم التهنة والسلام من متوظفي
الادارات واساتذة التعليم ومن الهيئات الرسمية والمجلس الشرعي واعيان

النزلاء والاهالي وكانت دار المراقبة وشوارع المدينة تدرى عليها رايات الزينة والوجوه باسمة والقلوب فرحة مسرورة بحيث انه لما خرج فخامته والحضرة العلية من موكب القبول وسار ركابهما العالي نحو قاعة غذا الفطور بقمرك المرسى كانت الازقة والبطاح تتماوج بالخلائق والناس في جموع مولفة قد جاءوا من كل حدب ينسلون



الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت

ومما زاد ذلك المنظر بهجة وحسنا تقاطر جموع المريدين اهالي طرق الذكر من بنزرت والاعمال القريبة منها وكذلك عمد العربان وشيوخ احيائهم وفرسان قبائلهم فكان لاجتماعهم في صعيد واحد بصبايحمة الوجد وبخيالة النظام في ذلك الوسط المختلط اختلاط الجابل بالنابل منظر يعاكي يوم الحشر والنشر

وكانت قاعة الفطور مغشاة بالبسط الرفيعة ومجلاة بالبيارق الفرنسية والتونسية والانكليزية والاطليانية والاسبنيولية ومتوجة بالاسلحة من كل نوع

والمائدة مزينة بالزهور والرياحين وبالأواني الفخاوية من نوع الخزف التونسي فجلس فخامة الرئيس بصدارة المقام وجلس المقام الملوكي على يمينه فالاميرال اوبري قائد الاسطول الطلياني فجناب مسيو بامس وزير الفلاحة فجناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالوسط والتلغراف فالسيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت فجناب مسيو لوشري الوزير الاسبق فالبرنس سيدي المنصف باي فجناب سيدي يوسف جميعط الوزير الاكبر فجناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط فجناب مسيو بركلي قنصل جنرال انلكيرة بتونس

وجلس ليمار فخامة الرئيس جناب الاميرال بو قائد الاسطول الانكليزي فجناب مسيو دلكاسي وزير البحرية فالقبطان ماركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية فجناب مسيو الابيتت الوزير المقيم العام فمسيو انوكاهية المجلس البلدي بينزرت فجناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم فمسيو سيري كاتب مجلس الشوري فجناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا بتونس فجناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا بالحاضرة ببقية الذوات فمكاتبو الصحف الباريسية المصاحبون للركاب الرئيسيين فاصحاب الجرائد الفرنسية والطليانية بتونس فمدير جريدة الزهرة اليومية ببقية الاعيان بحيث بلغ عدد الجميع لنحو ثلاثمائة حضروا كلهم تلك المائدة الانيقة باستدعاء من المجلس البلدي بينزرت

وفي ختام الفطور استوى كاهية المجلس البلدي واقفا ونطق بخطاب حي فيه فخامة الرئيس وهنالا بالقدوم واقتبس من حضوره باسطول ضخم في ميلا بنزرت الدلالة على ما لفرنسا من العناية بهذا الثغر ثم استمنح من

فخامته استعمال وساطته الكريمة لدى جناب الوزير المقيم ليفسح المجال للتجارة بمرسى بنزرت وختم كلامه بالشناء على همة مسيو دلكاسي وزير البحر الذي ما انفك نصيرا لثغر بنزرت المنيع ثم شرب نخب فخامة الرئيس والحضرة العلية فصفق له الحاضرون

وتلا في الخطابة رئيس الحجرية التجارية بينزرت فاعرب عن تحمس وطنيته وغيرته وعما لمجلس التجارة من الرغائب والاماني والفت نظر مسيو فليار لاهمية موقع بنزرت من جهة التجارة القاضية بانشاء حوض خاص لوسق الفحم المستخرج من مقاطع الوزنة بالجزائر الذي يؤمل تحويل استصداره من الميلاء الجزائرية للميلاء البنزرتية ثم ختم خطابه بالدعاء للجمهورية ورئيسها بالسعادة والاعزاز وقام بعده مسيو سيري كاتب مجلس الشورى والقي الخطاب البليغ الاتي ملخصه

افتتح مسيو سيري خطابه بالاعراب عن شعار الفيرة والنخوة الوطنية التي شملت كافة الفرنسيين بالعمالة التونسية بمناسبة قدوم فخامة رئيس الجمهورية الذي هو راس الامة الفرنسية الحرة والمثل في اعين العالم المتمدن لشهامة ومجد الشعب الفرنسي

ثم تخلص لاسداء مزيد الشكر لجناب الوزرا واعضاء البرلمان ورجال الصحافة الفرنسية الذين شاركوا كل بما في طاقته على تأييد السيادة الفرنسية بالعمالة التونسية وعلى تحقيق سعادتها ونشر اعلام التمدين فوق ربوعها

ثم عرف الخطيب بما آل اليه امر بنزرت التي اصبحت ثغرها منيعا وصالحا
لايوا' اضخم اسطول في العالم كما يستدل ذلك من حضور الاسطولين
الانكليزي والاطلياني بجانب الاسطول الفرنساوي لاداء مراسم الاحترام
لفخامة رئيس الجمهورية

ثم قال ما معناه ان فرنسا احيت هذه الارض بفضل نشاط معمرها
فاصبحت جبهاتها تزخر بالخير كالبحور واصبح العرب اهلها في سعة من
الرزق يعيشون تحت جناح الامان والعافية

ثم اشار لادقاه موارد الزراعة فقال ان الشجرة المباركة قد مدت
اجنحتها فيما بين سوسة وصفاقس بحيث انه لا يلبث غير زمن قليل حتى
تصبح تلك الجهات مغطاة بظلها الوريث وهذا زيادة على ما قامت به
دولة الحماية من تمهيد السبل ومد سكك الحديد وفتح المراسي لتسهيل
التاجر واستثمار كنوز الارض التي منها مناجم الفسفاط الواقعة بعمل قفصة

ثم قال وبغاية جناب الوزير المقيم العام محل اعزاز كافة المعمرين قد
انتشر التعليم كما تم تاسيس جمعيات الاحتياط الزراعية التي اشتد بها ساعد
الاهالي والتي انتقدتهم من اضرار المجاعة والربى وهذا فضلا عما منحتهم
الدولة من التخفيض في ضريبة المجبى على التدريج وانتقل بعد ذلك
للالكلام على احتياج المملكة لقرض مالي فاستعطف من مراحم فخامة الرئيس
ومن وزراء الدولة الجمهورية واعضاء البرلمان الحاضرين ان يمدوا يد
المساعدة لانجاح هذا القرض الذي وافقت عليه لجنة الميزانية بهمة الوزير
المقيم العام اثناء اقامته الاخيرة بباريس

وفي الختام شرب الخطيب نخب فخامة الرئيس ودعا له ولفرنسا
بالسعادة وال عمران

واخيرا نهض فخامة رئيس الجمهورية فاستوى الحاضرون وقوا
والقى الخطاب العظيم الاتي نصه

سأدتي

انه ليسرني جدا اهداء المملكة التونسية سلام الاخوة من قبل فرنسا كما
يلذ لي جدا انهاء الذكر الحسن من قبل الدولة الجمهورية لسمو سيدي
محمد الناصر باي واتي لسعيد الحظ برفع كاسي على سلامة حضرته العلية
داعيا من صميم القواد بالسعادة لسموه ولبيت الحسيني

سأدتي

انكم على علم من مقدار الاهتمام البالغ الذي تسبّع به ارتقاء حمايتنا من
وراء البحر الفاصل بيننا واني لا اغرب على احد اذا قلت لكم ان ذلك الارتقاء
المتوالي عودنا على الاعتقاد بانه في هذا الصقع من ارض افريقيا حيث كان
مقر السيادة الرومانية في غابر الزمان ومناخ مدينتها التي اضافت بنورها
اطراف المعمور قد احببنا بمساعدة مواطنينا ابناء المنصر الهلي بعد انطواء
قرون عديدة طريق السلوك بهذا القطر نحو مدارج الثروة التي ستمو بها
قوة جميعنا لما سيعاظم بها مجدنا بين امم البحر المتوسط

وان الاشغال العظيمة التي قامت بها الحماية بمدخل بحيرة بنزرت
ليست بالقليلة الاهمية في جانب الخطوة الفسيحة التي مشيناها للامام افليس
لنا في هذا الحين نفسه شاهد عدل على ذلك في مشهد هذا الاحتفال بهذا
الشعر البسيم الذي هو كشاف طلائع المدينة والذي هو محل العناية بفضل

مناصرة ساكنيه على الخدمة في سبيل مستقبله الحسن - فلنسا بالذي تسمى هذا الاستقبال الباهر الذي واجهتنا به بنزرت واتي اشاكر لمعتمدها البلدي الذي خطب الان بين يدي ارق خطاب لما اتني على كافة اهاليها الجديرين كمعتمدهم المذكور بكامل العناية وادعوا للجميع بخير

وانه ليروق لي تدكر زيارتي اليكم سنة ١٩٠٣ في صحبة سلفي المعظم ولاجله فان رئيس مجلس التجارة الحريص على مصالحكم التي هي في المعنى مصالحنا قد صادف المرمى اذ اشار في خطابه البليغ للتصريحات التي وقعت في ذلك العهد وهي تصريحات نراها قد اثمرت عيانا بفضل اجتهاد اولئك الشجعان الذين غرسوا شجرة عظمتنا الاقتصادية والبحرية بهتلا الارض المختارة فاولئك الرجال ومن اعقبهم في العمل قاموا دائما بواجب الدمة وعليه فاقندا بتصريحات كاتب مجلس الشورى الفرنسي الذي مجد ذكرهم ا لون سعيد الحظ بتوجيه عبارات الامتنان بالنيابة عن الامة لكافة المعمرين والاهالي المقتخرين بتعاظمهم بفرنسا

سادتي

قد حصل لي ابتهاج عظيم من حسن القبول الذي حييتموني به فكان ارواحنا قد امتزجت بارواحكم او كان نفخا من روح الجمهورية بعث لضفتي البحر المتوسط ليجعل اخلاصنا رسيخا لشرائع وتعاليم ومقاصد وطننا العزيز العظيم واتي اراكم قد ادركتم ان الغرض من رحلتي هذا اليكم ليس هو الاكتفاء بالتفحح وبنعيم السياحة بل القصد منه القيام بعمل افع لكم والينا - نعم اتني جئت لارى واسمع واحفظ ما يقال لي

وان الوزراء اعضاء الدولة الفرنسية جاءوا ايضا لهذا الغرض نفسه
فمردنا ان نستطلع الاحوال بانفسنا وان نماسكم بالدات لنسمع مباشرة من
افواهكم ما هي احتياجاتكم وما هي رغائبكم وجوابنا عنها سيكون
ليس بالمواعيد الفارغة لانه لنا اليقين بان زيارتنا هذه سينتج عنها الخير
لمشروع الحماية الذي قد نما واتمروكم من تقلبات في طريق الاصلاح
قد حصلت هنا في ظل رايتنا اثنا هذه الثلاثين سنة

هذا وبالجمع بين بحيرة بنزرت والبحر الكبير قد اصبح في طوعكم
ان تمكنوا عند الحاجة اقوى السفن الحربية من الالتجاء لمهرب مستعصم
كهذا او من مساعدتها على اي اصلاح بهذه المعامل البحرية المستكملة
النصاب

واني اهني نفسي معكم بقبول زيارة السفن الحربية الجميلة التي
اوفدها ثلاث دول عظمى احبة لياهمك الزاهية حدوا احد اساطيلنا العظيمة
ونعني بها تلك المدرعات التي رضيت غيرتي الوطنية بالسلام على اعلامها
المظفرة اثنا الاستعراض البهيج الذي وقع تحت نظري في هذا الصباح
فادلة الاعمال المحمودّة التي نشأت عن الحماية قد اصبحت تقوت
العصر بسائر جهات المملكة ومن ذا الذي في وسعه ان ينكر المحسوسات
فالفرنساويون الذين كانوا في عدد سبعمئة ايام معاهدة باردو قد تجاوزوا
اليوم الاربعين الفا ومساحة اراضي الزراعة التي اتسم نطاقها بفضل
احياء الارض الموات اصبحت تربو على ثلاثة ملايين هكتارا وقد كان
الهكتار من الارض في سنة ١٨٨١ يتراوح بين خمسة فرنك وخمسة عشر
فرنكا فصار اليوم يتراوح بين المائة والخمسين والثلاثمائة واصبحت قيمة

الرباع في المدن مما يملكه الفرنسيون تبلغ على التقريب الى مائتين وعشرة ملايين وفي مدينة تونس حيث نحل هذا المساء قد بلغت البناءات التي وقع تشييدها في السنين الاخيرة الى نسبة بنائة جديدة في كل يوم ومن حيث الكنوز المعدنية قد منحت الدولة من تاسيس الحماية الى اليوم ٤٢ مقطعا معدنيا يستخرج منها بنسبة خمسمائة الف طنلاطة من الحديد والتوتية والرصاص مقابل مليون وثلاثمائة الف طنلاطة من الفسفاط

وقد امتدت الطرقات لسائر الجهات فحل حولها العمران والثروة واصبح طولها لا يقل عن اربعة آلاف ميل بعد ان كان اربعة اميال لا غير في سنة ١٨٨١ وهي عبارة عن الطريق الواقع بين باردو وتونس وبلغ طول شريط السكة الحديد الى الف وستمائة ميل تسير فوقها الارثال الان واما قريب سيرتفع هذا العدد الى الف ميل

وخاتمة القول في هذا الباب فتح اربعة مراسي عظيمة تامة العدة تتجاوز حركة تجارتها مليوني طنلاطة

وقد كان نمو الحركة التجارية على التدرج والتوالي فبعد ان كانت بنسبة ٧٦ مليونا من الفرنكات في سنة ١٨٨٤ صارت بنسبة ٢٢٣ مليونا ونصف المليون في سنة ١٩٠٩ ينوب منها المتاجر الفرنسية وحدها ١١٩ مليونا من الفرنكات اي على نسبة ٥٤ في المائة من المجموع وذلك بعد ان كانت حصة فرنسا في سنة ١٨٨٤ على نسبة ٣٥ في المائة وقيمة متاجرها نيف وستة وعشرون مليونا لا غير

ولقد كان في الوسع الاكتفاء بهذا النتائج لو كانت حياة الأمم متوقفة على مجرد استثمار مواردها الاقتصادية وحدها إلا أن هنالك قوات وموارد أخرى معنوية من المتأكد استخدامها قبل كل شيء لتدعيم هيكل الحماية على أساس متين

إن الحماية لم تهمل شيئا من الأمور التي تحوم حول مديد المساعدة لكافة المستظلين برأيها من جميع الملل والنحل فقد اعانتهم على التعليم لتثقيف افهامهم وعلى معرفة واجباتهم لاتباع طريق الرشاد وعلى اعلاء مداركهم لتوطيد عرى الوفاق بين بني الإنسان

وفي هذا المقام يلزم اسداء الشكر لمدارس التعليم ولأساتذتها الجديرين من كل وجهة بوثوق الاباء والامهات لانهم لم يبخلوا باوقاتهم ولم يضخوا بعنايتهم ولا باجتهدهم للقيام باموريتهم الشريفة ذات المصاعب الكثيرة كما يلزم الثناء ايضا على مشروعات الاعانة العمومية والمستشفيات ونظائما التعاون والاحتياط والقروض الزراعية وبعبارة افصح يلزم ان نمجد كل صنيع من شأنه ان يطرد عن هذا القطر المصائب التي تالم منها جسده في الماضي كالجوع والربا والوباء

والخلاصة ان هذا النور المتزايد الذي اشرق على هذا القطر انما هو بفضل ذكاه فرانس الكريمة فتدلك يسوغ لنا جميعا الابتهاج بما قد حصل ومن العدل ينبغي ان نلهج بشكر سمو الحضرة العلية عن مساعدتها العالمة لمشروعاتنا في كل حين كيف لا وفضائلها وحبها لصنائع الخير وصدقتها لفرز اوجيل ميلها لنواب الجمهورية وتعاضدها اياهم لم يحم الشك حولها قط زيادة على ما لسموه من علو المثال الذي جعله قدوة تعلم الناس مثلا

كيف يعتني امير في قصره بالوقوف بنفسه على تربية وتعليم انجاله
 هذا ولا يسوغ ان تنسى ايضا ما هنالك من المشاركة الحسنة التي قام
 بها النزلاء الاجانب وهي مشاركة ناطقة بشواهد تعلقهم بهذه الايالة وبالهياة
 القابضة على ازمة امورها فلتتشكر عن ذلك لرجال الجالية المالطية ولرجال
 الجالية الطليانية القوية والقديرة التي عملت كثيرا في سبيل النهضة
 الاقتصادية والتي بحسن سلوك ابنائها قد زادت في توثيق عرى الوداد بين
 فراسا وإيطاليا

فهذه الحقائق المؤثرة تبشر بالبلوغ لاسمى المقاصد الوطنية ولذلك ارفع
 كاسي على سلامة الديار التونسية واشربه بافتخار على سعادة عصرها الحاضر
 وبامان على مستقبلها الحسن كما اشربه تشريفا وتكريما للملوك المحترمين
 الذين اوفدوا نوابا للسلام علي بميلا بنزرت اعرابا عن ودادهم العالي نحو
 فرنسا التي يزداد اعتبارها لهذه المظاهر الودادية لكونها سادرة من اولئك
 الملوك القابضين على مستقبل امهم العظام والساهرين كفراسا نفسها على
 تايد السلام العام وعلى خدمة الانسانية

وبعد انتهاء الخطاب الرئيسي اديرت فناجين القهوة على الحاضرين
 وكانت الساعة الواحدة اذذاك بعد الزوال فقام فخامة الرئيس والحضرة
 العلية وركبا عربة الطبخية وركب المدعون عربات اخرى وسار الموكب
 بين هتاف جموع لا تحصى الى المرسى فر لب فخامة الرئيس والحضرة العلية
 ووزراؤهما ورجال حاشيتهما الطرادات المسماة « الهرج » « الآفة » الذكر
 وقصدا دار الصناعة بسيدي عبد الله الواقعة بداخل بحيرة بنزرت على بعد
 اثني عشرة ميلا من المدينة فلاقاهما الاميرال كوف قائد اسطول بنزرت

ورحب بقدميهما وسار في خدمة ركبهما على معنى افادتهما بما احتوت عليه
 الترسخانة من الذخائر والمصانع والمعامل المدفعية والعدة التي بها اصبح
 بنزرت مرسى حريا بحريا امنع من عقاب الجو وكانت الحضرة العلية
 تظهر اذاك مزيد اهتمامها بسماع تلك الافادات الفنية كما اظهرت كامل
 عنايتها عند مشاهدة عرض الاساطيل التي تقدم ذكرها وكان الحوض
 المعد لصنع وقذف النسابات الغواصة محل اعجاب سموها وباستيفاء زيارة
 محلات الترسخانة عاد الموكب قاصدا البرفادت طائفة من العساكر البحرية
 مراسم السلام وصدحت مويستقامهم بالحن « النوبة » الخاصة بها وعزفت
 دفوفها وطبولها واذاك نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية والوزراء وبقية
 الذوات على مقربة من محطة السكة الحديد بينجة وركبوا في نحو الساعة
 الثانية ونصف بعد الزوال قطارا خصوصيا سار بهم قاصدا الحاضرة التونسية
 ولما وصل الرتل لماطر وقف الموكب هنيئة ريثما تلقى فخامة الرئيس
 مراسم السلام والاحترام من عامل المكان ومن شيوخ وعمد الاهالي ومن
 اعيان المعمرين وكان اذاك موقف السكة يتماوج بافواج الاهالي يتقدمهم
 جموع المريدن واعلام زواياهم تخفق فوق رؤسهم ومحلات المحطة مزدانة
 بالرايات والاكاليل على ابدع اسلوب فابتهج فخامة الرئيس لاحفال
 الجميع بمقدمه وشكر بالخصوص معمرى عمل ماطر وقال انه سيصدق بالثناء
 على كدهم وجدهم عند عودته لفرنسا فهتف القوم حينئذ بالدعاء لفخامته
 وبعد ان تلقى مراسم الاحترام من اعيان الاجانب بماطر ثم من اعيان
 الطائفة الاسرائلية ركب الرتل فتحرك قطارا وجد في السير الى ان بلغ حاضرة
 تونس على الساعة الخامسة مساء

الباب الثاني

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية للحاضرة التونسية

(اصيل يوم الثلاثاء ١٨ من افريل سنة ١٩١١ ويوم الاربعاء ١٩ منه)
 قبل قدوم فخامته للعاصمة المحروسة كانت الحاضرة التونسية قد
 اخذت اهبتها لاستقباله بما يليق بسامي مقامه وبما يناسب فخامة الملك
 الحسيني ويشهد بتعلق الدولة المحمية بالامة الحامية فتجلت يومئذ حاضرة
 تونس لزارها الكريم في اجمل مظاهر الزينة ولبست من الحلي والحلى كل غال
 ونمين وكانت الاعلام الفرنسية والتونسية والاجنبية خافقة على اعاليها
 وسكانها في جذل وهيام لفرط ما حصل لهم من الفرح بالرئيس الهمام
 ولا بدع فاهالي هذه البلاد لهم سمعة حسنة منذ القديم في ضروب القرا
 والتكريم

وانجازا لذلك المرغوب اتخذ المجلس البلدي الوسائل الكافية لتحقيق
 راحة السكان ووفود المتفرجين المتسائلة اعدادهم من الوف عديدة سيما
 من جهة مرور العامة والعربات بشوارع واتهاج تونس فاصدر جناب شيخ
 المدينة ورئيس المجلس البلدي قرارا في ترتيب السير مدلا اقامة فخامة
 الرئيس الكريم بالحاضرة وهذا نصه بمبارته

نحن امير اللواء محمد الصادق غليب رئيس المجلس البلادي بتونس

قرونا ما ياتي

الفصل الاول - لايسوغ مرور الترموايات وانواع العربات في الايام
وبالجهات الاتي ييناها

يوم الثلاثاء ١٨ افريل ١٩١١ - ساحة المحطة ونهج الصادقية ونهج
انكلترا ونهج ايطاليا وشارع فرنسا وساحة السفارة العامة ونهج هولاندا
وشارع جول فري وشارع باريس وذلك من الساعة الرابعة الى السادسة مساء
يوم الاربعاء ١٩ افريل - ساحة السفارة العامة وشارع جول فري
وشارع باريس وشارع مدريد والطريق الذي بين باردو والقصر السعيد
وساحة ونهج باب سعدون ونهج الحلفا وشارع لندرة وذلك من الساعة
الثامنة صباحا الى الزوال مساء

في اليوم المذكور - ساحة السفارة ونهج الصادقية ونهج الجزيرة
وشارع باب الجديد وشارع باب منارلا وساحة القصبه من الساعة السابعة
الى الساعة الحادية عشر مساء

يوم الخميس ٢٠ - ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة
المحطة من الساعة السادسة الى الساعة السابعة صباحا

يوم الثلاثاء ٢٥ افريل - ساحة المحطة ونهج الصادقية وساحة السفارة
العامة بين الساعة السادسة والساعة السابعة مساء

يوم الاربعاء ٢٦ افريل - ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة
المحطة بين الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة والساعة ٨ و ٣٠ دقيقة مساء

الفصل الثاني - لايسوغ ايضا مرور المشاة بوسط ولا بجوانب الانهاج
والشوارع المذكورة آنفا في الاوقات المبينة

الفصل الثالث - لكوميسارات واعوان البوابس ايام ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ افريل ان يحجروا مرور التراموايات والعربات والمشاة بالجهات التي يقتضي نظهرهم اخلاؤها لحفظ النظام والامن العام

الفصل الرابع - في جميع الانهاج والطرق العمومية وفي الايام والساعات المذكورة آنفا يحجر امام الدكاكين وخصوصا القهاوي وضع الموائد والكراسي والابناك والعربات وغير ذلك من الاشياء التي من شأنها ان تعطل المرور العام كما يحجر التعلق بالاشجار وان يوضع بالشرافات او بحافات السطوح اشياء من شأنها ان تعرج المارين وكذا نشر الثياب او غيرها ولا يسوغ ايضا رمي ورق الكونفيتي ولا شرائط الكاغد ولا باقات الزهور او غير ذلك ولا اطلاق الشماريخ

الفصل الخامس - رتبة الكوميسارات واعوان القوة العامة مكافون كل فيما يخصه بتنفيذ هذا القرار

تونس في ١٥ افريل سنة ١٩١١

الامضاء - محمد الصادق غيلاب

كما ان دولة الحماية اتخذت من جهتها الاحتياطات والتاھبات اللازمة لانجاز مواكب الرحلة الرئيسية بكل ما يناسب فخامة ضيف ائمة التونسية وساعدها على تحقيق ذلك المرغوب كتابة الدولة العامة فاصدرت لادارات الحاضرة وحكامها والمراقبين والعمال منشورات مستوفاة البسط لرسم خطة كل منهم ومن ذلك برنامج بالقلم العربي في بيان كليات وجزئيات

الرحلة المذكورة وزعته على اعيان الحاضرة والعمالة وهو البرنامج الذي
 شرحناه وبسطناه فتكون منه هذا التاليف واليك نص المصكوب المتعلق
 بالفرض الذي وضع لاجله

تونس في ١٦ افريل ١٩١١

سيدي الوزير المقيم العام

اني اتشرف بان اقدم لجنابكم تذكارا لزيارة فخامة رئيس الجمهورية
 عشرينسخ ضمنها اثنين على ورق جميل من البرنامج العربي للافراح
 العمومية التي ستقوم بها المملكة التونسية اكراما لصاحب الفخامة سيدي
 رئيس الجمهورية المعظم

ونعرفكم ان هذا البرنامج الذي ستولى الكتابة العامة توزيعه
 مجانا على الهيئات الاهلية ووجوه واعيان المسلمين يدكر قرا لا بما هو متعلق
 في الاذهان من الوفاق الذي لم ينفك متواصلا بين الفرنسيين والتونسيين
 وحينئذ فالقصد من وضعه هو تلمين الامة الاسلامية بما هي متبهاة اليها
 للغاية يعني الاحتفال والاستظهار بشعائر الاخلاص نحو فرنسا اثناء زيارة
 فخامة مسيو فليار لحاضرة تونس ولندن العمالة

اما تحرير هذا البرنامج المستكمل من كل الوجود فقد اوكلت امره
 للسيد محمد بن الخوجبة رئيس قسم المحاسبة بالادارة العامة
 وتفضلوا يا جناب الوزير الخ

الامضاء - بلان

هذا وعند : ول فخامة الرئيس والحضرة العلية من القطار كان في انتظارهما بمحطة السكة الجنوبية رجال الدولتين الحامية والمحمية فالمجلس البلدي يتقدمه رئيسه وكاهيتا فروسا الادارات وكواهيهم فعامل احواز الحاضرة فالعمد والاعيان من سائر الطبقات واذاك شرف فخامته والحضرة العلية قاعة الاستقبال بالمحطة وكانت آية في الزينة والتنميق وبمجرد استوا فخامته والحضرة العلية بصدارة المقام اطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة اشعارا بالسلام على فخامته وفي تلك الاثناء تلقى مقامها العالي مراسم السلام والاحترام من كافة الحاضرين ثم تقدم مسيو بروسست احد كاهيتي المجلس البلدي وهنا فخامته بالخطاب الاتي

يا فخامة الرئيس

ان حاضرة تونس تهنيكم بالتقدم المبارك واهلها يشكرون لفخامتكم عن تشريفكم اياها بالزيارة ولقد حينناكم لسنوات فارطمة اذ جئتمونا واتم رئيس مجلس الشيوخ فبقي لذلك باذهائنا اجل ذكرى والان نفتتم هذه الفرصة للاعراب لفخامتكم باسم الفرنسيين سكان العمالة جميعا عمالنا من التعلق والاخلاص بالدولة الجمهورية التي بالرغم عن ابتعادنا على ارضها بقينا من ابر بنينا - هذا وستطلعون بانفسكم على المجهودات التي توخيناها لترقية وعمران هذا القطر الذي مدت عليه فرنسا جناح حمايتها فاجابه فخامة الرئيس بمبارات الاستحسان وشكر سعيه

هذا وحيث كان مسيو بروسست الكاهية المشار اليه وجناب شيخ

المدينة السيد محمد الصادق غلب رئيس المجلس البلدي من المحرزين من قبل على اوسمة عالية في اللجيون دونور ولم يكن الكاهية الاخر مسيو دومرق مميزا بالوسام المد لور فقد استحضرة فخامة الرئيس في ذلك الموكب والبسه وسام الشرف من الدرجة الرابعة

ثم انتظم الموكب وخرج من المحطة فركب فخامة الرئيس والحضرة العلية عربة الرئاسة الجمهورية التي هي من طراز دومون وكان يجرها اربعة من اجياد خيول عساكر الطبجية وجلس امامها جناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام و جناب مسيورمندو الباش كاتب بقصر الرئاسة وركب في العربة الثانية والثالثة وزراة الدولتين وركب بقية الدوات والمديرون ورجال العاشيتين ببقية العربات وسار الموكب في ابته واجلاله بين سموط الماسكر مخفورا بالعساكر الخيالة وبصبايحية الاوجاق وكانت مراسم السلام يوديهما الجيش ابتداء من طابور عساكر الزواف و انتهاء بفرقة عساكر العسة الموصونة وكانت الموسيقى تترنم بنشيد المرسلين ثم بالسلام الملوكي الحسيني وهكذا سار الموكب مخترقا للالوف المتسلفة من المتفرجين والهاتفين من كل الملل والنحل على ممر الركاب العالي يبطحاء السكة الحديد فنهج الصادقية فنهج انكلتيرة فنهج ايطاليا حيث مناح الزينة فشارع فرنسا الرحيب النضير فساحة السفارة الفرنسية ولدى حلوله وسط الساحة ترنم تلاميذ المدارس وكانوا متجمعين هنالك في زهاء الالفى تلميذ بانشودة حماسية من نظم الاستاذ شانفير في تهنئة الضيف الكريم والرئيس الفخيم وفي الحث على التعاضد والتاخي والتوادد بين الاقوام مما سيقى له ذكر على كر الشهور والاعوام

موكب فخامة الرئيس بيطح السفارة التونسية يوم دخوله المدينة تونس



ولما دخل الرئيس لدار السفارة تواضع فخامته مع الحضرة العلية فعاد سهوها في رتل خصوصي لقصر المرسى وتاهب جناب مسيو فليار لقبول مراسم التهنئة والاحترام من اهل الحل والعقد ومن اعيان الحاضرة التونسية . وحينئذ انتظم موكب القبول فكان واسطة عقد لفخامة الرئيس وحوله وزراره ورجال حاشيته



جناب مسيو دالحكي
وزير البحرية



جناب مسيو رمنكو
بنش كالب رامة الجمهورية



جناب مسيو مولار
مدير الترخيمات

(٤٩)

واذاك تقدم للسلام عليه المشايخ اهل المجلس الشرعي بالمدھيس
وبعد ان صافحهم فحذاته مصافحة الكرام التي فضيلة شيخ الاسلام على
مسامحة الخطاب الاتي اذنا الى الفرنسية في الحال جناب مسيو بلان
الكاتب العام للامور الادارية
يا فخامة الرئيس

قدمنا اليكم نحن شيوخ المجلس الشرعي تدعونا داعية واحدة ويجمعنا
غرض متحد وهو ابداء شواهد الاخلاص في الترحيب بمقدمكم الفاخر
والاحتفال بزيارتكم السامية التي يحق لي ولهم بصفتنا نوابا عن الشريعة
الاسلامية ان نعلق عليها كل امل في دوام احترام شعائنا الدينية ورعاية
العوائد المبني عليها المتقنين اقتضا اوليا زيادة توثيق واحكام روابط
التعاقد والاتحاد بين دولة الجمهورية الفخيمة ودولة سمو اميرنا المعظم
ونمو الكفالة الصادقة بمساعدة القطر واهله كما هو الامر الذي كتبته
على نفسها دولة الجمهورية السامية وحفظ لها فيه الذكر الحسن ولم يزل
قول عظمائها يبتنا وعملهم في سبيله الهام يؤيد احدهما الآخر ومن المؤكد
ان زيارتكم هاته للقطر التونسي تجدد وتحيي في قلوبنا ما لنا من الامان
في دولة الجمهورية التي ينوب عنها فخامتكم والوثوق بولائها اي احيا
وتجديد وحصول بحول الله على مفيد

فاجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

اني لمبتج من شواهد الاخلاص التي صرحتم بها الينا باسمكم وبالنيابة
عن اهل المجلس الشرعي وليكن جنابكم على يقين من ان الجمهورية

الفرنسوية ستستمر سائرة كما في الماضي على قاعدة احترام عوائدكم
وشعائركم الدينية وعلى زيادة احكام الروابط الناتجة عنها بين الدولتين
بفضل المساعدة على ترقية هذا الملكة من الوجبتين الحسية والمعنوية
وان الاهتمام بمصالح وعقائد الامة الاسلامية الذي برهن عليه جناب
الوزير المقيم العام في كل المناسبات هو اوثق لفيل ووضح تأكيد
يمكنني تقديمه اليكم

وان فطنتكم العالية ورايكم الصائب سينتج عنهما بلا ريب المعونة
التي لا انفس منها للمشروع الذي نحن بصدد
فتلقى الشيوخ تلك التصريحات النفيسة بمظاهر الشكر وانصرفوا
بكل توادد ووقار

قال في الجريدة الرسمية للدولة الجمهورية (العدد المورخ في ٢٠
افريل ١٩١١) يصف هيئة المجلس الشرعي عند قدومهم على فخامة
الرئيس « والمجلس الشرعي عبارة عن محكمة موسسة على قواعد القرآن
(الشريف) يرأسها شيخ الاسلام الذي هو الامام الديني لمسلمي العمالة
التونسية وكانت رؤس اهل المجلس متوجة بعمائم ضخمة واطلست من
الكشيمر العالي وعلى هامتهم برائيس بيض وجوخ حريرية من افخر ما يكون »
هذا وعلى اثر خروج الشيوخ من السفارة ابتدا موكب القبول
الرسمي للهيئات النظامية فتلقى فخامته اولاً مراسم التهئة والاحترام من
توطئي السفارة الفرنسية والمراقبة المدنية بتونس ثم قدم له جناب
الوزير المقيم الهيات الاتية على الترتيب الاتي

قناصل الدول بتونس

الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال

المأمورية المالية الفرنسية بتونس

مجلس الشورى

العدلية الفرنسية

حجرة التجارة

حجرة الفلاحة

اركان الحرب بجيش الاحتلال

ضباط الجيوش

الكتابة العامة للامور العدلية

الكتابة العامة للامور الادارية

ادارة المال العامة

ادارة الاشغال العامة

ادارة الفلاحة والتجارة

ادارة البوسطة والتأجير

ادارة العلوم والمعارف

وفي اثناء اقتبال فخامته للهيئات المذكورة القيت على مسامعهم عدة
خطب وتهنئات قناصل الدول هنولا بالقدوم فردا فردا واعربوا لفخامته
عن كامل احترامهم للدولة الجمهورية وقد اثنى فخامته عليهم وصافحهم

مصافحة ودية ومجلس الشورى بقسميه الفرنسي والاهلي عند تقديم
مراسم ولائه واحترامه القى كآبه الفرنسي خطابا في الاعراب عن تعلق
رقائه بام الوطن وعن اخلاصهم في خدمة المصالح العامة وعن رغائب
المجلس التي ترمي الى طلب التوسيع في نطاق نفوذه ليكون قائما بواجباته
نحو الفكر العام الفرنسي وقد اجابه فخامة الرئيس بالثناء على غيرته
الاعضاء الفرنسيين واهتمامهم بمصالح البلاد التونسية ثم قلده في ذلك
الموكب احد الاعضاء وهو الم فوكات مسيو دلماس وسام الشرف الفرنسي
كما ان رجال العدلية الفرنسية عند تقديم مراسم احترامهم القى
عميدهم جناب القانوني مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنسية بتونس على
مسامح فخامة الرئيس خطابا نفيسا اشار فيه لاتفاق غريب وهو مرور ٢٨
عاما لاتزيد ولا تنقص على ما بين تاريخ تاسيس العدلية الفرنسية بتونس
وحفلة هذا اليوم كما اشار لنشأتها في هذه الديار بمساعدة الدول الاروباوية
التي تنازلت لفرنسا عن محاكمها القنصلية وبتكرم سمو باي تونس الذي
تنازل لها عن جزء عظيم من سلطته الحكومية بما دل على صدق مودته نحو
الدولة الفرنسية وقد اجابه فخامة الرئيس بانه ممن خدم العدلية وشب
وشاب في حبها فقد خدمها بصفة وكيل وساسها بصفة وزير

ولما امتثل رئيس حجرة التجارة بين يده عرض على مامع فخامته
اماني ورغائب التجار الفرنسيين واكد له عناية العنصر الفرنسي بالعنصر
الاهلي وتدريبه على الكد والعمل وقصا لمرغوب الدولة الفرنسية التي
حكمت بسياسة التشريك في هذه الديار وقد اجابه فخامة الرئيس شاكرًا

له عن هذا الفهم المصيب لمعنى الحماية التي تقتضي طبعا بتوادر المنصرين
وبمثل هذه العبارات صرح بعد ذلك لرئيس حجرة الفلاحة جوابا عما
أكد في خطابه من ان المعمرين الفلاحيين بالعمالة بعثوا روح حياة جديدة
في جسم الفلاحة الاهلية وتداركوا بذلك اعراب البوادي من المجاعة والفقر
فقال له فخامة الرئيس عبارات تقرب من معنى الحديث الشريف القايل « ارحم
من في الارض يرحمك من في السماء » وزاد على ذلك ما معناها ان في
تحسين حالة الامة المحمية زيادة شرف للامة الحامية
ثم تقدم للسلام على فخامته ضباط جيش الاحتلال وفي مقدمتهم
جناب الجنرال بستور قائد الجيش العمومي



جناب الجنرال بستور
قائد جيش الاحتلال ووزير الحرب بالدولة التونسية

ولما امتثلوا لدى فخامته التي الجنرال المذكور على مسامح فخامته،
خطابا نفيسا قال فيه « ان العساكر وان كان من واجبهم السكوت الا ان قلوبهم
في هذه المناسبة السعيدة ترتجف سرورا ولشئ كان غيرهم من الناس
يشتهون الحرية واستقلالية الدات فهم دائما عبيد متفانون في حب الدفاع
عن الاوطان لذلك نلتبس من فخامتكم نيابة عن جيش الاحتلال قبول
مراسم ولائنا للدولة الجمهورية وشعائر احترامنا واخلاصنا لداكم الموقرة »
وقد اجابه فخامة مسيو فليار بقوله « اراني دائما سعيدا بملاقاتي للضباط
الفرنساويين وليس من الافادة ان نظري هنا هؤلاء الضباط الفيوريين لان
قيمة الضباط الفرنسيين معاومة لدى الجميع وليس في جيش فرانسا ضابط
يحمل شعار خطته ويتمنطق بسيفه وهو غير عليم بما عليه من الواجبات
نحو الوطن وفي ظني بل وفي املي ان لا نحتاج لاجراخ ذلك السيف من
غمده لكن معرفتنا بقيمته تحقق لنا الفوز اذا اضطررنا لاستعماله يوما ما
هذا وان اخلاصكم ايها الضباط قد اثلج صدري وان وجود الجنرال بستور
الذي نعرفه في طليعتكم يحملني على القول بانه على قدر اهل العزم تاتي
العزائم فلتقبلوا جميعا خالص ودادي بالنيابة عن الدوام الفرنسية التي
تصورونها في شخصي الآن »

ولما تلقى فخامة مراسم التهنئة من الادارات العمومية اتنى بالخصوص
على جناب الوزير المفوض مسيوروا الكاتب العام للامور العدلية وحادثه
مذكرا اياه باجتماعه به لثمان سنوات فارطة



جناب مسيورا الوزير المفوض

والكاتب العام للامور العدلية

كما اتى فخامته ثناء حسنا على جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية الذي اتقن العريية ومارس
الامور الاهلية في مدة قصيرة ووجه مثل ذلك الثناء لجناب مسيو فلوري
الكاهية بالكتابة العامة والساعد الايمن لجناب الكتاتين العامين



جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية

واذ كان فخامته مارا بصفر وسا الادارات والاقسام والاقلام بالكتابة العامة
انعنى امامه الحاضرون فجاملهم بعبارات لطيفة وصافح كلا من مسيو فيو
مدير المدلية ومسيو برلان مدير الانطكخانه ومسيو لوتوف رئيس قسم
المجالس البلدية والحكيم فيقان مدير الصحة البحرية والقبطان دافير مدير
السجون ومسيو ركلو معتمد القسم الاول والسيد محمد القروي رئيس الخزنة
الامامة والسيد محمد بن الخوجه رئيس قسم المحاسبات والسيد علي بن
مصطفى رئيس القسم الاول والسيد خليل بوحاجب رئيس البحث والسيد

الشاذلي صفر رئيس جمعية الاوقاف وبقية الدوات واستعلم في تلك المناسبة من مسيو فيو مدير الاقسام العدلية احوال المجالس الافاقية والموازل الجبائية واحسن فخامته لجناحه بعيد ذلك بالصنف الاول من نيشان العاوم كما سمع بعد باذن صاغية الافادات التي قررها لديه مسيو مرلان مدير الانطكخانه فيما يتعلق بالتمايل القديمة التي استخرجها المتحف العلوي من عمق اربعين ميتر في عرض البحر بساحل المهديّة وهي عبارة عن آثار تاريخيّة ثمينة جدا تتصل بزمان البشة المسيحية وكانت فيما يقال محمولة بسفينة يونانية ففرقت هي والسفينة لنحو الف سنة فارطلة واخيرا عشر عايمها صيادو النشاف واعلموا بها الدولة التونسية فأجرت الفواصين على اخراجها وزينت به متحف باردو الذي سياطي الكلام عليه في محله

ولما تقدم له في ذلك المجلس اي عند قبوله للادارات الرببي جبرح حاخام باشي تونس وهو شيخ هرم اطل على ما وراء التسمين حياء فخامته وتكرم بمصافحته فتلقى الحاخام باشي تلك المجاملة بالشكر العميق وقبل راحة فخامته

ولما تلقى فخامته الادارة المالية قلد بيدها لمسيو دوبرديو دفتر دار الاملاك العقارية وشقيق مدير المال وسام اللجيون دونور بين مظاهر الاستحسان اعلم وعند انفصال موكب القبول ظهر فخامته براس المدرج امام الباب فمرت تحت انظاره اعضاء الجمعيات الادبية والموسقية والرياضية وكانوا نحو الاربعين جمعية وكلهم برياتهم وشعارهم الخاص بهم ومن جملتهم الجمعية الطليانية الغربلدية اي المنتسبة للقاييد غاربلدي البطل المشهور المجاهد في سبيل الوحدة الطليانية والضابط كان بجيش المرحوم حسين باي بن محمود باي

اما اعيان الجزائريين من سكان الحاضرة فقد اعربوا من صبيحة ذلك اليوم للسفارة العامة عن اخلاصهم وتلقهم بالدولة الفرنسية واهدى رجال الطائفة الوهرانية عنوانا على ذلك الشعور مقطعا مزادانا بالزهور برسم فخامة الرئيس كتبوا عليه بالخط الممولا بالذهب العبارة الآتية « هدية من الجزائريين ابتداء الطائفة الوهرانية »

هذا وبانفصال استعراض فخامة مسيو فليار للجمعيات المشار اليها رجع فخامته لداخل السفارة ثم بعد ان استراح ردها من الزمن اعد جنبه مائدة خصوصية استدعى للعشاء بها وزراها ورجال حاشيته وجناب الوزير المقيم وكاهيته

وبعد العشاء اعد فخامته ليلة اتس ومنادمة كانت على غاية الاشراف والازدهار حضرها البرنس سيدي المنصف باي ووزراء الحضرة العلية والوزراء الفرنسيون والاميرال الانكليزي وضباط اسطوله والمستشار البحري بسفارة انكلتيرة في باريس والاميرالان الفرنسيان وضباط الاسطول الرئيسي واسطول بنزرت والدارعة الاسبنيولية ومدير والادارات وبقية الذوات وعقيلات اكابر المامورين والاعيان كما حضرها مكاتبو الجرائد الفرنسية الذين قدموا من فرانس بنية مراقبة الركاب الرئيسي في رحلته التونسية وكانوا نحو الثلاثين صحافيا ولم يتخلف عن هذه الليلة الآنسة إلا جناب الوزير المقيم بداعي العدد الذي لم به لوفاته اخيه طيب الذكر فلذلك استتاب كاهيته بالسفارة لاستقبال الزائرين



جناب مسيو ديپورت
كاهية الوزير المقيم العام

ثم ان فخامة الرئيس طاف على قاعات القبول حيث تجاذب اطراف الحديث مع الحاضرين وبعد ان شرف مائدة السماط وادع زائريه ودخل بيت النوم وبعيد ذلك بقليل بارح الزائرون دار السفارة وعلائم السرور والبشر بادية على وجوه الجميع

وفي تلك الاثناء كانت احياء العاصمة التونسية وبطاحها وشوارعها تتلالا باسعة الانوار الكهربائية بما قام به المجلس البلدي من ضروب الزينة والاسراج سيما باسواق التجارة الاهلية التي اسرجت بنحو ثلاثين الف مصباح وكانت مغازات التجار في تلك الليلة وفي الليلة بعدها محط رحال الزائرين من سائر الطبقات سيما مغازات التجارين الشهيرين السيد علي البربوشي

والسيد احمد جمال الدين اصبح اسمهما بالمواصم والمعارض الاروباوية اشهر من نار على علم ومعلوم ان اسواق الحاضرة لها شهرة تاريخية بعيدة لانها تمثل العاصمة التونسية على عهد القرون الخالية لان بعضها احدث في ايام الدولة الحفصية والبعض الاخر وقع انشاؤه على عهد الدولة المرادية اما مظاهر الاحتفال والاحتفاء التي قامت بها ذات الحضرة العلية نحو فخامة الضيف الكريم والرئيس العظيم فحدث عن البحر ولا حرج ويكفي في الكلام على ذلك ان نقول ان سمو الملك المعظم اعرب لفخامة الرئيس عن امياله القلبية وعن مرغوبه لرد الزيارة لفخامته بباريه في العام الجاري وانه بعد ان يقيم ضيفا رسميا على الدولة الجمهورية مدة يومين او ثلاثة يطيل مقامه بالعاصمة الفرنسية اياما اخرى بصفة غير رسمية لاستطلاع امورها وزيارته معاهدا ومشاهدة معالمها وتسريح الطرف في رياض تلك المدينة عروس مدائن العالم المتمدن باسرها

وقد كان لهذا التصريعات والانفاس العالمة احسن وقع لدى فخامة الرئيس ومما زاداه ودا واعجابا بصفات المولى الامير ان جاء في مرغوبه هذا معاني لطيفة لان الحضرة العلية لم ترحل قبل من مملكتها التونسية هذا ولما بزغت شمس يوم الدربعا ١٩ افريل ١٩١١ يعني اليوم الثاني من قدوم فخامة الرئيس الهمام للحاضرة كانت مدينة تونس قد اخذت تاهباتها للاحتفال والاحتفاء بالضيف الكريم والرئيس الفخيم فقي الساعة السابعة صباحا اصطف فرسان الاوجاق وعساكر الخيالة يبطحاء السفارة العامة وتولى اعوان البوليس حفظ الراحة وانتظم الموكب الرئيسي المهيّب فخرج جناب مسيو فليدار من السفارة على الساعة الثامنة مصحوبا

بوزرائه ورجال حاشيته واذاك صدحت الموسيقى بنشيد المرسلين
 وقرعت الطبول وادى العساكر السلام فامتطى فخامته عربية الرئاسة
 الجمهورية وركب الوزرا وبقية اهل الموكب عرباتهم وسار ركابه
 مخفورا بالعساكر وعلى يمين العربية الجنرال قائد جيش الاحتلال راكبا
 جواده وقصد سراية بادره المعمور مارا في طريقه على شارع باريس البهيج
 الموصل لبستان الخضراء



قبة بستان الخضراء ذات النقوش العربية الجميلة

ومن هنالك سار الموكب مارا بالشوارع التي وراء اسوار الحاضرة
 فطريق باردو لجهة باب ابي سعدون وكان ذلك بنية رد الزيارة للحضرة
 العلية واذاك كان سموها العالي في انتظار فخامته لاستقباله في موكب فاخر
 انتظم عقدا بقاعة الاستقبال الكبرى بدار الملك باردو المعمور



مدرج الاسود بسراية باردو

وفي نحو الساعة الثامنة ونصف وصل ركباه لباردو فادت له
 السلام العساكر التونسية وكانوا مصطفين حول السرايات تحت امره مدير
 وزارة الحرب الكلونيل دنجزير الحازم النشيط فتقدم فخامته نحو السرايا
 حيث استقبله على الرصيف سمو البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال
 الحضرة العلية وارتقى بفخامته مدرج الاسود واذاك صعدت الموسيقى

المالوكية بالسلام لفخامته وادت له عساكر العسة المصونة تحية العظما
والملوك وكان في مروره يلاحظ حسن اتساق القصر بجمال اعمدة
المرمر الصقيل من النوعين الاسود والايض القائمة عليها محلات السرايا
اما باردو فكان موجودا في المائة الثامنة على عهد سلاطين الدولة
الحفصية وكان مناخ منزهاتهم وفيما يظهر ان اسمه محرف عن كلمة
« برادو » الاسبينية التي معناها « الفردوس » ولما الت الدولة لنوبة
المراديين زادوا حسنا وتفخيما وسلك آل الحسين بن علي مسلكهم في
عهد دولتهم واختصوا لسكنى انفسهم ثم اقتصروا على سكناء في
الشتاء ويرحلون عند لسواتي مصيفهم زمن القيظ وبالطبع كان دار
ملكهم ومقر دواوين حكومتهم

هذا ولما دخل فخامة الرئيس سراية باردو وارتقى مدرجها
الداخلي وجد في انتظار فخامته براس المدرج سمو الحضرة الملكية
بالبة الاعياد الكبرى واذاك تقدم له المولى الامير وتصافح معه
باليدين الاثنيتين ورحب بقدومه واكرم نزله وبعد ان تبادل
مقامهما من جديد عبادت الوداد العالي جلسا فوق دسيتين توأمين
ملكين فخامته لليمين وسموا اليسار

وكان امراء البيت الحسيني محدقين بالمقامين الكريمين والسوزراء
ورجال الدولتين وقوا والناس كانوا على رؤسهم الطير اجلالا وتعظيما
واذاك خاطب المولى الامير فخامة الرئيس بقوله

قاعة التبرعات الكبرى بدار الملك ياردو المعمور



« ان فخامتكم على علم من تعلقي وصداقتي نحو الامة الفرنسية
 فانا اقترح على جنابكم ان تعتبروا ذاتكم الكريمة كواحد من اهل بيتي
 وان تقبلوا بتلك الصفة نيشان البيت الحسيني »
 ثم قلدا بيدلا شعار ذلك الوسام الرفيع الشان وتلقى من فخامته عبارات
 الشكر والامتنان

(iv)



وبعدئذ بارح فخامته السرايا الملكية بين مظاهر الاجلال والتعظيم
 والتحية العسكرية وقصد دار المتحف العاوي الواقعة على خطوات من
 السرايا وهي اي دار المتحف من اجل وافخر الدور العربية بناها المرحوم
 محمد باي وبالف في تنسيقها لحد الابداء والتحق بربه قبل ان يسكنها
 فاتخذها اخولا محمد الصادق باي دارا احريمه وتكرم بها من بعدا اخوها
 المرحوم علي باي فرخص في سنة ١٣٠٥ بان ينصب بها المتحف العلوي
 المنسوب اليه وهو صنيع جليل حفظ التاريخ ذكره لهذا الامير
 دخل فخامته المتحف مع وزرائه وحاشيته والوزير المقيم العام والوزير
 المفوض الكاتب العام للامور العدلية وبقية الذوات



الصحن الكبير بمتحف باردو

وزاريوت المحل بالتمعن والنظر وكان دليل القوم في تلك الزيارة
 مسيو مرلان مدير الانطكخانة بتونس فاستفاد فخامته من هذه الزيارة كثيرا

وابتهج لتلك الثروة الانثوية التاريخية التي اكتسبها المتحف العلوي في ظل
الحماية الفرنسية

وبعد ان تأمل فخامته طويلا من التمثال المصنوع من الفسيفسالات
الشاعر اللاتيني فرجيل الذي كان يعيش في القرن الثامن قبل الهجرة
حال نظمه وكتابته قصيدته الحماسية المسماة « ايناييد » وهي قصيدة ملأت
شهرتها اسواق الادب باروبا نظمها صاحبها بمطلب من الامبراطور اغسطس
الذي ولد على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام



صورة الشاعر فرجيل وهو ينظم شعره

ثم توجه للقسم المحفوظة به الاثار العتيقة والتمائيل المعدنية من نوع
الشهباني وهو ضرب من النحاس الاحمر في لون القلزم



تمثال ايروس وهو آلهة العشق عند اليونان

(من التماثيل المعدنية التي عثر عليها ببحر المهدية)

وكان العثور على تلك التماثيل بطريق الصدفة في سنة ١٩٠٨ حيث اكتشفها جماعة من الفواصين لصيد النشاف في عمق اربعين ميتر فوق استخراجها من السفينة الاتينية التي غرقت بها في مبادي التاريخ المسيحي على نحو ستة اميال من ساحل المهدية ومن بعد ذلك تامل فخامته من نقوش الفسيفساء البديعة والتماثيل المرورية واوعية الخزف القرطاجية ومن مجموعة مصاييح وفوانيس عزيزة النظر تكاد تكون يتيمة في عالم الانوار والفنون الجميلة ثم نظر فخامته بعين الاعتبار لسطل خاص بالتعميد على عهد الامم الخالية ومر بالقسم العربي من المتحف مما يسميه العامة دار العجايب وهذا القسم يشغل دار المرحوم محمد باي التي كانت تسكنها زوجته من آل يرم



القسم العربي من المتحف العلوي
ثم بارح المتحف لاهجا بالثناء على عناية مديرة ومعبجا بوفرة
ثروتها الاثرية



فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو
بعد زيارة مسيو فليار للمتحف العلوي

واذاك تلاقي فخامته مع المقام الملوكي واستطيا جميعا العربية الرئيسية
فركب خلفها امراء البيت الحسيني كما ركب وزراء الدولتين وبقية
الدوات وانتظم الموكب وسار مخفورا بالمساكر قاصدا مضمار السباق
الواقع على مقربة من برطال القصر السعيد لاستعراض وفود الاهالي
وحامية تونس ولدى الوصول لساحة الاستعراض نزل فخامة الرئيس
والحضرة العلية فادت الجنود لهما السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد
الفرنساوي وبالسلام الملوكي ثم صعدا بموكبهما لتختوان الشرف
وجلسا بصدارة المقام





مخزن النشرف بمضمار استرااض الوفود بالقصر السيد

واذاك علت ضجة لعنان السماء وهتف الحاضرون وقرعت الطبول
ودقت الدفوف والمزامير العسكرية وجردت السيوف من اغمدتها فكان

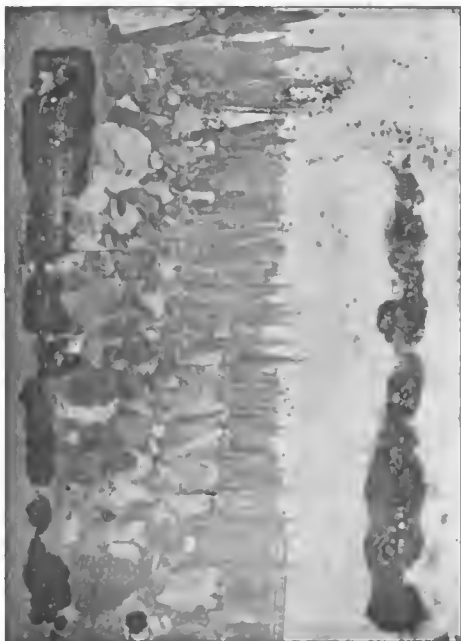
لذلك المنظر المزدوج بعمقه السلاح وبطين المدافع من المهابة ما جعل المقام
مهيأ رهيباً

ولما اخذ الحاضرون مواقفهم وجلس المتفرجون والمتفرجات بمحافل
السباق وفوق العشرة آلاف كرسي المعدة أهم وبرحاب المضمار وابطحت
التي تسابقوا اليها من كل حذب ينسلون كأن الناس اذاك يحاكون
معرضاً بشرياً لا تعرف هذه البلاد حصول مثله فوق اديمها قبل ذلك اليوم
اذ قدر بعض العلماء الاحصائيين جموع اولئك الخلائق بنحو مائة الف نفس
وهو بلا ريب شئ يشبه الحشر والنشر

ومن حضي بالجلوس في تختوان الشرف البطل المشهور الجنرال بايو
قائد الفيلق التاسع عشر الضارب بالجزائر كما حظى بمثل ذلك الاميرال بو
قائد الاسطول الانكليزي واركان حربه وضباط الاسطول الفرنسي
وقناصل الدول بتونس

اما الجنود التي حضرت للاستعراض فهي عبارة عن ثلاثة طواير من
عساكر التريور وطايرين من عساكر الزواف وطايرين من العساكر
الخفيف وفرقة من الخيالة وثلاث فرق مدفعية فكانوا في الجملة ستة الاف
جندي يزداد عليهم نحو الاربعمائة من عساكر العسة المصونة

وكان التختوان منمقا مزركشا ومزدانا بالاعلام والابسطة الحريرية
والرياش الفاخرة على اجل شكل يخطر بالبال وكان الى يسار التختوان نحو
الالف رجل من مشايخ ونبأ وشواش وسقاية واخوان ومريدي الطرق
القادرية والشاذلية والميساوية والتجانية والرحمانية وغيرها وبين ايديهم
مباخرهم ورشاشاتهم



﴿ جموع المريدین ووفود الدارین من اهل الطرق الربانیة ﴾
 وسناجق زواياهم وطبولهم ونفراهم وبقية الالات الخاصة بهم فكان
 لمجموعهم منظر في يابه غريب وقد تجمع حذوهم خلائق لا تحصى من

اعيان اهالي الحاضرة يتقدمهم امراء الحرف والصنائع ومشايخ الارباب
تحت رئاسة شيخ المدينة امير اللواء السيد الصادق غلب



السيد محمد الصادق غلب

شيخ المدينة

كما تجمع بالقرب منهم عدة الاف من اهالي عمل احواز الحاضرة
وطبرية والجديدة والمحمدية والمزناقية وغيرها يتقدمهم خلفاوتهم
ومشائخهم وعمدهم تحت رئاسة عاملهم السيد مصطفى دنقزلي الذي
نعم عليه فخامة الرئيس في مساء ذلك اليوم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة
كما سيرى القاري ذلك بموكب المدرسة الصادقية الاتي قريبا



السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة

ووقف فيما يلي جموع الاهالي اعيان الجزائريين والوهرانيين والمزاينين والاسرائيليين واذاك وقع افتتاح الموكب بتقليد فخامة الرئيس عدة اوسمة من درجات مختلفة لضباط الجيش الفرنسي على رؤوس الاشهاد وكان فضلمته يقبل كل ضابط ممتاز ويهنيء على اثر ذلك بالوسام الذي استحقه ثم وقع الشروع في الاستعراض فمر في طليعة القوم وفود الحاضرة يتقدمهم شيخ المدينة واعقبهم في المرور عامل الاحواز يتبعه وفود عمله ثم جموع طريق الدكرية يتقدمهم الشريف السيد محمد البشير شيخ مشايخ الطريقة رحمة الله عليه ثم جموع الطوائف الجزائرية ثم اعيان الطائفة الاسرائيلية وكان كلما مر وفد بتقنوان الشرف هتف رجاله بالدعاء لفخامة الرئيس وللحضرة العلية

وكان جناب الرئيس مظهرا في تلك الآونة مزيد انشراحه لما قام به
اولئك الوفود من شعائر الولاء والاحترام ومما زاده انشراحا حضور جموع
الطرق على الهيئة وبالنظام والالات الخاصة بهم التي تقدمت الاشارة اليها
وفي تلك الاثناء قدم من الحاضرة باجنحة الطير على طريق الجو
مسيوبوني راكبا طيارته وسابحا على صفحات الفضاء الاوسع فعل
وسط سماء المضمار وجمل يصمد وينزل حتى يكاد يمس الارض ثم يفر
الى علو شاهق طائرا من هنا وهناك وطائفا على سطح الجو حول تلك
الخلائق التي اعجبت جميعا بجسارته ومن اجسر ايسر
وعلى الساعة العاشرة ونصف اتحد الجنرال يستور في استعراض جيوشه
فكان هذا البطل المشهور راكبا لفرس كميته من الصافات الجياد فمر
امام التختوان حيث ادى السلام بسيفه للمقامين العظميين ثم مرت عساكر
الزواف فالتريس فالثريور وكانت المويسقى العسكرية تشف اذاك الاسماع
ثم مرت عساكر السعة المصونة يتقدمها انفار المويسقى الملكية ويتلوها
عساكر الطبجية التونسية وختم الاستعراض العسكري بمرور الخيالة حيث
حملوا في سيرهم حملة الفرسان الشجعان وكان الموكب بالفاحدة من البهجة
والجمال لصفاء الجو واعتدال الربيع وكانت ارياح الفخار تحمل من بعيد
روايح الزهور والرياحين من البساتين الواقعة على مقربة من مضمار السباق
ولوايح البشربادية على وجه الحاضرين حتى ان الحضرة العلية لم تتمالك
عن التصريح باعجابها لبهجة ذلك الاستعراض ولمهارة الجسور ابي جناح
بوفي الذي راق طيله واخذ له وردة في الهواء باعين كل الحاضرين

هكذا وقد وجه فخامة الرئيس في نهاية الاستعراض مكتوبا للجنرال
بستود في الشاء على الجيش الذي استعرض امامه ونصه
فاريقي العزيز

ان الاستعراض البهيج الذي حضرته الآن مع الحضرة العلية سيبقى
ذكرا منقوشا بذهني ذلك ان بهاء طلعة المسافر التي قامت به وصراحت
استعدادهم دليل على صفاتهم الحربية السامية فلا غرو ان جاءوا على قدم
ضباطهم المختارين والمتأمرين عليهم وعلى اهبة متواصلة للقيام بالواجب
والدفاع عن الراية التي تظلمهم وعليه فالمرغوب منكم ان تبلغوهم تهنئاتي
الفايقة وان تقبلوا اتم يا فاريقي العزيز شعائر عواطفني النبيلة
الامضاء - فليار



فخامة الرئيس والحضرة العلية
خارجان من استعراض الوفود بميدان القصر السعيد

ثم انفصل الموكب وعاد الركاب الرئيسي الملوكي في ابته قاصدا تونس
ولدى مروره بقصر باردو رجعت الحضرة العلية ووزرائها وحاشيتها للسرايا
الملكية بعد ان تصافحت مصافحة الكرام مع جناب الرئيس
اما ركاب فخامته فقد عاد للسفارة الفرنسية مخترقا للصفوف بين
هتاف الالوف



سراية السفارة العامة الفرنسية بتونس

واعقب ذلك رجوع الخلايق الذين حشدوا بالمضمار للفرجة والاستعراض
فعادوا للحاضرة ولاحوا زها على طريق السكة الحديد حيث رتبت لهم
شركة بون ذالمة ارتالاسارت على التوالي لارجاعهم لتونس ومن هذا الارتال
ما كان الركوب فيه مجانا وخاصا بالفود الاهلية وجموع الطرق والمريدين
وعند زوال ذلك اليوم اعد فخامة رئيس الجمهورية مائدة كبرى
بقصر السفارة الفرنسية اكراما لسمو الحضرة العلية حضرها بالاستدعاء
كافة الوزراء والدوات والاعيان فجلس بصدارة المائدة من احدى جهتيها

فخامة الرئيس وقابله بصدارة الجهة الاخرى سمو الحضرة الملكية وجلس
الى يمين فخامة الرئيس

جناب الجنرال بوقائد الاسطول الانكليزي

جناب مسيو كوشري الوزير الاسبق

جناب الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال

جناب البرنس سيدي المنصف باي

جناب مسيوروا الوزير المفوض والكاتب العام للعديلية

جناب مسيو انيونا كيس قنصل اليونان

جناب مسيو ديورت لاهية السفارة الفرنسية

جناب م. يومولور رئيس البعثة المالية

جناب مسيو دلا فاج مدير الاشغال العامة

جناب الكونيل سولي

القبطان البحري ريكل

السيد محمد الفوراتي كاتب القسم الاهلي من مجلس الشورى

القبطان البحري موتيز

مسيو دوفو العضو بمجلس الشورى

اليتان دوفان فولدين من ضباط البحر

الكونيل هيلو من رجال الحاشية الرئيسية

القبطان جوان معين المقيم العام

القبطان اركس

مسيو دل كاسي نجل وزير البحر

مسيو اندري فليار نجل فخامة رئيس الجمهورية
 وجلس الى يسار فخامة الرئيس
 جناب مسيو دل كاسي وزير البحر
 جناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام
 جناب القبطان مركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية
 جناب مسيو رمندوباش كاتب قصر الرئاسة
 جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم
 جناب الجنرال تروملت من امراء جيش الاحتلال
 جناب الكونت لوكهولتي
 جناب مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنسية بتونس
 جناب الكولنيل ديفرتيكات
 جناب مسيو بريرات مدير البوسطة والتلغراف
 جناب الكولنيل توبان
 جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة
 جناب مسيو كراتصي كاهية ادارة المال
 القبطان البحري فان لوجي
 جناب مسيو دوجان الكاتب الثاني بالسفارة
 جناب السيد احمد السني صاحب الطابع
 جناب الفريق فلنسي مدير التشريعات
 جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة
 جناب السيد مصطفى دنغلي عامل الاحواز

الملازم البحري معين قائد الاسطول الفرنسي بالبحر المتوسط

مسيو ثيولو

اما الحضرة العلية فجلس عن يمينها

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط

جناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا

جناب مسيو بيركلي قنصل جنرال انكلتيرة

جناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا

جناب الاميرال كاشار

جناب القبطان البحري هوار من ضباط الاسطول الانكليزي

جناب مسيو تريلات مدير شركة بون قائمة

جناب مسيو مولا مدير التشريعات الرئيسية

جناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف

مسيو فاتيل

مسيو بروست كاهية المجلس البلدي

مسيو فيسي كاهية وكيل الجمهورية

مسيو بونيون

مسيو ريفيل

الضابط البحري ثاني معيني الاميرال الانكليزي

مسيو مارك فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر الرئاسة

القبطان بوا معين المقيم العام

وجلس عن يسار سموها

جناب مسيو شومي الكاهية الوزيرى بالبوسطة والتاخراف

جناب الجنرال بايو قائد الفيلق التاسع عشر بالجزاير

جناب الجنرال شايي من امراء جيش الاحتلال

جناب سيدي يوسف جميعط الوزير الاكبر

جناب الاميرال لوكوف قائد اسطول بنزرت

جناب مسيو فان شر بنزل تيم

جناب مسيو مورو

جناب مسيو مونيس نجل رئيس الوزارة بقرنسا

جناب الكونت فون هردنبرغ قنصل جنرال المانيا

جناب مسيو سيرى كاتب مجلس الشورى

جناب الكولنيل دلا بويار

جناب مسيو بلان الكاتب العام

جناب مسيو بوسنيار

جناب مسيو مير المراقب المدني بتونس

جناب امير اللوا السيد الصادق غلب شيخ المدينة

جناب مسيو سان روماس

جناب الحكيم ريكار طيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكولنيل فيز من ضباط العاشية الرئيسية

جناب الكمندان تيسون

جناب مسيو يوباش كاتب السفارة الفرنسية

جناب مسيولاصكور كيت

وكان مجلس الطعام بالغاً للنهاية في الموانسة والمنادمة وموسوما بشعائر
الوداد ومظاهر السرور وكانت المائدة بدعة في الحسن والجمال مزدانة
بالرياحين وصحونها واوعيتها من تحائف معامل الخزف بسيفر ذات الشهرة
المطبقة باروبا وكان الملاعق والشوك والسكاكين من الفضة وهذه الادوات
التي هي من مستملكات رئاسة الجمهورية جلبت كلها من باريس للمبالغة
في مكارمة الحضرة العلية وبقية المعزومين للفطور وفي آخره القى المقام
الملوكي بلسان جناب وزير القلم الخطاب العظيم الاتي نصه

اني اعد نفسي اليوم سعيد الحظ بالتمكن من الاعراب لفخامتكم
عن السرور البليغ الذي دخلني والذي تشاركني فيه امتي بمناسبة اقبالنا
بهذه الارض التونسية للجناب الفخم رئيس الجمهورية الفرنسية ذلك
الرجل العظيم والموقر الذي يمثل بافخر اسلوب الامة النبيلة الحامية

هذا وقد ارادت فخامتكم ان تقيم بهذا القطر شاهدا لانزاع فيه على
العناية التي ما برحت الدولة الفرنسية منذ ثلاثين سنة تبديها نحو هذا
الديار وتعضد بها سيرها في سبيل الرقي والمدينة

وان جنابكم الذي سيتجول باطراف هذا الايالة وسيتقدم في رحلته
لجهاتها القاصية الواقعة على ابواب الصحرا سيمكنه اثناء حلول فخامتكم
بين اظهر الاقوام التونسية المتعلقين بارضهم والمتحدين في حب وطنهم بالرغم
عن اختلاف عناصرهم مشاهدة التقدم العظيم الذي حصل بعد انتصاب
الحماية الفرنسية

وان فرانس التي لم يسمح راياها السيد وخبرتها الكبيرة بمعاكسة نهوض الامة المحمية قد اخذت على نفسها توسيع نطاق قوتها الاقتصادية والعقلى بواسطة اجراءات تدريجية لاصلاحيات وضعت بعد تأمل دقيق وقد كانت الغاية المحمودّة الناتجة عن ذلك المسلك الرشيد اوضح شاهد على ان تلك الجهودات وذلك الثاني كانت مكلفة بالنجاح الباهر

وان يتنا الحسيني يرى من الشرف مشاركتهم بالقلب في هذا المشروع العظيم

اما انا فيروق لي ان امنح مساعدتي بدون استثناء لعمدة الدولة الجمهورية الذي هو محل اعزازي واتهز هذه الفرصة الثمينة لنكرر مباشرة لفخامة رئيس الدولة الفرنسية عهد الصداقة والاخلاص التي كنت صرحت بها اجنابكم عند جاوسي على كرسي الملك الحسيني

ولما فرغ سمو الملك المعظم من خطابه نهض جناب الوزير المقيم العام والقي ترجمته الى اللغة الفرنسية ثم قال

يا سيدي رئيس الجمهورية

اني سعيد الحظ بما لقيته على مسامعكم من ترجمة عبارات التحية والتهنئة التي خاطبتكم بها الحضرة العلية ولا شك ان شعار الصداقة والاخلاص التي برهن عنها سموها لجديرة بامتثالي حيث كنت انا المعتمد للدولة الجمهورية لدى مقامه المالي

ان الحضرة العلية لم تضن علينا ابدا بمساعدتها التي هي ثمرة راياها المستتير وان اتساع مكارمها القلبية لا يضاهيها إلا مقدار حبها في العدل والانصاف وهذه المناقب الغريزية املاها على سموه مجرد حبه للخير

ومساعدته من تلقاء نفسه على تعضيد مشروعاتنا بما عندنا من السلطة العالية والمطاعة لتأييد صنيع التقدمات المادية والادبية بهذا الديار التونسية وقد امكن بفضل تلك الاعانة الاستمرار بدون مصادمة ولكن بغير عجز على المشروع الطويل التديل الذي وقم القيام به في ظل الدولة الفرنسية تحت نظر وزرائها للخارجية ذوي الراي السديد بواسطة اسلافي في خطة السفارة بتونس الذين من اعظمهم قدرا آخرهم عهدا ذلك الذي امكبه ان يستخلص من خلال تجربته السياسية التي دامت ربع قرن القاعدة التي من شانها تخويل دولة الحماية كامل سطوتها ونعمتها ولياقتها وكم من حسنات يمكننا اليوم ذكرها زيادة على تلك التي كان صرح بها في هذا الدار نفسها جناب مسيويشون الوزير المقيم كان بين يدي فخامة مسيولوبي رئيس الجمهورية السابق عند زيارته لتونس في سنة ١٩٠٣ فالمراسي البحرية اخذت حظها من التوسيع والطرق المعمومة والسكك الحديدية تطاول شريطها بفضل ما توقعنا له من استعمال اموالنا على ما يرضي مجلس الامة الفرنسي

والحق يقال ان الفضل في انجاز هذا الترقى العاجل انما هو ثمره الاتحاد البالغ حده الحاصل بين متوظفينا الذين هم من خيرة الماهورين لان رؤساء ادارتنا ممن تقبطننا فيهم اغنى الدول ذات الطموح الكبير نحو العالي ونواب المعمرين الفرنسيين بالمجالس البلدية وبالحجرات الانتخابية وبمجلس الشورى بل وهذا الجمعية بسميها قد برهنوا اننا شهر نوفمبر الفارط على جهم في الاعمال النافعة ذات الخيرات الوفيرة وعلى مزيد تعلقهم

ووفقاهم وهو الامر الذي اشار له مسيو سيري ككاتب القسم الفرنسي بمجلس الشورى في خطابه بينزت ذلك الخطاب الذي تمحض
غيره ووطنية

هذا وقد شاهدت فخامتكم بالامس قيمة المجهودات الفرنسية في حوزة
الدفاع عن الاوطان اما الجهات التي مربها ركاياكم بعد مبارحته لثغر بينزت
المنيع والجهات التي ستشرفونها بحضوركم بعد فانها تنادي بالسان آخرو بمعاني
اخرى ناطقة بتوفيق الجنس الفرنسي وجدارته باحيا واعلاء ييارق السلام
فوق هذه الربوع الرومانية فالفرنسيون اصبحوا على التوالي كل ما افسدته يد
الهمجية في الاجيال الخالية وقد اصبحوا بفضل مثافتهم على العمل مثافتة تكاد
تكون عنادا على مقدرة من تدليل نواصي العزلة ومن التغلب على تاثير
الحوادث الجوية مع سلوكهم باهالي هذا القطر مسلكا محمودا حيث توافرت
في البلاد الخيرات وامتدت الطرقات وسهلت القطارات الحديدية على
السكان وسائل النقل والبيع والشراب حيث ان العنصر الاهلي قد انفك قيد
سباته واستسلامه لانه سارت فيه عدوى روح العمل فآل امره لتحسين
حاله المادية

والعمارات الزراعية الفرنسية المزدانة بالبساتين البديعة والحدائق
النضرة قد عمل المحراث في اعماق ارضها ما جعلها راموزا وحديثا لذيدا
فالمعمرون قد احبوا الارض وقطعوا الصخور وازالوا الادغال النباتية
التي سمحت ببقائها سذاجة اهالي العصور القديمة لذلك اصبحوا متغلبين
على الزمان يمثلون معنى الاقتدار على باووغ المراد ولاجله سيكون حصد
اعمالنا خصبيا طامعا بالخيرات الشاملة لكافة هذا القطر فجزا تلك

المجهودات المتولدة بفرنسا الزراعية التي اشتد ساعدها بالكد والجهد وانتظمت
احوالها بفضل التكاتف والتعاون هو ان الدولة تصرح بوجوب العناية
الحثيثة تلقاء تلك المساعي الناشطة

وكما ان الكنوز المعدنية ظهرت ثمارها سريعا كذلك يلزم امداد
اراضي الزراعة بالامور الفنية الصالحة لها وفي هذا المقام فان من اوكد اعمالنا
تعصيد المصالح الخاصة بهذا الجانب على معنى توسيع نطاقها واكمال نصابه
واذا كانت المثانة على العمل والشهامة كافيتين لاقامة الاداة فان لنا
في سنيق الفرنسيين الضاريين بهذا الديار ما يغني عن البحث لايجاد
وسائط اخرى لتنشيط الهمم المتقاعسة - نعم ان درس الاشياء بالتجربة
يستدعي زمانا طويلا ولذلك يلزم مخاطبة الناس من ابناء جيلنا الحاضر
ثم الذين سيكونون رجال المستقبل بان نشرح لهم ما هي اعمالنا بهذا
القطر وما هو وجه وجودنا فيه والذي يظهر لي انه قد اتى الزمان الذي
سيمكنهم من فهم كلامنا لان مقصدنا لا يحوم حول الاستحواذ على الناس
بطرق القهر لردهم عن معتقداتهم وحملهم على التمهيد بفسادنا وعلى تقدير
ان تسامحنا لم يحكم علينا باحترام كل ما يمس باعمال القلوب فان لنا في
ترقيتنا العلمية ما يكفي للدلالة على بطء السير في تقاليد ادوارها ولا
شك اننا ممن يفتخر بقوته العلمية ولا يرضى إلا السير على قواعدنا وحينئذ
فلا نبغى من العنصر الاهلي إلا مجرد اعتناقه لمذهب الاقتصاد لان المزاحمة
الاروباوية التي تنشأ عنها خيرات كثيرة هي ايضا ذات اخطار لا تنكر
فاليد العاملة والادوات الاروباوية ربما تنذر المتقاعسين والمتقاعدين عن

السبر في سبيلها باخراجهم عن جادة الحضارة واذاك يفوتهم ادراك القافلة وليس مرادنا ان تكون دية الترقيات العامة هي رجوع الضعيف بالخيبة لان السياسة التي ترمي لمصادرة العنصر الاهلي قد انطوت ايامها وعلى تقدير ان البعض لم يزل عاملا بها فان تلك احلام زمان مضى واسلوب انقضى لاجرم انه ليس مقصودنا تاسيس السيادة الفرنسية فيما وراء البحور بالحروب الصليبية وبامتلاك الرقاب لان فرنسا الجمهورية باعتمادها على سطوتها وعلى حقوقها تآبى الضغط والحق على الناس ولا تسمح لاعوانها الموتمين على سلطتها بان ينسوا ما على الامه العامية من الوجبات

وليس لفرنسا الجمهورية ساحة افسح مما لها من النشاط والعناية بالتربية الاقتصادية فلذلك نفتخر اليوم يا فخامة الرئيس بعرض مقدمات عملنا على نظركم السديد

سلطنا بالتعليم مسلك محاذاة ضروريات الحياة فجعلنا مشروعنا رابطا للمدرسة بالحياة ارتباط الحياة بالمدرسة كما اسسنا دراسة الصنائع والفلاحة بمشاركة جميع القوات الحية في هذه البلاد فذلك هو مقدمة اعمالنا يا حضرة الرئيس الفخيم

وسنسير على خطة مساعدة العنصر الاهلي واقناعه واعانته على مقاومة الاخطار المبيدة التي هي عثرة في سبيله فاطبانا واعواننا للصحة ومستشفياتنا التي يديرها متوظفون فرنساويون انقطعوا بصفة عجيبه لخدمة الانسانية

اصبحوا من الد الخصوم للامراض الفاتكة بالضعفاء والمساكين وجميعياتنا
الاحتياطية والتعاونية اصبحت بيد العنصر المذكور سلاح للمقاومة والقرار
من اثنين مرتبتين قديمتين وهما الربا والجوع

وقد نتج عن هذا المسلك صيرورة المشاركة في العمل منهجاً سياسياً
بعد ان كانت حبراً على ورق وصار اسلوبها قاعدة ادبية لانخس منها
شيئاً وباعثاً على احتقار السخريات

وعندنا في هذا المقام شاهد عدل وهو البرهان الساطع الذي جاء
به الحضرة المليية عند اجتماع المساكين الفرنسيين والتونسية في صعيد
واحد واقتالهم كتفا لكثف بالمغرب الاقصى في سبيل المدنية تحث العلم
المثلث ولا شك ان صنيعهم قد افصح على شيء دونه الطاعة ودونه الشجاعة
التي شربوا لبنها من ثدي واحد اذ هو يرمز لما لنا من حسن الاستقبال في
ارض فرنسا الافريقية

واني التمس من فخامتكم ياسيندي الرئيس ان تاذنوا لي عند ختم
خطابي هذا بان اعرب لجنابكم عما للمملكة التونسية من الامتنان اليكم
لما تحفظتم لها من الذكري المزدوجة بالناية من حين زيارتكم القصيرة
التي شرفتم بها الحاضرة لثمان سنوات فارطة

وان القطر التونسي عبارة عن مملكة صغيرة جدا واغاب سكانها
فقره لذلك كانت مظاهر اقبالهم لفخامتكم مقرونة بالاحتشام فجنابكم
لا يرى في رحلته هذا فخامة المواسم الاروباوية الا انه لما كانت هذا

الديار في دنف حماية الدولة الفرنسية التي يمثل جنابكم امتها قاطبة كما
يمثل علو لعبها وانتصارها للضعيف ووثوقها بسلامة المستقبل الانساني قد
مهدت فخامتكم المصاعب والمتاعب من كل نوع وجئتم الينا لزيارة هذه
البلاد والارتحال حتى الى الجهات التي لم ترث نصيبها من المدنية لتقول
لساكنيها في هذا الوقت الذي تم فيه سير الازتال الحديدية باهم اصقاعها
ان الدكا العلمي الفرنسي لا ينفك ساهرا على مصالحها اما القطر التونسي
فسيكون مفتخرا بالتشريك بين اسم جنابكم واسم طيب الذر (جول فري)
ورسمها معا في جبين واجهة احدى مدارسنا الكبرى التي حكم نجاحها
العاجل بانقسامها لمدرستين

وان المملكة التونسية تتحد معي بشراش قلبها في هذا الوقت الذي
حانت فيه نوبتي لرفع كاسي نيابة عن المعمرين الفرنسيين شاربا بكل
احترام على سلامة فخامة رئيس الجمهورية

وعند ختام هذا الخطاب الاثيق قام فخامة رئيس الجمهورية ونطق
بالخطاب العظيم الاتي نصه

انه ليروق لي جدا ان اشكر لحضرتكم العلية عن العبارات التي
خاطبتموني بها وان الدولة الجمهورية تقبل بارتياح شعائر الصداقة
والمودة التي افصحتم عنها كميثاق جديد وعزيز يبرهن عن الامان العظيم
الروسخ الذي يجمع البيت الحفيني السني والامة التونسية بالامة الحامية
الفرنسية

هذا وقد ترجم سموكم عما له من الاعتبار نحو المشروع العظيم الذي
قامت به فرنسا ولذلك فان الدولة الجمهورية بما لها من الشموخ والرغبة

في القيام بما عليها من الحقوق نحو هذا القطر الذي سلكت به سبيل الرقي والمدنية قد قدمت لصاحب المملكة التونسية في هذه الثلاثين سنة عربون الاخلاص الذي لا تنحل عراه وبرهنت عن حسن نيتها وصلوحية حمايتها فالمملكة التونسية قد اصبحت سائرة تحت كنف الدولة الفرنسية في سبيل التقدم المتوافر الخيرات وسعيدة بفضائل آلاء العلم والعدل التي وقع بثها في ارجاء البلاد قاصيها ودانيها

ولاشك ان تلك النتائج الباهرة والجازمة هي ثمرة المساعدة الكاملة التي منحها سموكم وسلفه المقدس لعمدة الدولة الفرنسية تونس وان اهتمام حضرتكم بسماعة رعاياكم التي ملكتم قلوبهم بالاحسان يمكن سموكم من الاعتماد على مساعدة الامة الحامية للاستمرار على السير بالاقوام التونسية في مدارج الاصلاح والتحسين

سادتي - ليس لنا بعد مرور ثلاثين سنة على مشروع الحماية الذي انتم امثل واخلص الناس اليه ان نقيم الدليل على لياقة اسلوبه وعلى فوائد تأثيره انما المراد ان نوكد على كل حال بان السياسة الجلية والصريحة التي فتحت فرنسا بابها في تونس لم يحم حولها تفسير قط وانها لجديرة بان تقتخر بهذا الرسوخ الموافق لمبادئها ومقاصدها

اتنا لم نجى لهذلا البلاد لاجلا امة اجنبية احتلت من القديم ارضا خدت دورها من العظمة والانحطاط او لحمل اهلها على التمدد بغير عقائدهم فقد راي الناس ان مشروعنا مبناه ليس السيف وانما مبناه السلام لذلك كنا نجتهد اليوم في توزيع المنافع بطريقة عادلة بين جميع الناس

وفي توفير نصيب من خيرات المدينة للاقوام التي لم تدركها قبل او لم تتوفر لديها عواملها وان هي اصبحت اليوم .شاربه لتلقف ثمارها
فمن ذا الذي ينكر الآن ما حصل من احياء الارض الموت وجعلها
صالحة للاتمار ومن اقامة الآلات المتقنة للحث مقام آلات اخنى عليها
الدهر ومن تمويض المزارع الرحال بالمزارع القار الذي يسهر على سلامة
مزارعه بعين الحارس الفيور على كنوزها ومن مد طرق المواصلات لكل
جهة ومن نصب سكك الحديد للجمع بين تلك الجهات ولتنمية علاقتها مع
بعضها ومن فتح المراسي للتجارة مع الامم الاخرى واستدرا الاموال بالبيع
والشرا معها ومن ذا الذي ينكر ايضا ان من البحر الى تخوم الصحراء قد
اصبحت البلاد تزرخ بالخير كالبحر بعد ان كان الفقر حليفها والجوع اليقها
مدة قرون متعاقبة

ان هذا المشروع الذي سيخلد في بطن التاريخ اسم طيب الذكر
جول فري لجدير بتحرريك شاهية امة عظمى واقد قامت به فرنسا بشجاعة
عظيمة كما سلكت به مسلك التبصر والثبات واستعانت عليه بحكمتها
وبتوكيل الامور لافانها لانه بدون الاتسكال على الزمان لا يتم شي
متين ومستديم

فقرنا والحالة هذا لها امان في قوة هذه العبرة وفي ساطعان الحق
مما يحماها على الاستمرار في السير بالناس نحو مدارك العرفان سيرا تقدر
الاجيال القابلة منافعها العديدة

ومن الوهم ان يظن ان مجرد حكم اداري او قرار ترتيبى تحصل به المساواة بين الناس ولكن لما كان تفاوتهم في الدرجات بحكم الاقدار فعلى اهل المنازل العالية ان يتعطفوا نحو اهل الطبقات التي دونهم وان يمدوا لهم يد المساعدة ليكون ترفهم عليهم مبنيا على مجرد الاحسان الذي ينجر منهم لتلك الطبقات وفي هذا المقام يازم ان يكون مجهودنا منصرفا دائما نحو تقريب العنصر الاهلي من عنصر الاستعمار

فالاهلي كان وبقي محل عنايتنا على الدوام ومن الواجب في كل حال ان لا يفشل احد في استعمال الشدة نحو كنجوبة الناس لحماهم على الخضوع للقوانين والطاعة للحكومة ولكن هناك امرين لا يجوز نسيانهما تلقاء الخضوع الاختياري وهما الرفق الجالب للنفس والعدل الجالب للامان عندما يدوق المرء لذته او يشاهد شعشة نوره

فهذا هو مسلك ادارة الحماية التي هي على بينة من خطتها ومن واجباتها في مشروع مدينتها بهذا القطر وهذا هو رأي اعوانها من ارفعهم شانا لاقامهم مقاما حيثما كانوا بخطة دولية بل وهذا هو الذي يحكم به على كل من يجيد عن الطريق السوي ذلك الرجل العظيم اندي بيده زمام الحماية ومقاليده الامر والمحرز على كامل ثقة دولة الجمهورية وهو نفس مفهوم مجلس الشوري على ما حققه لي امس بينزرت احد كتبها في خطاب بلنج ولا شك ان هذا المجلس المختار حيث ملتي اهل المدارك والاراء المتوافقة مع اهل الخبرة والمواهب الصالحة لا يعبا بالمتاعب في خدمة البلاد

لان استقلالته واخلاصه في مصلحة المجموع يعطيان لارايه ولرغائبه قوة
 لا محيد عن اعتبارها في ميزان المصالح العالية التي تهتم البلاد والعباد فلكافة
 الذين شاركوا في المشروع العظيم الذي نحن بصدد اهدي ثناء وهناء
 دولة الجمهورية كما اهديهما للمعمرين الفرنسيين والتونسيين والاجانب
 من كل الطبقات الاجتماعية لان نشاطهم ومسايرتهم على العمل بالرغم عن
 المصاعب المتنوعة التي يلاقونها هما راس الثروة ولان العواطف التي نبديها
 لهم تحرك فينا داعية الافتخار بالحمية الجنسية حيث نشاهد مساعدتهم على
 تدعيم هيكل الحماية في نسل الراية الفرنسية ذلك الامر الذي ينادي
 بتعظيم شانهم في مستقبل الازمان

وان ائتلاف العنصرين الفرنسيين والتونسيين بهذا المرض التي
 تجددت بهجتها امام انظارنا في هذا الثلاثين سنة لم يكن بالعقيم تلقاء
 غيرتنا الوطنية التي يحق لها ان تشرح لتعارف الجيلين على صعيد واحد
 في مدارسنا حيث تعلموا التعاضد وعقدوا عليه العناصر ويا لانمرح يوم راينا
 نحن تسابق ابنا تونس من كل الاجناس والعناصر لمزاحمة عساكرنا في ميدان
 الشجاعة والنزال بالمغرب الأقصى يقاتلون معهم ككتف الكتف في موطن
 كان الشرف حايضا

وفي الختام ارفع كاسي شاربا على سعادة المملكة التونسية ومساازجا
 الدعاء بالخير للمعمرين وللاهلالي جميعا وداعيا بالعز للحماية وبنجاح مستقبلها
 وبختم هذا الخطاب العظيم صدحت المويستى بالنشيد الفرنسي

ثم بالسلام الملوكي ثم بعد ان دارت فناجين القهوة والمرطبات على الحاضرين
 انفصل الموكب فتوادم فخامة الرئيس والحضرة العلية وعاد الركاب الملوكي
 لسراية القصباء

.....



موكب الحضرة العلية بشوارع تونس

واما فخامة الرئيس فقد ركب مع وزرائه وبعض حاشيته عربات سيارة
 وخرج بصفة غير رسمية على الساعة الثالثة لزيارة المناظر والمواقع الجميلة
 بجبات قرطجنة وجبل النار والمرسى فحل ركابه اولاً بقرطجنة حيث زار
 متحف كنيسة سان لويس وكان في استقباله هنالك الرهبان من طفعة الآباء
 البيض يتقدمهم كبير الدير دلاترو وهو من علماء الارخيلوخيا اي طبقات
 الارض ووكيل المتحف المذكور فكان بالطبع دليل فخامته في تلك الزيارة
 التي شاهد اثناءها تلك الكنوز الثرية المستخرجة من بطون ارض قرطجنة
 نفسها بفضل المثاقفة والحزم والثبات الذي ابداه اولئك الآباء البيض من
 حين تاسيس طفمتهم بغاية الكردينال لافيغري الى هذا اليوم فاستفاد
 فخامة الزائر الكريم من مجموعة تلك الآثار التي امكن بواسطتها ضبط
 سائر اطوار المدينيات التي اجتازتها مدينة قرطجنة حول المصور

ومعلوم ان قرطجنة بنيت على عهد الرومان ودمرت اولاً قبل الاسلام
 ثم ثانياً عند الفتح العربي وبقيت على حالة الخراب نحو اثني عشر قرناً
 ثم اقامت فرنسا فوق اطلالها كنيسة على عهد المرحوم حسين بساي احياء
 لذكر الملك سان لويس الذي جاء لغزو تونس على عهد الدولة الحفصية
 اي قبل عصرنا هذا باكثر من ٦٥٠ سنة

واخيراً احيائها الوزير مصطفى خزندار اواسط القرن الفايث اذ اقام
 بها مركزاً للاصطياف وازدادت شهرتها واتسعت عمارتها بمد الحماية باقامة
 المباني الجميلة والمنتزهات والبساتين النضرة التي منها دوار الشط وصلنبح
 ودرمش وسانت مونيك الخ

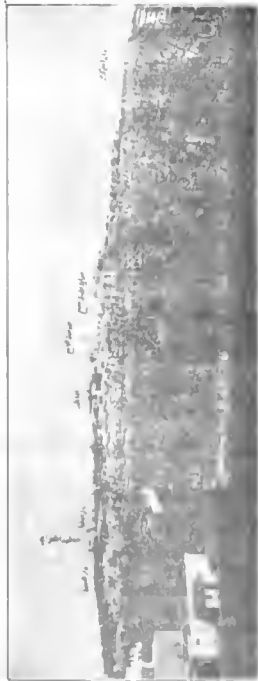
هذا وبعد زيارة قرطجنة توجه الركاب الرئيسى قاسدا جبل المنار
حيث مناخ خلاعة اهل تونس فارتقى الى البلد من الطريق الجديد ونزل قرب
سراية جناب مسيو بلان كاتب الدولة العام المظلة على شاطي كرسى الصلاح
واذاك تعادث فخامته مع جناب الوزير المقيم عن اهمية ذلك الموقع العزيز
النظير وسرح طرف الطرف في هاتيك المناظر الجميلة وكانت البلدة عندئذ
لا بسة ثوب الافراح ومجلسها البلدي وقاضيه الشرعى وشيخ زاويتها على
قدم وساق احتفاله بالزائر الكريم والرئيس الفخيم وفيما كان فخامته قادما
اليها مرتحت انتظارا بالطريق جم غفير من جموع طزق التذكر والمريدين
يتقدمهم شيخ شيوخ الطريقة الرحمانية

اما جبل المنار فهو لما قدمنا مناخ خلاعة اهل تونس واقدم مراكز
الاصطياف نشا اثناء المائة السابعة وموقعه وحيد في بابه سمعنا من السواحين
الثقات الذين طافوا ببلاد البحر المتوسط في الطول والعرض ان جمال موقعه
لم تر العينان قط نظيرة لبلاد اخرى فهو حينئذ الفاضل وما سواه المفضول
والى حسن منارته يشير الاستاذ الاكبر شيخ شيوخ مولانا الشيخ سالم
بوحاجب بارك الله في انفاه

وبالنظر اشعار بجود لاف به مقام ابى سعيد



منظر من بلد جبل النار بأحوال تونس



ثم بعد التمتع بشاهدة هاتيك المناظر بارح فخامة الرئيس جبل النار
 وقصد المرسى فاتهظم عندئذ ان بادارة شركة السكة الكهربائية موكب
 جميل تلقى اثنائه مراسم السلام والاحترام من متوظفي الشركة ثم انعم
 فخامته على مديرها مسيو بلدوف بوسام الشرف وعاد للتفصح في اجراء هذا
 البلد الجميل الذي هو مناخ الخلاعة الملكية في القديم وفي الحديث وبعد
 ان اجتاز ركابه العالي بالسرايا الملكية واشرف من جهة قهوة الصفصاف على
 ساحل البحر واعجب بحسن ذلك المنظر الذي انشرح له اي انشراح قصد
 ركابه سراية السفارة الفرنسية التي هي محل اصطيف جناب المقيم العام
 وهذه السرايا الوحيدة الموقع الجميلة المنظر كانت في الاصل من السرايات
 الملكية فاهداها المرحوم محمد باي للدولة الفرنسية اكراما لحبيبه مسيو
 ليون روش قنصل فرنسا بتونس سابقا وقد اعتنت بها دولة الحماية على عهد
 وزارة مسيو ملي بتونس فاصلحت غراسه بساينها الانيقة وحسنت عمارتها
 لدرجة جعلتها عروس البساين ومجمع الرياحين

وكان فخامة الرئيس عند مروره بساين المكان يستنشق رايحة
 الزهر وهواء الربيع ويسرح الطرف في تلك المناظر البديعة - قال الشيخ
 الباجي المسمودي من موشحة له

يا شاطسي المرسى السلا م عليك يا نزهة العيون

هذا وبعد ان زار فخامته قصر السفارة بالمرسى وتناول قهوة الاكرام
 من يد جناب الوزير المقيم وزوجته الكريمة ركب رجال الموكب سياراتهم

وعاد فخامته واباهم قاصدين حاضرة تونس فمر ركابه في طريقه بجهات سيدي داود مطريق سيدي فرج فالموينة فطريق تونس الموصل لباب الخضراء فالشوارع التي وراء سور الحاضرة فبطحاء باب أبي سعدون فباب حومة العاوج حيث نزل فخامته ودخل المستشفى الفرنسي حيث كان في استقباله مجلس اذنته يتقدمهم جناب الكاتب العام مسيو بلان بملابسه الرسمية موشع الصدر بالشريط الاكبر من نشان الافتخار وبعد ان طاف فخامته بموكبه خلال مرقد المارستان فينت العمليات الجراحية فالاجزخانه ببقية جهات المحل وكانت آية في حسن التنسيق وجمال المنظر استحضر فخامته الحكيم برا كهواي باش جراح بالمستشفى وقلدا وسام الشرف ثم تلقى هنالك مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخيرية الفرنسية واتعم على رئيسها مسيو كورتلان بالوسام المذكور

ثم بارح موكبه المستشفى الفرنسي وقصد فخامته المدرسة الصادقية فدخلها على الساعة الخامسة مساء وكانت المدرسة قد اخذت اهبتها لتلقي زيارة جنابه ولبست اجمل حلة فكانت شرافات بهوها الكبير وادقتها مزينة افخر زينة تاخذ بمجامع القلوب وكان مدير المدرسة ومعلموها على قدم وساق وتلاميذها قد اخذوا مواقفهم بكل انتظام فكان لمجموعهم يبرزهم العربية المتزجة بجمال الطلعة وطلاقة الوجه بدون تكاف منظر يستحسنه كل ذي ذوق سليم



المدرسة الصادقية

ومن المعلوم ان المدرسة الصادقية احدثها الوزير الخطير خير الدين التونسي سنة ١٢٩٢ وخصص في البدء لاتصافها قشلة الزنايدية وهي بناية لم يكن القصد من تاسيسها لتكون مدرسة عمومية سيما وانها واقعة في قلب احدى العارات الكثيرة العمران زيادة على تضايقها بالنسبة لعدد ساكنيها من

التلاميذ فكانت عرضة بمجموع الآراء للاخطار من كل نوع لذلك رأت
دولة الحماية ان تبني المدرسة الصادقية لنفسها مقرا من مال اوقافها الذي
عمرت به خزينتها فشيدت لذلك بنايتها الحالية واتصبت بها سنة ١٣١٥
والحق يقال ان هذه البناية من احسن البنايات العمومية بل هي اجمل
بناء تراه عين الناقد الخبير بالعاصمة التونسية

فلما دخل فخامة الرئيس لبهو المدرسة الكبير المشرف على بستانها
الانيق اعجب بحسن شكلها وجمال موقعها لانها جاءت موضوعة في صعيد
واحد مع قصباء تونس فهي مطلة على جميع الحاضرة واطرافها يتخللها
الهواء النقي في كل صباح وعشي ولدى حلول فخامته بالمدرسة استقبله
كل من جناب الوزير المفوض مسيورا والكاتب العام للامور العدلية
وجناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف قدم له جناب مدير العلوم
متوظفي المدرسة مبتدئا بمديرها المستعرب الاستاذ الكبير مسيو دلاس
فصافحه فخامته مصافحة الكرام ثم تعرف فخامته بالشيخ محمد بن شعبان
امام المدرسة وحيلا وبش في وجهه ثم صافح الاستاذ الشيخ الطاهر بن
عاشور فالاستاذ الشيخ حسين بن الخوجه فالاستاذ الشيخ الصادق بن
القاضي فبقية الاساتذة فالمعلمين فوكيل الوقف فالمدول فالمامورين
باقلام الخدمة ثم تقدم الموكب نحو صفوف التلاميذ فاعجب فخامته
بانظماهم ويزيهم التونسية واذك تقدم احد نجباهم وهو التلميذ
سي صالح مزالي المنستيري والتقى على مسامحه الخطاب الذي باللسان
الفرنساوي الفصيح



التلميذ سي صالح مزالي يخطب بين يدي رئيس الجمهورية
يا سيدي رئيس الجمهورية

انه بالنيابة عن تلاميذ المدرسة الصادقية اشرف جدا بتقديم سلامنا
واحترامنا وبتهنئتك بالقدوم المبارك - هذا وان حضوركم بيننا تطاولت به
اغناقتنا واكسبنا فخرا ولا شك ان زيارتكم هذه تدل على ما لفرنسا
العظيمة من العناية بهذا القطر الذي احبته بمساعدتها ولكن من واجبنا
بالخصوص يا سيدي الرئيس ان نشكر اليكم عن تشريفكم لمدرستنا لان
زيارتكم الينا فيها برهان نفيس على ما لفخامتكم من العناية بالناشئة التونسية
وباعت على تنشيط هممنا للاقبال بجزم وعزم على التعلم والشرب من منهل
العلوم التي اصبح موردنا بكرمكم طافحا لدينا

ولاشك ان هذا المذلل هو المنهج الوحيد لتحقيق نجاحنا وتقديمتنا
لمصاف الرجال النافعين لبلادهم والجديرين بالنصائح التي تهياهم انوال

تلك الصفات وبالتأخي والتوَادد مع الأمة العظيمة التي احتدت بلادنا في
كنف حمايتها وهو كنف يأسعد من دخل في حماه

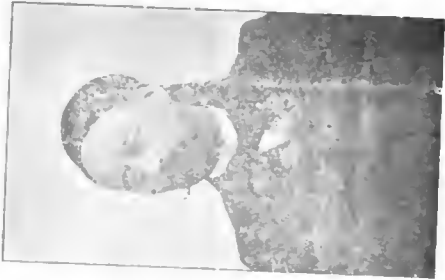
هذا وأنا أتقدم بعبارات الشكر والامتنان للدولة الفرنسية ولذاتكم
الشريفة ونلتمس من فخامتكم في هذا اليوم المشهود ان تتركروا بقبول هذه
الباقة من الزهور اكراما واحتراما واعزازا من تلامذة المدرسة الصادقية اه
واذاك تقدم النقيب التلميذ سي اسكندر حيدر حفيد المرحوم
سيدي محمد الهادي باي ودفع لفخامة الرئيس تلك الباقة الجميلة المشار
اليها في خطاب رفيقه فاخذها الرئيس وعلّام البشر بادية على محياه وافصح
للتلميذ الخطيب ولبقية التلاميذ عما يتمنى لهم من الخير والسعادة وحثهم
جميعا على التعلم والقراءة وعلى مواصلة اللغة الفرنسية بكل جهد واجتهاد
ثم قال فخامته « اتنا جئنا هذه الارض لنفرض محبتنا في قلوب اهاليها - اما
انا فسا بقى متحفظا على ودكم ولا اتساكم بعد اليوم ورجائي انكم تقابلون
ذلك المثل فتجعلون نصب اعينكم حب فرنسا التي تحبكم كثيرا والتي ساصدع
فيها عند الرجوع اليها بما شاهدت هنا من الادلة الناطقة بسلامة الاستقبال »
ثم ان فخامته تقدم لصف رفقاء الشبان ابنا الامراء الحسينيين وكانوا
نحو العشرة وقصد بالخطاب البرنس الاسعد الانجب سيدي محمد باي رابع
انجال الحضرة العلية البالغ سنه للثالثه عشر من عمره فحثه على الاقبال
على العلم وهناله وهنى بقية البرنسات المزاويل للعلوم بالمدرسة بما
حصلوا عليه من الترقى بعناية صاحب السمو والدهم الكريم الذي قصد
يتعليمهم التدرج بهم في مدارج الكمال وبعد ان صافحهم واحدا واحدا
واتنى على اهتمام المستعرب الكبير مدير المدرسة جناب مسيو دلماس

استحضر لديه نخبة من الاعيان كان وقع استدعائهم للحضور بتلك الحفلة
وقلدهم يديلا على رؤس الاشهاد وسام الشرف وهنائهم بذلك مباشرة فاحسن
بالرتبة الثالثة ترفيعا

للسيد محمد القروي رئيس خزانة المكاتب العامة بالدولة التونسية
وللسيد مصطفى دثزلي عامل احواز الحاضرة
واحسن بالرتبة الرابعة

للسيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى
وللسيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة
وللسيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
وللسيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط
وللمسيو فيتوسى العضو بمجلس الشورى
وللسيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي
وللسيد محمد الفوراتي العضو بمجلس الشورى

وكان فخامته عندما يوشح صدر كل واحد منهم بالنيشان المختص
به يلاطفه بجميل القول فمن ذلك قوله لهذا العبد صاحب هذه الرحلة
« انك تحمل شعار العلم فلتحمل معه الآن شعار الشرف » وقوله لصاحبنا
عامل الاحواز « نرفع قدرك في مدارج الشرف لانك خليك بذلك واتي
لم ازل على ذكر من الليلة الانسة التي حضرها بدارك سنة ١٩٠٣ - اما
سهرية هذه الليلة التي ستمتحنون لها ابواب داركم فانه يحول دون مجيئي
اليها وجوب حضوري بالمادة الملكية التي ستقيمها الحضرة العلية هذا
المساء » الى غير ذلك من المبارات والمجاملات التي اتلجت صدور الجميع



السيد محمد القروي رئيس الجمعية العامة



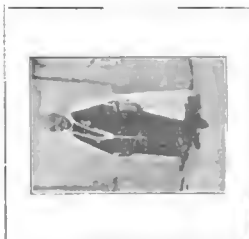
السيد محمد بن الحوجة رئيس قسم المحاسبة



السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة
هذا وقد هنى بعض الادباء هولاء الاعيان بايات نصها

رئيس الخزانة القروي يهنا باوفسي اجيون دنور
وذقزلي عاملنا النشيط يهنى مثله بنمونور
وبالشفلي يهنا الشيخ عالي وزاوش ويصحب بالسرور
وكاتب قطرنا الخوجي يهنا بدا النيشان اكليل الصدور
وخير الله والفوراتي ايضا نهنيهم وفيتوسي بالكثير
وبالكيلاني نختم ذي التهامي وندعو للجميع الى النشور

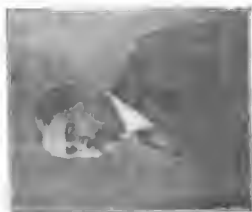
وكان هذا الانعام من فخامته بتسمه نياشين في مجالس واحد على نخبة
من الاهالي محل الشكر العميم لانه اقام بذلك دليلا على تقدير الدولة
لمزايا المخلصين في خدمة الحماية سواء كانوا من الماهورين او من غيرهم



السيد الكيلاني شلبي العضو البلدي
بتونس والمعمّر الفلاحي المشهور



السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس
الشورى وعميد النشأة التونسية



المسيو فتوسي العضو بمجلس الشورى
والمحامي المشهور

وقبل ان يبارح فخامته المدرسة الصادقية تلقى جنابه بها مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخلدونية واستعلم من رئيسها السيد عبد الجليل الزاوش عن كيفية نظامها وسير التعليم بها ثم اثنى على همة الفضلاء الذين اسسوا مشروعها بمساعدة الدولة الحامية وتكرم على صندوق الجمعية بالف فرنك اعانة لها على القيام بشؤونها العلمية

ثم بارح موكبه المدرسة وقصد المستشفى الصادقي ونزل فخامته من عربته على رصيف بطحاء القصباء وسار وحاشيته على القدم مخترقا لصفوف الماسكر وكانت واجهة المستشفى ومحلاته مزدانة بالرايات الفرنسية والتونسية وشعار الافراح وهذا المستشفى الذي اصبح محل عناية جناب الكاتب العام للامور الادارية من تاسيسات الوزير خير الدين الان انتصابه لم يتم الا في سنة ١٢٩٦ وقد اقيم بقشلة البشامقية فدخله فخامة الرئيس مصحوبا بالكاتب العام المذكور وكان هنالك لاستقباله مجلس ادارة المستشفى يتقدمهم جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة يعضده شيخ المدينة ورئيس جمعية الاوقاف وبقية اعضاء المجلس واذاك طاف فخامة الرئيس بمحلات المستشفى واعجب بانتظام امورها ونظافة قاعاته وتسام عدلة قاعة الجراحة واستكمال نصاب عقاقرته فائنى على همة وبراعة مديره الباش حكيمة برنصفيك ثم احسن له بوسام العلوم من الدرجة الاولى كما احسن بمثله من الدرجة الثانية لمعاونه الحكيم حسين بو حجاب

وقبل ان يبارح المستشفى زار بيوت المرضى وسال عن معاشهم ثم زار بيت النسوة المريضات وتلطف نحو زوجية عيالة اتقدها حكيم المستشفى من

الموت لتأخير اجلها فتنازل فخامته لسوالها مباشرة عن صحتها بما انطق
لسانها بالدعاء الجزيل لفخامته

واذاك قد ارخى الليل جناحه وبزغت في سماء البلاد اشعة الكهرباء
التي حلت محل اية النهار فخرج موكبه من هنالك قاصدا مدرسة جول
فيرى الانائية مارا بشارع باب منارلا حيث اقام النشيط سي صالح الكشباطي
زينة فاخرة عربية امام قهوته هنالك وكان كلما مر ركابه بجمع من الخلائق
المتماوجة بالشوارع والطرقات هتفوا له بالدعاء والسلام فدخل المدرسة
على الساعة السابعة مصحوبا بمدير العلوم والمعارف وتلقى مراسم التهنئة من
المديرة والمعلمات كما تلقى تهنئة تلميذاتها اللطيفات بلسان رفيقتهن الماجدة
الاصيلة مادموزيل البيت كريمة المقيم العام وبعد ان احسن مجاملته
المعلمات والمتعلمات تكرم عليهن براحة ثلاثة ايام تضاف لراحة عيد
الفصح ثم بارح مدرسة البنات بين عبارات النشيد الوطني بلسان التلميذات
فكان صدا غنائهن مستملا للمهج والقلوب

ومن هنالك قصد ركابه مدرسة كارنو العليا فدخلها مصحوبا بمدير
العلوم وكان التلاميذ في عد المئين منتظمي الصفوف فلما حل بينهم هتفوا
مرارا بالدعاء لفخامته فانشرح لذلك انشراحا بانث آثاره على اسارير وجهه
وحصل له من شدة الوقع والاستحسان ما ادركم التلاميذ فاعادوا كرات
التهنأ بحماسة وطنية غربية كان لها دوي في الاذان وتأثير في القلوب
واذاك تعرف فخامته بالمديرين والنظار والاساتذة وحل وسطهم وقلد
رئيسهم الاكبر العلامة الاستاذ الأشهر ميسو شريتي المدير العام للعلوم
والمعارف وسام الشرف الفرنسي وقبله وهناه



جناب مسيو شارلتي المدير العام للعلوم والمعارف

فحدثتُ عندئذ بين عموم الحاضرين هزة فرح بلغ صداها لعنان السماء وانقلب سرور التلاميذ لحالة جذل وهيام ثم ان فخامة الرئيس منح التلاميذ ثلاثة ايام راحة زيادة على المعتاد وخرج موكبه من مدرسة كارنو قاصدا زيارة المعرض الصحي بسراية الشركات الفرنسية

وكانت السراية وما ادراك ما هي في الحسن والبهاء والفخامة والرياش وضروب الزينة يحفها كوكبة من العساكر والناس حولها متجمعون الوفا الوفا فدخلها فخامة الرئيس بين ضجات تلك الجموع بالهتاف البليغ المسموع وقد تلقا بباب السرايا مدير المعرض مسيو لتورنور وطاف به حول المعروضات الصحية فاستحسن نظامها واعرب عن ابتهاجها لحسن انتهابها واتساقها وكان القسم الخاص بالملا الممدنية على انواعها محل انظاره ومزيد تدبره واعتباره ثم تلقى من جمعية غراسه الزهور اكليل من الياحين وتعرف بجمعية الفواكه البواكر وتلقى بعدئذ مراسم التهنئة والاحترام من جمعية

بث التعليم واللغة الفرنسية بين الاقوام ورفع رتبة رئيسها مسيو كمونو
لدرجة ايسي من اللجيون دونورين هتاف الحاضرين

ثم ان جناب المقيم العام قدم لفخامته مسيو دلا فارين رئيس الجمعية
الفلاحية واثنى على همة هذا الجمعية واعانتها على المشروعات الزراعية
وتنمية عمران البلاد فشكرا فخامة الرئيس واحسن له بالصنف الرابع من
الوسام المذكور كما احسن لكاهية الجمعية ولأعضائها باوسمة الفلاحة من
درجات مختلفة وبارح الموكب سراية الشركات الفرنسية بين مظاهر
الاجلال والتوقير واذاك رغب فخامته ان يمر موكبه باحياء البحيرة مناخ
الزينة البلدية فتجول في شوارعها بين الجموع والصفوف وهتاف الالوف
ثم عاد ركابه لدار السفارة الفرنسية على الساعة السابعة ونصف مساء وبعد
ذلك بدقائق معدودات خرج فخامته ووزراء وحاشيته في موكب رسمي
بميج لعضو مادبة العشاء التي اقامتها الحضرة العلية الملكية اكراما لفخامته
بسراية القصبة

ولكن قبل ان نتكلم على هذا المادبة نقول ان هذا السراية انشاها
المرحوم حمودلا باشا سنة ١٢١٨ وهي فسيحة الجوانب رحبة الزوايا
والمناكب ازدادت محلاتها اتساعا كما احدثه فيها الوزير خير الدين
من البيوت المطلّة على بستان القصبة وعلى الاسواق التجارية الجميلة التي
حاول بواسطتها احياء معالم التجارة الاهلية التي عفت رسومها وهي
اسواق صارت فيما بعد دواوين لادارتي الاشغال العامة والمالية عند احدثها
حوالي زمن الاحتلال وايضا تعاظم وتسامخ بناها بما اضافت لها دولة الحماية
من البناءات الجديدة لاستكمال نصاب اقسام الادارة العامة التي تحولت

اليها بعد اجلائها عن سرايات باردو القديمة في سنة ١٣٠٠ بحيث ان
سراية المملكة بتونس ويطلق عليها في العرف الاروباوي لفظ « دار الباي »
لانها بالفعل كانت في القديم مسكنا للبايات ثم في النصف الثاني من القرن
الفارط دار ضيوف للملوك والمظماء الواردين على تونس ومقرا للباي
وحاشيته مدة شهر رمضان وليلة المولد الشريف هي عبارة عن



بهو الطاق العاوي بسراية المملكة

قسمين شامخين من البناء احدهما على الاسلوب العربي الجميل وهو
الطاق العاوي الذي اسسه المرحوم حمودة باشا والاخر على النمط الاروباوي
او ما يقرب منه وهو ما بني على عهد خير الدين وعلى عهد الحماية ويرى
الناظر في الرسم السذي زينا به هذا الصحيفة جمال ذلك الصنع الذي
يحاسكي احسن ما ابرزه الذوق العربي من مبتدعات هندسة البنائات
الاندلسية

اما المادبة الملكية فقد اقيمت بقاعة التشريفات الكبرى المشرقة على
الستان البلدي الانيق وكانت ليلتد محلات السرايا وسقيها وبوها مفضاة
بالابسة الحريرية والزرايى الفاخرة والمتكثات والا كسية والرياش وكانت
انوار الكهربية البالىع عدد مصايحها لنحو الالف بين ثريات وفوانيس
واسرجة تناطح الشمس فكان لمجموع ذلك منظريها كى احدى المناظر
المتحدث عنها فى كتاب الف ليلة وليلة ايام دولة هارون الرشيد ووزيره
جعفر

وكان تنمى ذلك وترصمه بالزهور والرياحين ونشو النخيل والوقوف
على استكمال ترتيبه وصنعه منوطا بدوق الشاب النشيط مسيو دولور
كاتم سر جناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام بالعدلية حتى ان الحضرة
العلية لم تتمالك عن اظهار استحسانها واعجابها بما قام به الشاب المذكور
من الخدمة لمقامها العالى مما استوجب عليه الشكر باسان سموها مباشرة
منها اليه

وكانت زينة مدخل السرايا بدوق عسكري جميل فكانت واجهة
الجدران مزينة بالاسلحة والسيوف والخناجر من كل نوع وعصر ولما كانت
الاعاءة الثامنة وصل الركاب الرئيسى لبطحاء القصباء مخفورا بالمساكر





بطحاء القصبة

واذاك ادت له عساكر العسة المصونة مراسم الاحترام وترنمت الموسيقى
بالسلام ثم دخل فخامته وحاشيته للسرايا حيث دان المقام الملوكي في
انتظاره براس المدرج فتلقاه بوجه بسيم وتصافح وفخامته مصافحة ودية
قلبية ثم دخلا بيت المادبة يتبعهم اندوات من المعزومين للطعام في صحبة
جنابهما الفخيم

فجلس بصدارة المقام فخامة الرئيس والحضرة العلية وجلس حولهما
الى اليمين والشمال الذوات الاتية اسماءهم
جناب مسيو دل كاسي وزير البحرية
جناب مسيو بامس وزير الفلاحة
جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالوسطة والتلغراف
جناب البرنس سيدي المتصف باي

جناب سيدي يوسف جميعط الوزير الأكبر

جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب مسيو مولار مدير التشريعات

جناب مسيو رامندوباش كاتب قصر الرئاسة

جناب الجنرال يستور قايد جيش الاحتلال

جناب الجنرال شاي من امراء جيش الاحتلال

جناب الجنرال تروملت فايير مثله

جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية

جناب مسيو بلان الكاتب العام للامور الادارية

جناب مسيو ده فاج مدير الاشغال العامة

جناب مسيو دوبرديو مدير المالية العام

جناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف

جناب مسيو بربرات مدير البوسطة والتلغراف

جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة

جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة

جناب مسيو مولو رئيس البعثة المالية

جناب القبطان البحري موتزباش كاتب وزارة البحر

جناب مسيو بيريل باش كاتب وزارة الفلاحة

جناب مسيو دوفوباش كاتب البوسطة والتلغراف

جناب مسيو يوباش كاتب السفارة الفرنسية

جناب مسيو اندري فليار نجل رئيس الجمهورية

جناب مسيو دل كاسي نجل وزير البحر

جناب الكلونيل قيز من ضباط العسة الرئيسية

جناب الكلونيل هيلوت مثله

جناب مسيو دجان الكاتب الثاني بالسفارة

جناب مسيو لوجي

جناب مسيو بونيون

جناب الحكيم مسيو ريكار طبيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكمندان طيسون رئيس اركان الحرب بجيش الاحتلال

جناب مسيو مارك فارين كاتب الرئاسة الخصوصي

جناب القبطان جوان معين المقيم العام

جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة

جناب امير اللواء السيد الصادق غيلب شيخ المدينة

مسيو تريالات مدير شركة بون فالمة

وكان مجلس العشاء موسوما بمظاهر الوداد العالي من الجانبين والخدمة

المتاولون للاطعمة من العيد وكانوا في عدد اثني عشر زنجي متجلين بلبوس

ذات الوان ساطعة تناسب سواد بشرتهم مما زاد في ابساط الحاضرين

وحلم على الاعجاب بكمال تهديهم وقيامهم بوظيفتهم خير قيام

واذاك ترنمت المويستى بالنشيد الفرنساوي ثم بالسلام الملوكي الحسيني
ثم دارت فناجين القهوة على الحاضرين وفيما بين ذلك استحضر فخامة
الرئيس الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية وانعم عليه بوسام الشرف



الحكيم مسيو لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

وبعد ان تجاذب المقامان الكريمان اطراف الحديث والمناداة تصافحا
مصافحة الكرام وعاد ركابهما ففخامة الرئيس لدار السفارة والمقام الملوكي
بارح الحاضرة عائدا لسراية المرسى العامرة



منظر من موكب الركاب الملوحي خارج العاصمة

وفي هاته الليلة نفسها اعد المجلس البلدي مادبة اكرام بخان « قصر
تونس » لضباط الاساطيل الاجنبية والاساطيل الفرنسية الراسية بميناء
بنزرت ولأصحاب الجرائد الفرنسية الوافدين على تونس في جملة اهل
الركاب الرئيسي وكان مدير نظام تلك المادبة الانيقة النشيط مسيو جوزاف
فلنسي مدير الاقسام الادارية بالمجلس البلدي حضرها بالاستدعاء نحو
الثلاثمائة من ضباط البحر ومن اعيان الفرنسيين واعيان الجالية الانكليزية
والجالية الطليانية وفي ختامها شرب كاهية المجلس البلدي نخب جلالة
ملك انكلتيرة و جلالة ملك ايطاليا و جلالة ملك اسبانيا ثم خطب خطابا
نفيسا في الترحيب باولئك الضيوف الكرام وطلب من اصحاب الجرائد ان
يشهروا باصقاعهم محاسن الحاضرة التونسية ويلفتون انتظار الدواحين
لصحو سمائها الجلي ولجمال اسواق تجارتها الاهلية ثم شرب على ذكر
ضباط الاساطيل وعلى سلامة الصحافيين بالنيابة عن عموم سكان مدينة تونس
وفي تلك الاثناء كان الهمام الاحزم السيد مصطفى دنقزلي عامل
احواز الحاضرة قد اخذ تاهباته لاقامة ليلة انس فاخرة بدار سكنه بباب
البنات اكراما لوزراء الدولة الجمهورية لضباط البحر والجنرالات قواد
الجيوش ولبقية الدوات والاعيان وبالف في ذلك للحد الذي جعل منزله
سما مرصعة بالنجوم تخفق فوقها الاعلام ويظلمها الجلال والاكرام فكان
العامل المذكور وخلفاؤه ورجال ادارته على قدم وساق يستقبلون الزائرين
بكل لطف ولين ولما احتبك المقام كمل الانس بقدم جناب الوزراء
والجنرالات والكاتب العام ونجل فخامة رئيس الجمهورية ونجل رئيس
الوزراء الفرنسية واذاك دارت على الحاضرين لؤس المسرة فكانت

المجلس يعاكي بجماله اتمن درة وكانت اناشيد الفرح تتلى واغاني السرور
والفخار تترنم بها الافوا فتميدها نفحات الاوتار

وممن حضر هذه الليلة الانسة ارباب الصحافة الفرنسية مكاتبو
الجرائد الكبرى الباريسية كالطنان والماتان والجورنال وغيرها وقد آنسوا
من مكارم رب الدار واحتفاله واحتفائه بهم ما حملهم على قضاء ليلتهم كلها
بتلك المجلس الانيس

وقد امتازين اولئك الضيوف من اصحاب الجرائد الاخباري اللييب
مسيودوفوفي محرر جريدة « توليون » اذ اعرب عن لطف وسمرو ومشاركة
في مظاهر الزهو والحديث الانيس ضرب صدا فيما بين تونس وجرجيس
حتى ان بعضهم لقبه بدوفوفي باشا لانه اتى من ضروف الظرف بما شاءوا
وبما شاء

وكانت هذه الليلة الانسة خاتمة احتفالات اليوم الثاني من قدوم
فخامة الرئيس لتونس حيث تقرر ارتحال جنابه صبيحة اليوم التالي
للجهات القليلة



الباب الثالث

في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجم وافتتاح سكة
حديد سفاقس (يوم الخميس ٢٠ افريل ١٩١١)

قبل ان يبارح فخامته العاصمة التونسية تلقى جنابه بالتلفراف رسائل
الشكر من ملوك انكلتيرة وايطاليا واسبانيا عن التلفرافات التي ارسلها
لجلالتهم يوم ١٨ افريل ١٩١١ بعد استعراض الاساطيل بميالا بنزرت
وكانت هذه الرسائل آية في التلطف تعرب عن علايق الود الراسخ بين دول
اولئك الملوك والدولة الجمهورية - ولما اصبح صباح اليوم المذكور كانت
الادارة العسكرية قد اخذت تاهباتها وحشدت الجيوش على ممر الركاب
الرئيسي فيما بين السفارة العامة وموقف سكة الحديد الجنوبية

ومعلوم ان ارتحال فخامته لقصر الجم هو من الابواب المهمة المقررة في
برنامج زيارته للعماللة التونسية لان القصد من ذلك حضور فخامته لافتتاح
السكة الحديد المحدثه اخيرا بين سوسة وصفاقس كما سيرى القاري
تفصيل ذلك في محله من هذا الباب

فتحرك الركاب الرئيسي من السفارة مخفورا بعساكر الخيالة على
الساعة السادسة ونصف وقصد المحطة على نغمات النشيد الفرنسي وقرع
الطبول والدفوف واذاك بزغت شمس الركاب الملوكي من جهة شارع
باريس فلما كان موكبه على مقربة من النادي العسكري بشارع فرنسا
ادت مويستى الزواف لسموة السلام الملوكي وقرعت الطبول والدفوف
فتوجه الركابان يتلوا احدهما الاخر للمحطة المذكورة وعند الوصول اليها

ارتقى فخامة مسيوفليار ووزراولا وحاشيته للعربة الرئيسية بعد ان وادعه جناب مسيودلكاسي وزير البحرية حيث عاد ذلك اليوم لبنزرت ومنها لجزيرة كرسبيكة كما وادعه الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي واركان حربه لتقرر رجوعهم ليلالا مالطة حيث تمت ماموريتهم

اما الحضرة العلية فقد ركبت القطار نفسها حيث استوت بمربتها الملكية مصحوبة بوزرائها وبرجال المية السنية واذاك سار القطار بين هتاف الهاتفين ودعوات الداعين يشق ضبابا كثيفا تحت غيوث وابلتة تعذر بها على الراكبين ان يسرحوا النظر في طريقهم ويشاهدوا خصب وبركة هذا العام المبشر بوفرة الزرع والضرع

وكان تقدم سفر هذا الرتل الرئيسي الملوكي قيام رتل خصوصي خرج من تونس بكرة ذلك اليوم حاملا لاعضاء مجلس الشورى ولارباب الصحف ولمن دون رجال الحاشيتين من الاعيان

فلما وصل الرتل السامي لمحطة يربورقة من الوطن القبلي نزل فخامة الرئيس وتلقى مراسم السلام والاحترام من اهالي المكان وكانوا في جمع عظيم يتقدمهم شيوخ الطرق وعمدهم واعيانهم وكانوا يضربون طبولهم وينفخون في مزامرهم المسماة « زكرة » ويهتفون بالتحية والسلام للمقامين العظميين ويرتلون الادعية والاذكار فشكر فخامة الرئيس سعيهم وارتقى لعربته بعد ان تناول شيئا من ادكل بمطعم المحطة ثم سار الرتل حتى بلغ محطة النفيضة باولاد سعيد من عمل سوسة واذاك نزل موكب فخامة الرئيس لهذا المركز الاستعماري الخصب الذي له عاقبة مستحكمة بالاسباب

التي اعقبها نصب الحماية على تونس وهذا النفیضة عبارة عن هنشير واسع
الاطراف يتراوح بين ستة آلاف وسبعة آلاف ماشية ملكها المرحوم الصادق
باي للوزير خير الدين ومنه ابتاعتها قبیل الحماية الشركة الافريقية الفرنسية
التي احبتها واقامت بها العمارات العظيمة والمصانع واسست بها المدارس
والاسواق وكل ما يلزم لجعلها مدينة قابلة لسكنی نخبة من كبار المعمرين
الفرنساويين واتباعهم فهي اول مركز استعماري فرنساوي بالعمالة التونسية
فلما حل بها فخامة الرئيس والحضرة العلية كانت البلدة متهيأة لقبول هذه
الزيارة واعلام الفرع تدرو على اعاليها وكان المعمرون واعيان الاهالي على اهبة
تامة فاخفق اخوان الطرق سناجقهم ورددوا ذكرهم وهتفوا بالدعاء للمقامين
الكريمين واذاك تقدم مدير شركة النفیضة والقي على مسامع الرئيس
خطابا اشار فيه للمجهودات والمصاعب التي غالبتها الشركة وتغلبت عليها
ايام انشاء هذه المستعمرة الزراعية المرتبطة ارتباطا له معنى بتاريخ الحماية
الفرنساوية ثم تعرض للترقيات التي احرزت عايتها النفیضة فيما بعد حتى
اصبح قلبها مدينة زاهرة لا يقل عدد طلبة العلم فيها عن ثلاثمائة تلميذ
بين ارباوين وتونسيين وختم خطابه بشكر فخامة الرئيس والحضرة
العلية التي لها المنزلة العالية في قلوب رعاياها والاحترام العظيم في انفس
سائر الاروباويين نزلاء المملكة التونسية

وقد اجابه فخامة الرئيس وكان مكشوف الراس بالرغم عن تهاطل
الامطار وابدى له عبارات شكره عن هذه العواطف والتصريحات الفايدة

واضاف لذلك ما نقله بحروفه (واتي لمتيج برايك المصيب الذي حملكم على الاعتقاد بانه لانجاح للمشروع الذي كتبتم على انفسكم اجتازا إلا بالاتحاد المتواصل بين العنصر الاستعماري والعنصر الاهلي وفي ذلك ما لا يخفى من تحقيق وتنمية ثروة وعمران هذا القطر) ثم صافحه مصافحة قلبية وعاد الموكب للرتل فجد القطار في السيرين هتاف تلك الوفود وجوع ذلك العقد المنضود

ثم بعد هنيئة لما وصل الرتل لمحطة سيدي ابي علي وقف ليتزود الماء اللازم لما كتبه واذاك تقدم تحت انظار فخامة الرئيس والحضرة العلية جموع اهالي تلك الجهة ومن انظم لهم من الجهات السحيقة وكانوا في عدد عظيم فتلقى منهم المقامان الكريمات شعائر الطاعة والاخلاص وجاملهم فخامة الرئيس ببعض عبارات تناسب المقام اداها لهم بالعريضة مسيو لويطو المعمر المشهور ومما خاطبه به اولئك الجموع اعرابهم لفخامته عن استبشارهم وتفاؤلهم خيرا بزيارته المباركة المخضرة العقب البشرية بسلامة المزروعات وخصب هذا العام الذي سقت غيوثها الارض بخيرات وفيرة فانشرح فخامته لذلك الرجاء ودعا لهم بتحقيق الامال ثم تنازل فخامته فنكلم مباشرة مع شاب اهلي حيدلا باللسان الفرنسي الفصيح وشكره عن ثمرات تعلمه بالمدارس الفرنسية وحثه على ترغيب بني جنسه في الاقتداء بمثاله ثم اذن باستئناف السير فتحرك القطار قاصدا سوسة حيث ارسى على الساعة العادية عشرة صباحا

ولما كان المطر غزيرا وسيوله مفعمة تعذر حينئذ اقامة موكب كبير كما قرر
 برنامج الزيارة ولذلك استقر الرأي على تاخير الموكب العمومي لمجيء
 فخامة الرئيس بعد رجوعه من الجهات القبلية وزيارته للقيروان وحينئذ
 اكتفى فخامته بتلقي مراسم السلام والاحترام من الجنرال ديزورتي
 القائد العسكري بالساحل ثم من المراقب المدني ومن عامل سوسة وقد
 كانت المدينة اذاك بالرغم عن تهطل الامطار بدعة في الزينة والاحتفال
 اقيمت باحيائها اقواس النصر واخفقت على دورها ومعالمها الوية الفخر وكان
 اهلها من كل الملل والنحل وتلامذة مدارسها قد خرجوا من قبل للتشرف
 بمواجهة الجنائين الكريمين فعمروا الشوارع والبطاح ولم تصدهم تلك
 الامطار الغزيرة التي كادت ان تكون طوفانا عن ابداء اميالهم وتعلقهم
 وولائهم للرئيس المرغوب والملك المحبوب وفي تلك الاثناء استدعى
 فخامة الرئيس لعربته كلا من مسيو كاليني كاهية المجلس البلدي بسوسة
 ومسيو لوكور كرباتي مدير « الديش تونزيان » وكلاهما من اعضاء
 مجلس الشورى ومن اصحاب الافكار الراجحة والمساعي الناجحة فحظيا
 بالجلوس لديه وتجاذب معهما اطراف الحديث في المسائل والامور
 التونسية

ولم يدم وقوف القطار بمحطة سوسة سوى جلسة خطيب ثم
 استأنف سيرة مارا على شريط السكة الحديدية قاصدا قصر الجهم وكان
 المطر في ازدياد والارض باسمه مخضرة والشجرة المباركة تسحر بجمالها
 المعقول وكان فخامة الرئيس يدير دولاب الاحاديث في فنون الزراعة

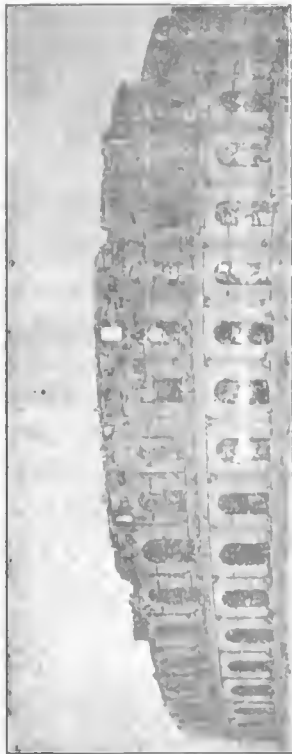
التي لها احاطة بها من قبل حيث كان باشرها في شبابها وبقي مولعا بها
ومحبا عليها واذاك وصل الموكب الرئيسي الملوكي لمحطة قصر الجم
ودخلها على الساعة الواحدة بعد الزوال

وهنا لا مندوحة لنا قبل التكلم على احاديث ذلك الموكب من التعريف
بهذا القصر الازلي الذي بقي خالدا حول العصور ولم يعبا بكر الدهور
فقصر الجم عبارة عن هيكل شكله يبضي طولها ثلاثمائة ذراع في
عرض مائتين بنال الرومان ايام شباب استعمارهم بافريقيا اي حوالي المائتين
الثانية للميلاد على اثر بناء نيرون الجبار لهيكل رومة الباقية اطلاله لهدنا
هذا وكان تشييدهم للقصر المذكور بنية جعله مرسحا لمصارعة الثيران
وللاحتفالات والمشاهد العمومية في قلب مدينة زاهرة عفت رسومها بعد
كانت تعرف لهدهم باسم « نيسدروس » وكانت هي مناخ خلاعهم
وتفسحهم يقدمون اليها من دواخل البلاد التي عمرها كدقة وسيطلة
وغيرها قال السيد البشير صفر في جغرافيته التاريخية كان الرومان « يجلبون
اليه العبيد الآبقين وغيرهم من ذوي الجرائم فيدخلونهم في ساحة المرح
ويناولونهم اسلحة دفاعية ثم يطلقون في تلك الساحة بعض السباع الكاسرة
فتصارع اولئك الساكنين ويصارعونها فان قتلوها خلي سييلهم وان قتلوا
افترستهم السباع ونفذ فيهم القضاء »

اما مدينة « نيسدروس » المدكورة فام يقع العثور عليها إلا في السنين
الاخيرة لذلك كانت قبل الكشف عليها اذهان علماء الآثار حائرة في فهم
السر الذي حمل الرومان على تشييد ذلك الصرح الفخيم بفلاة من الارض

لا عمارة بها لانهم لم يفعلوا شيئا سدى مثل الفراعنة الذين ابنتوا اهرام مصر
فكشف الغيب في السنين الاخيرة على اطلال باقية تحت الارض لمدينة
متلاوحة الاطراف كانت موجودة حول قصر الجم يظهر من آثارها انها
كانت طافحة بالعمران لتوفر اسباب المدينة فيها اذ هم عثروا في ثنيات ذلك
الطلل البالي على حمامات وكنائس وبيع شان المدن المتمصرة في هاتيك
المصور

ويقول الانريون ان قصر الجم وحيد في نوعه لا يعرف له مثيل غير
مرسح رومى المشار اليه على ان التلاشي الذي اصاب هذا اكثر من
الذي اصاب ذاك - واما المرسح الجميل الذى اقامه الرومان ايضا ولم
يزل قائم الدات الى الان بمدينة نيمه من اعمال فرنسا فهو ايضا على شكل
قريب منهما إلا انه دونهما في العظم والشموخ وقد زرت سنة ١٣٢٥
ووقفت على اطلال موقف النظر والاعتبار إلا ان العناية به منذ زمن
بعيد جعلته مصانا عن عبث من لا يفهمون معنى لآثار الامم الخالية
والقرون الماضية وهم بقطرنا اكثر من الكثير لذلك قد عبث ايدي
الهمجية بقصر الجم ازمانا طويلا حتى تلاشى منه ما ليس بالقليل ودام
ذلك الى انتصاب ادارة الانطكخانة وهي من التأسيسات الاولى
التي زينت بها الحماية وجه هذه البلاد في جملة ما ادخلت عليها من
الاصلاحات فاستصدرت اواسط دولة المرحوم علي باي قرارا في حفظه
واعتباره اثرأ تاريخيا يجعل قدره عن التلاشي والاهمال



منظر قصر الجم

وقصر الجم كان في زمانه ياوي ستين الفا من المتفرجين وهو ذو ثلاث طبقات وعلوا شاهق يربو على الخمسين قدما ويظهر ان ارتفاعه قبل كان اكثر من ذلك قال التجاني في رحلته وارتفاع قصر الجم مائة ذراع ومنه كانت العرب ترصد النجوم وبها ظهر لهم نجم سهيل ولم يكن يظهر لهم بتونس ولا ما قاربها اه

هذا وللقصر المدكور شهرة مطبقة عند علماء الانار باروبا اجمع ويجيش الزوار من كل مكان سحيق

ونعرف لصاحبنا الاديب الشيخ محمد الحشايشي قصيدة يربو عدد اياتها على الثلاثمائة رثى بها قصر الجم بقي بمخفوظي مطلعها وهو قوله

للجم اطلال تلوح كأنجم لا كنها وجمت فلم تسكلم

يبدوه القصر الذي شرفاته شدت باذيال السها والمزم

وعلى توالي المصور نشأت حول اطلال القصر مداشر اسلامية صارت فيما بعد قرية ياهلها اليوم من البدو نحو الاثنتي عشرة مائة نسمة لكن جريا على ناموس النمو والارتقاء سيحصل لهذه القرية من التقدم في القريب العاجل بفضل السكة الحديدية ما سيكون لها به حديث وشان ويدخل به دورها الحاضر في خبر كان

ولما وصل الموكب الرئيسي لبلد الجم كان القصر محدقا بجموع المشايخ والعمد والمربان الوافدين من كل اعمال الساحل للسلام على فخامة الرئيس الآن السماء كانت اذاك تجود بمدارها فحالت الفيوث المنعممة تون اجراء الملعب العربي العظيم الذي قدم بقصد المشاركة فيه هنالك اكثر من الف فارس بخيولهم المطهمة ولبوسهم البهجة فاكتفى الجميع

التهاتف والدعاء للمقامين الكريمين ودخول الموكب ساحة الهيكل حيث نصب خيام كبير جدا كان القصد من وضعه وقاية الزائرين من حر الشمس فقد رآه الله ان يكون لهم ستر من البرد والمطر اقيمت داخله على نفقة الدولة التونسية مادبة عظيمة بالغة حد الغاية في التكليف والتنسيق والترصيع زادت بها يد مسيو موكري مهندس السكة الحديد جمالالاندا زجج حواجيبها وعيونها بكل غال ونمين فكانت اية في الحسن والبها وكانت ألوان الاطعمة حسب البيان الاتي

مفتح متنوع

مرق سمك المهدية

فروخ دجاج على اسلوب التايهين

جلبانة على الاسلوب الفرنسي

شوا من اللحم الطري

سلاطة على اسلوب بتاوي

حلاويات مثاجة

جبين متنوع

فواكه

حلاويات ناضجة ومرطبات

واذا جلس حضرة الرئيس والحضرة العلية بصدارة المائدة وجلس ليمين فخامته جناب مسيو بامس وليسار المقام الملوكي جلس مسيو شومي وجلس بقية الوزراء والدوائر بالمناصب المخصصة لكل منهم حسب الترتيب الذي وضعه لذلك مدير التشريرات فكان عدد المتجمعين حول الطعام نحو

المائتين والخمسين وفي الختام نهض الافكات مسيو غاليني ذاهية المجلس البلدي بسوسة والمضوب بمجلس الشورى والتي خطا بها هذا ملخصه

ترجم الخطيب اولاً عن متمناه الذي يحوم حول الجمع بين المدينتين الاخنتين سوسة وصفاقس اللتين كاتتا تجمعهما روابط العمران في اقدم العصور كما يدل عليه وجود قصر الجهم فيما بين هذين البلدين التوأمين

ثم قال ان هذا الجمع اصبح اليوم متحققاً بفضل قوة الذكاء الفرنسي الذي ربط المدينتين بالسكة الحديد فذلك ترى اليوم نواب صفاقس ونواب سوسة مجتمعين في صعيد واحد ولتفنين حول فخامة رئيس الجمهورية الكريم الذي ختم بطابعه صك اتحاد المدينتين الزاهرتين

ثم اشار الى ما تطوي اطلال قصر الجهم من عبر الزمان الماضي وقال انه ولئن داست الاقدام آثار تلك العصور فان في موكب هذا اليوم المنمقد فوق تلك الاطلال الباقية ما ينطق باتحاد الاجناس المختلفة في ظل العلم الفرنسي

ثم ترجم الخطيب عن مراسم التهانى الجديرة بمقام الرئيس الفخيم الذي استهل افق هذا القطر بمقدمه الحاسكي نسيم الربيع ووقت الزهر وتخلص بعد ذلك للكلام على المنهج السدي سلكتها الفرنسيون بتونس تلقاء العنصر الاهلي فقال انه يحوم حول تبادل المصلحة والاشترار في العمل والخدمة لما فيه الصالح العام مع مراعاة عوائد البلاد واخلاق اهلها وبذلك يكون صنيع فرنسا نحو العنصر المذكور مرموقاً بعين الاستحسان لانه جاء موافقاً على خط مستقيم لنفس السياسة التي اتخذتها دولة الجمهورية للاستعمار في بلاد الاسلام

وبهذا يظهر انه لا محيد عن هذا المسلك لان نقضه يفتح باب الاخطار
والمساعي العقيمة ولان فرنسا ليس من قصدها استعمار البلاد بالفتوح
القهري ولكن بيت آلاء التمدن بين اهلها نعم ان المدافع الفرنسية اسمعت
في عدة مناسبات اصواتها الرهيبية ولكن حلم فرنسا اعقبها فمحي آثارها من
العقول وبسط عوضها اجنة السلام والامان والحرية على انحاء البلاد

ثم تكلم الخطيب على الخلافات العارضة التي ربما نشأت بين
الفرنسيين وقال ان تلك الخلافات هي دليل واضح على حياة الامة وعلى
كل حال فانها عارية عن اي تأثير لان النتيجة كانت دائما حسنة على ان
جناب الوزير المقيم امام اوثق كفيل لحماية كل المصالح وغيرته
الدستورية هي الامان بعينه

ثم قصد الخطيب بالكلام سمو الحضرة العلية فاشار لانه كان حظي
بتبنيها نيابة عن مجلس الشوري يوم صعود سموها على كرسي الملك وها هو
اليوم يجدد عرض مراسم احترامه لدى مقامها العالي الذي مركزا قابو
عموم التونسيين والذي هو محل الصداقة والاخلاص للدولة الحامية.

ثم وجه مسيو كاليني مراسم ثنائه واحترامه لجناب مسيو كروبي
وزير الخارجية بصفته قيما على القطر التونسي ولجناب وزير البحرية
مسيو دلكاسي وشكر غيرتهما وهمتهما العالية واخيرا حي الخطيب اعضاء
البرلمان الفرنسي

وختم كلامه بتقديم ابغ عبارات التهاني واصدق شعائر الولاء
لفخامة الرئيس المعظم داعيا له بالبقاء وللجمهورية بدوام العز والارتقاء

ثم تلاه المسيو تريلات رئيس مجلس ادارة شركة بون قائلة والقي خطابا اعرب فيه عن فوط الشرف الذي لحقه من القيام بامورية فتح سكة حديد صفاقس امام رئيس دولة الجمهورية وذكر بديانة خدمة السكك الحديدية بالقطر التونسي والمنح التي حصلت عليها شركة بون قائلة وما في هذا السكك من الفوائد التي يقتضيها العمران وبعد انتهاء خطابه قام مسيو تريلات رئيس شركة بون قائلة الحديدية ونطق بخطاب هذا محصله

قال انه لم يكن له في الحساب ان ينال هذا الشرف الذي مكنه من قبول مهمة استغلال هذا الخط الحديدي الجديد من يد الدولة بعضه ر فخامة رئيس الجمهورية

ثم قال وهذا الخط سيبقى له ذكر في تاريخ الترقيات الاقتصادية التي اعانت شركة بون قائلة على تحقيقها بهذا الديار اما ليست هي التي ساعدت بارتالها وقطاراتها الحديدية على تعبئة وحشد جنود جيش الاحتلال ايام نصب الحماية على المملكة في سنة ١٨٨١ وبسط اجنحة السعادة والامان على ديارها

ثم شكر للدولة عنايتها بالشركة المذكورة التي اصبحت تملك بيدها لمدة ٢٥ سنة قابلة اجازة الاستغلال والارتفاع في العمالة بخطوط حديدية طولها ١٦٥٠ ميلا واتى في هذا المقام على همة الوزير المقيم وعلى مجلس الشورى واعضاء الدولة التونسية

ثم صرح لفخامة الرئيس بوقوف شركته في مشروعها موقف الجد

لتنمية ثروة البلاد و وعد نيابة عن متوظفيها ومستخدميها باستعمال اقصى
 مجهودهم في خدمة الصالح العام
 وعند انتهاء مسيو تريالات من الخطابة قام فخامة رئيس الجمهورية
 ونطق بخطاب عظيم هذا نصه وفصه
 ايها السادة

ان حركة الذكاء الاستعماري الفرنسي قد تحققت بفضلها ظنون
 كثيرة بهذه الارض العتيقة وان من المعجبات اختيار هذا الهيكل العظيم
 الذي هو من بدايع مدينة المصور الخالية لاجراء احتفال هذا اليوم المتحف
 باردية المدينة الحديثة التي قد اغمرت بمحاسنها المؤثرة كل جهة مدت اليها
 رواقها

فلقد صور لنا الخطيب بذوقه السليم مثالا جامعا بين المناظر العالية
 والافكار الصائبة والاقوال البليغة مما سيقى خالدا بحافظتي مدة سفري
 كلها ولذلك اراني سعيد الحظ من جهة الاتحاد مع الخطيب مسيو فاليني
 في المنشا وفي الشعور ولأجله نفتخر جميعا بسلوكنا الذي جاء موافقا لقواعد
 الانقلاب العظيم الفرنسي ذلك الانقلاب الذي سرنا بفضل نوره في
 مسالك الحكمة والاحتياط والانسانية كما ستمر وتعرف لنا بذلك الازمان
 القابلة وان حفلة الجيم ستكون فاتحة عصر للرقى مؤيد بالسك الحديدية
 الجديدة التي نعان بافتتاحها لا-ير في هذا اليوم وهي سكة جديدة بان
 يبقى ذكرها محفوظا بافهام اهل هذا العصر لانها ربطت ربطا لا ينحل
 بعد بين جهتين من العمالة كانتا بالدمس مفترقتين وهذا الامر وحده بما ينجر

عنه من تسهيل النقل على جموع المسافرين وعلى المتاجر فيه ثغاية لاستصدار
الأكلاف التي تحملتها من جهة بناء هذه السكة

واني اهني نفسي بما وقتم له من جعل استخدام هذه السكة
واستغلالها في عهدة شركة بون فالمة التي بيدها ايضا سكك الحديد
بالقسم الشمالي وبالقسم الاوسط من العمالة فان كل الناس يعلمون ما لهذه
الشركة من الايادي البيضاء منذ عهد بعيد اما انا فاني اصرح بذلك مباشرة
لرئيسها المكرم الذي له من الفيرة الوطنية مقدار ما لديه من المنزلة
العالية ومع ما لي من العلم بما يحف هذه المأمورية من المصاعب فان
وجودها بيد رجل مثل جناب الرئيس الموما اليه ونخبة من الموظفين
كالذين في اعانتته ومستخدمين مخلصين كمستخلمي الشركة المذكورة
التي شملتهم ببنائها الحق مما يحقق ان مصالحنا بعيدة عن عبث الايام
واني ارفع كاسي بيد مملوءة بعبير الازمان واخرى قابضة على الوثوق
بحسن المستقبل واشربها على سعادة السكة الحديدية الجديدة كما
اشربها على ذكر المدينتين الاختين سوسة وصفاقس وعلى ذكر شقيق
الفصاحة رئيس المجلس البلدي بسوسة الذي ما زال صدى خطابه النفيس
يتلذذه سمعي وعلى ذكر رئيس شركة بون فالمة مسيو مارسيل تريبات
المتجمل اصالة بحسبه ومجدلا العزيزين اهل العلم والجدير ذاتيا بودادنا
اجمع

ثم دارت على الحاضرين فناجين القهوة واخذ القوم يتآسسون فيما
بينهم بلطيف الحديث وكان في العزم ان فخامة الرئيس والحضرة العلية
يطوفان خلال اطلال الهيكل ويستعلمان خبره وامره في ايام شبابه من

مدير ~~المنظرة~~ ~~كخانة~~ إلا ان توالي الفيوث حال دون ذلك فاكفنى المقامان بالاستفادة عنه بمجرد الحديث دون الوقوف على الآثار التي غفت رسومها واذاك استحضر فخامة الرئيس جناب مسيو تريبات السالف الذكر ووشح صدره بوسام الفيسي من اللجيون دونور بين هتاف وتصفيق الاستحسان من الحاضرين ولما حانت ساءة الرحيل تبادل المقام الملوكي والمقام الرئيسي عبارات الوداد الوثيق وخاطب سموه فخامة الرئيس بما معناه اني اجدد هنا لفخامتكم واتم على ابهة الارتحال لاقصى جهات بلادي التي عمتها الخيرات الناتجة عن الحماية الفرنسية عبارات ودادي الوثيق ومزيد اخلاصي نحو الدولة الجمهورية وارجو من الله ان يصاحبكم بالسلامة في الضعن والاقامة

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات دلت على ما لدولته العظمى من العناية وعلى ما لفخامته من الوداد والاعزاز للمقام الملوكي ثم تصافحا مصافحة الكرام وركبا على الساعة الرابعة بالسكة الحديد فالحضرة العلية ارتقت لرتل خصوصى قام بسموها وجناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام وجناب وزراءها وحاشيتها قاصدا تونس على طريق سوسة وفخامة مسيو فليار ارتقى للرتل الرئيسي ومعه وزراءها وحاشيته وكاتب الدولة العام للامور الادارية قاصدا مدينة صفاقس وسار الرتلان بين مظاهر الاجلال متقدمان احدهما نحو الشمال والاخر نحو الجنوب واذاك كانت السبائك تجود بمدارها فصعدت تلك الاوف المتألقة من الفرسان والبوادي بالهتاف الكثير والدعاء الوفير لفخامة الرئيس ولسمو الامير

وفيما كان الرتل سائرا بين الجبل وسوسة قدم جناب وزير القلم

للحضرة العلية صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة فتشرف بلثم راحتها الكريمة وبقي ملازماً لخدمة ركبها الى ان وصل القطار لسوسة واذاك كانت محطة السكة الحديد لابسة ثوب الزينة ومحلاتها وبطاحها الرحبية تتماوج بجموع الاعيان والاهالي للسلام على المقام الماوكى وكانوا يهتفون بالدعاء من اعماق قلوبهم لسمو اميرهم المحبوب فتكرم جنابه العالي بالنزول لموقف السكة حيث تشرف الجميع بلثم راحتها الكريمة وكان في مقدمتهم شيوخ المجلس الشرعي والشيخ حامد زين العابدين نقيب الاشراف قتل على مسامح سمولا دعاء بليغا ناتي على عبارته هنا اتماما للفايدة ونصه

اللهم يامن وسع كل شئ علمه . وشمل الداني والقاضى شرفه وحلمه . وجعل السرور اجناسا وانواعا . ومتع بالتلذذ بموجباته ابصارا واسماعا . نسالك ان تطيل بقاء مولانا وسيدنا محمد الناصر باشا ولي النعم والهبات . وتديم افاضة عنايتك على ما لمقامه من سمو الدات . وتمننا باستمرار سروره وهنالا . وتبلغه من استقامة رعيته ما يتمنالا . اللهم لك الحمد على ما انعمت به علينا من الشرف بمشاهدة ذاته الملوكية . وسجايب بركات مروره باوطاننا الساحلية . واختتم هذا العجالة بمسك ختام اعادة الدعاء للحضرة العلية . بدوام الاقبال والدمادة السرمدية . وحفظ اتجاله والبيت ووزرائه . واتصال النجاح باصالة كمال آراءه آمين

كما ان الشيخ خليفه القروي باش مفتي القى على اسماعه الملكية قصيدة غراء هذا نصها

لك العز والاقبال يا طلعة البدر ومنا لك الاخلاص يا مالک القطر
 بمقدمك الاسنى ترادف بشرنا واخصب مرعانا بغيث من الدر
 بكم سوسة اضحت تميمس تفاخرا بلثم يمين الناصر الملك الوتر
 بكم سوسة فاقت على سوس مغرب واضحت بوجه الارض باسمه الثغر
 وجرت على الهيا نوب فخارها بناصر دين الله في السهل والوعر
 ملك له ارمات (جاء مليبا فاعظم به من حايط حوزة القطر
 لدعوتكم قصاد الاساطيل خلفه تمر مرور السحب في سرعة السير
 علامتها (فليسار) عمدة دولة الـ فرنسيس اهل الحزم في مرتقى الدهر
 طوى الارض طي الرق في يمن حازم

على الصافات الدهم في لجج البحر
 فاكرم به ضيفا الى المالك الذي اليه ملوك الارض تخضع في الار
 هو الملك القرم الهمام سيمدع مجلي ميادين الملوك مدى العمر
 عطابا في الافاق جلت عن العد فلا المزن يحكيها ولا المد في البحر
 فلا زال للعلاء تاجا مرصعا وكهفا لمن يرجوه في العسر واليسر
 وبعد ان تلقى سموه مراسم الطاعة والولاء من الخاصة والكافة تناول
 والوزراء ورجال العاشية طعام العشاء ثم تفضل باسداء شكره العالي
 واعرب عن رضاه وعما داخله من التائر الجميل لهاتيك الاحاسات
 الشريفة التي ترجم عنها اعيان سوسة ثم اذن بالرحيل فسار به الطائر الميمون
 قاصدا تونس وكان في اثناء هذا السير تاوح على مجيلا الكريم مظاهر
 البشر والانشراح ويتجاذب اغنية الحديث مع جناب الوزير مسيورا

الكاتب العام مظهرًا سرورًا وبساطه لهذه الرحلة السعيدة التي طفق
فيها كأس البشريوث الرحمة وسيولها المتدفقة مما توفرت به بركات ذلك
العام وفي حدود منتصف الليل وصل القطار لتونس فماد المقام الملوكي
لسراية المرسى العامرة

اما قطار فخامة الرئيس فقد جد في السير نحو جهة صفاقس وكان
اسلوب سيره على شريط السكة الجديدة دالا على قوة رسوخها واحكام
وضعها ودراية المهندسين الذين رسموا خرائطها وتعقبوا اشغالها ولما كان القطار
على مقربة من صفاقس حكمت الاقدار بانكفاف الفيت برهة زمانية
فوصلها الركب الرئيسي ودخلها على الساعة السادسة مساء



الباب الرابع

في الكلام على جهة صفاقس وغابة زياتينها وثروتها

وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لمدينة صفاقس واحوازها

صفاقس وما ادراك ما هي . بلد الكد والجهد . بلد الخيرات والبركات .
 بلد الرجال اصحاب العزائم الثابتة . في العصر الحاضر وفي الازمان الفائتة .
 بلد الثروة الواضحة . والتجارة الرابحة . بلد الاسواق الناقطة . والزيت
 الدافقة . فجدير بكل تونسسي ان يفتخر بها وبابنائها وان يحث ابنه جلدته
 على الاقتداء بمثالها والنسج على منوالها اذ هي المدينة الفاضلة وما عداها
 المفضول هتلا انجم وتلك شمس لا يعترها افول

اصلها من المدن التي احدثها الرومان وكانت تعرف على عهدهم
 باسم « طبارورة » واسمها الحاضر محرف عن لفظ « سيفاكس » وهو
 علم على امير بربري اشتهر بعداوته للرومان فلما سقطت دولة الرومان
 تلاشت صفاقس في جملة المدن والبقاع التي دمرها البرابرة حلفاء الهمجية
 واعداً العمران وعاد احياءها بعد الفتح الاسلامي شيئاً فشيئاً فكانت اولاً
 عبارة عن محرس اي قصباء وبرج لسكنى الغزاة يرابطون فيه ويترصدون
 به اساطيل العدو كما سيأتي بيان ذلك في الباب التاسع عند الكلام على
 قصر الرباط بمدينة سوسة ثم بتوالي السنين نشأ حول ذلك البرج مداشر
 وقرى ضيئلة تكون من مجموعها فيما بعد مدينة واسعة الاطراف بنى لها
 الامير ابو ابراهيم احمد بن الاغلب سورا من الطوب في سنة ٢٤٥ على يد
 ابي الحسن علي بن سالم الجبينياني جد الشيخ ابي اسحق الجبينياني

صاحب المقام المشهور بصفاقس لمهدنا الحاضر وفي تاريخ الشيخ مقديش الصفاقسي ما يؤيد صدق هذه الرواية وزاد على ذلك قوله « ان ذلك السور جدد بناءه بالجص على عهد السلطان ابي فارس عبد العزيز من ال بني حفص »

ومن هذا يفهم القاري ان الوصف الجميل الذي وصفها به ياقوت الحموي في معجم البلدان انما ينصرف للعصر الذي اشتد فيه ساعدها وطفح فيه عمرانها الا ترى انه يقول ما نقله عنه بحروفه « بها اسواق كثيرة ومساجد وجامع وسورها صخر واجر وفيها حمامات وفنادق وقرى كثيرة وقصور حجة ورباطات على البحر ومناير يرقى اليها في مائة وستين درجة في محرس يقال له بطرية (لعل مركز التعمير المسمى مطرية الواقع اليوم على مقربة من صفاقس محرف عن لفظ بطرية المذكور) وهي في وسط غابة الزيتون ومن زيتها يتاراكش اهل المغرب وكان يحمل الى مصر وصقلية والروم ويكون فيها رخيصة جدا يتصددها التجار من الافاق بالاموال لايتباع الزيت وعمل اهلها القصارة (بكسر القاف) والكمارة (بكسر الكاف) مثل اهل الاسكندرية وينسب اليها ابو حفص عمر بن محمد بن ابراهيم البكري الصفاقسي المتكلم لقيه السلفي وانشده وقال كان من اهل الادب ولما بالكلام اتس تام وبالطلب انتقل الى مصر واقام بها الى ان توفي في شهر ربيع الاول سنة ٥٠٥ هـ وكان يعرف بالذهبي وكان مولعا بالرد على ابي حامد الغزالي وتقض كلامه اهـ

والخلاصة ان صفاقس كانت في اواخر المائة الخامسة مدينة حضارة

زاهرة وسوقها بالادب نافقة يدلك عليه ان من علمائها في ذلك العصر من
 كان كفوا للرد على حجة الاسلام الغزالي وما ادراك ما الغزالي
 وهذا الرحالة ابن بطوطة زارها او اخر عام ٧٢٥ ووقف جوارها على
 قبر الامام ابي الحسن اللخمي المالكي صاحب كتاب التبصرة في الفقه
 وامتحدها واتى عليها فمن ذلك ما نقله عن ابن جزي منسوباً لابي بن
 حبيب التنوخي وفيه اشارة لطيفة لحركة المد والجزر يحرها
 سقى الارض صفات ذات المصانع والمصلى
 محمى القصير الى الخليج قصرها السامي الملى
 بلد يكاد يقول حين تزوره اهلا وسهلا
 وكانه والبحر يحس سر تارة عنه ويملا
 صب يريد زياداً فاذا راي الرقباء ولى
 ومن شعراء صفاتس المجيد بن الغباط واسمه عثمان بن ابي بكر
 الصدي بعث له شعراء القيروان يسالونه ان يرسل اليهم ديوان شعراء
 فقال للرسول انه في مسوداته فقال هاته كما هو فزوده اياه وكتب
 له ارتجالاً

خطبتهم بناتي فارسلتهن اليكم عواطل من كل زينة
 لتعلموا اني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنينة
 فلما وصل اليهم الديوان اجابوا

اتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينة
 فلما سفرن فضحنا الشמוש وسرب الضبا واخجلن عينه
 ولا نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه

اني بابل نحن ام في العراق وفوق البسيطة ام في سفينه
 فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه
 وابن الضابط هذا توفي بعاصمة الروم سنة ٤٤٤ حيث سيرا حاكم
 القيروان لقضاء حاجة له عند امبراطور بيزنطة التي صارت مدينة الاسكندرية
 منذ فتحها الاسلام سنة ٨٥٧ وتاريخ هذا الفتح « بلدة طيبة »
 ومن ادبائها المتأخرين ابي الحسن الغراب الذي طفحت دواوين الادب
 بجيد شعرا وكان لا يخلو نظمه من جناس فمن ذلك قوله متغزلا في شاب كان
 يقتطف حب الزيتون وفيه ذلك اشارة لمسجدين من المساجد التونسية
 اولهما له ريع واسع وثانيهما لا وقف عليه

جمت هدى ضبي وقد كانت جامعا

لزيتونة من فوق اغصانها استوى

يا جامع الزيتونة الفاتن الوري

تفضل بمعروف على جامع الهوا

واهل صفافس كانوا ولم يزلوا اصحاب نفرة وشكيمة تبابي انفسهم الضيم
 ويستملك قلوبهم المدل وهكذا كان امرهم في كل عصورهم ومن طباعهم
 اثم اذا عاهدوا وفوا لذلك لما ثارت نائرتهم عن طيش عند نصب الحماية
 وشق بعضهم عصا الطاعة في وجه الحكومة بما حملها اذاك على رميهم من
 البحر بمدافع الجنرال غارنولت يوم ١٥ يولييه ١٨٨١ تسابق عقلاهم لرد
 الزائغين عن جادة الحق فندموا عما صدر منهم واعلنوا بالاخلاص والخضوع
 وطلبوا الامان من الدولة فامنتهم واعادت عليهم مكاسبهم وارزاقهم بل
 واسقطت عليهم جانبا مهما من العشرة ملايين التي ضربتها غريمة حرية

عليهم اثر ذلك الهيجان فاقبلوا للاقبال على شانهم ووجهوا مهجهم وافندتهم
للمساعدة على توفير الثروة العامة بناحياتهم التي اصبحت بفضل كدهم
وجدهم عروس البلاد ففرسوا البساتين الزاهية بكروم العنب والتين والرمان
والبرتقان والنانج والليمون والورد والياسمين واستخرجوا من ارواح
زهورها العطورات الفاتحة والروائح الذكية وانشاوا فيما وراءها غيب
الزياتين الممتدة لبعده ستين ميلا عن صفاقس وشجرها اصبحت عدلا في درجة
الملايين بحيث ان جتهم بعد نحو عشرين سنة من نصب الحماية صارت ذات
متاجر رابحة واسواق نائمة استكمل نصابها بفتح مرساها في سنة ١٨٩٧ ثم
بتأسيس سكة الحديد الجامعة بينها وبين قفصة والمتلوي لتقلل الفساد
واصداره على طريق صفاقس لجهات المعمورة

فلما قدم لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الخميس ٢٠ في
افريل ١٩١١ كانت مدينتها قد لبست من لبوس الزينة توبا قشيا واهاليها
واعيانها قد تاهبوا لتلقي الرئيس العظيم والضيف الكريم بما يناسب فخامته
من الاجلال ويشهد بتعلق واخلاص عموم الصفاقسين للدولتين الحامية
والمحمية وادى نزول فخامته لرصيف المحطة ادى له مراسم التهنئة والاحترام
جناب مسيو سلمون المراقب المدني يتبعه كاهيته وخليفته العمل لتعذر
حضور عاملها السيد العربي الجاولي الذي عاقه المرض عن المشاركة في
ذلك الاحتفال وكان وراء المراقب والخليفة جماهير الاعيان والمتوظفين
من كافة الطبقات وفي جللتهم الادارة البلدية والعلماء وقواد الجيوش
واذاك تقدم جنابه لبطحاء السكة الحديد حيث صفوف السبايس
وجوع المريدين ووفود الاهالي واستحضر نخبة من المسار الذين كانوا

حاربوا بالمغرب الأقصى ووشح صدورهم بالميدالية المراكشية ثم رفع رتبة
 الماجور شائبوا كمدان الاي السبايس للصنف الثالث من وسام الشرف
 وبعد ان نظر لجموع المريدين وفودهم وشكر صنيمهم انتظم موكبه
 وسار خلال شوارع المدينة وكانت تتمايل طربا وسرورا وانهاجها مرصعة
 بالجيش من كافة الاسلحة وكان الناس في خليط عظيم فوق صعيد
 فالقت احتلاطهم انظار فخامته لومتزاج العنصر الصفاقي بالعنصر
 الاروباوي مما حمله على الاعتقاد بكمال استعداد الاهالي هناك وكانت
 نوافذ البيوت وشارف الدور غاصة بالمتفرجين وهتاف السرور تلهج به
 صدورهم فيردد صدا قرع الطنبور وعزف المزامير وقعقة السلاح وكان
 رجال الكنيسة وهم قوم يركضون في كل ميدان ويهون مع كل ريح
 يضربون نواقيس يبعهم وديورهم بافراط غريب فكان مجموع ذلك يعاين
 منظرا من مناظر مدينة بابل ايام تبليل الالسنه قبل مناجاة الكليم
 ودك الطور



البطحاء البلدية بصفاقس

وبعد ان طاف ركابه باحياء المدينة قصد دار المراقبة المدنية وهناك
انتظم في الحال موكب القبول فتقدم اولاً للسلام على فخامته نواب المعمرين
واذاك التى عميدهم مسيو شاتيل رئيس الحجرة الزراعية التجارية خطاباً
قال فيه

يا فخامة الرئيس

ان في زيارتكم ضماناً نفيساً ودليلاً على العناية العزيزة التي لكم
نحو الجالية الفرنسية النشيطة المشهورة بالشجاعة وباتلاف عناصرها
المتحدين على تحقيق امنية وحيدة الا وهي احياء هذه الناحية وغرس
محبة فرنسا في قلوب اهلها - وان لنا الرجاء الوطيد بان هذه الزيارة يبقى
لها بمحفوظكم ذكر جميل يبعث فينا روح النشاط والحث على العمل

فاجابه فخامة الرئيس بخطاب نفيس هذه عبارته

انه لا يروق لي ان اشكركم على هذا الاحسان الوطنية التي
عرضتموها علينا باسم النزلاء الفرنسيين بصفاقس واني ابلغكم عبارات
التحية والاعزاز بالنيابة عن ام الوطن واهنيكم عن اخلاصكم الذي جعلتم
به مدينة صفاقس عاصمة فرنساوية بكل معاني الكلمة اذ كلنا نخدم
لاعلاء العلم الفرنسي الخافق فوق رؤسنا - وهذا ولا شك اتكم قد
فهمتم معنى حضور الاساطيل الثلاث التي وفدت للسلام علي بيملا بنزرت
واستدلتم منه على عظمة شان فرنسا في نظر دول العالم اما انا فاني لمفتخر
بذلك نيابة عن بلادي وعنكم انفسكم لاننا حرك فينا شعار الفيرة والنخوة
الوطنية اذ ترجم على ما لفرنسا من الاعتبار في الدنيا واتني اغني عن الاعراب
اليكم بما ذا سيقى خالداً بمحفوظي من زيارتي لصفاقس وكذلك عما

سيبقى منه بخلد وزراء الدولة الجمهورية القادمين معي لاستطلاع احوالكم
والكشف عن رغائبكم

ثم ان فخامة الرئيس تلقى زيارة خليفة العمل بمعضلة شيوخ المجلس
الشرعي والخلفوات والمشايع والعمد والاعيان فالتى الخليفة المذكور على
مسامحة المبارات الاتية

ان قدوم فخامتكم لصفاقس قد سمح لنا بالاعراب عما يختلج بضمائرنا
من الاعتراف بالجميل للامة الفرنسية التى بسطت على مدينتنا الوية
التمدن والخيرات الوفيرة وهذا الاعتراف دين عن قرض اخذناه منها لذلك
لا نبرح عن الوفاء به باظهار تعلقنا البالغ حد النهاية بامتكم العظيمة - هذا
ونبتهل الى الله ان يضاعف اشراحكم في رحلتكم هذا وان يديم علينا
التفاتكم ويبقى ذكر صفاقس متعلقا بذهنكم بعد رجوعكم للديار الفرنسية
كما نسأل تعالى ان يديم حياتكم وحياة الدولة الجمهورية

واذاك قامت ضجة بلغت عنان السماء لن عموم الاهالي الحاضرين
نادوا بقولهم « ليمش فليار ولتمش الجمهورية »
وقد اجابه فخامة الرئيس بالمبارات الاتية

نهنيكم عن هذا المقاسد الحسنة بالنيابة عن الامة الفرنسية والدولة
الجمهورية ونصرح لكم بما هو متعلق في اذهانكم من كوننا لانرضى
الإدوام الالفة بين الفرنسيين والتونسيين لان فرنسا امة كريمة
وهمتها منصرفة لازالة العثرات التى يمكن ظهورها بينكم وبيننا - هذا
وقد قلتم لنا انكم تحبون فرنسا فانا اقول لكم ايضا ان فرنسا تحبكم اما
ما يخص عقائدكم وشمايركم الدينية فانه لا يخطر ببال احد البعث بها

لان مرادنا الوحيد هو القيام في هذه الارض بمشروع مسماة الحماية
والمسالة وهو مشروع قدمنا لكم فيه عربون صداقتنا - من اجل ذلك
يكون اشتراككم في العمل معنا بضم مجهوداتكم لمجهوداتنا مصدر خير
يعم الجميع لانكم تمثلون عنصرا من العناصر الدائمة على تحقيق عمارات
بلادنا وهو الامر الذي يمنحكم حق الاعتماد علينا ويحملنا على الاعتقاد بما
لكم مع رجال الاستعمار الفرنسي من التعاق بالمشروع العظيم المشترك
بينكما بانكم ستخدمون بقلب واحد في سبيل اعلاء شان وعظمة فرنسا
ولي الرجا بانه اذا جاءكم في مستقبل الايام الرئيس الذي سيخلفني
في الخطة تتولون معه الكلام مباشرة وتعربون له عما في ضمائركم بدون
واسطة ترجمان

فلقى اولئك الاعيان من الصفاقسيين خطاب فخامة الرئيس بمظاهر
الشكر والامتنان وانصرفوا وكلمهم السنة ناطقة بالدعاء

هذا وبعد ان تلقى الرئيس مراسم التهنئة من بقية الطوائف اقام
فخامته مادبة خصوصية دعا اليها رجال حاشيته وبعض الدوات وكان في
جملة هؤلاء ضابط زنجي من ضباط الادي السبايس سمح فخامة الرئيس
باستدائه لتلك المادبة وقفا للتقاليد المتبعة في مثل هذه الحال حيث
كان ذلك الضابط السنغالي هو الكمندان للعبة التي تولت الخدمة بدار
المراقبة في تلك الليلة

ولما كان فخامته في مجلس سمر بعد العشاء حضر ييطحاه المراقبة
وفد من الاهالي لا يقل عن اربعة اوف نفس وقدموا لفخامته هدية من
نتائج مصنوعاتهم المحلية وهي عبارة عن اربع زرابي بديعة النسيج

والصنع طول كل منها عشرة اذرع في عرض سبعة وبعض صناديق من
المطوّر فتكرم فخامته بقبول تلك الهدية وشكر سعيهم بعبارات
ضاغفت سرورهم فرطبوا السنتهم بالدعاء لفخامته وهتفوا بالثناء عليه
وفي تلك الليلة اقام المجلس البلدي بصفاقس مادبة فاخرة دعا اليها
الوزراء والكاتب العام للامور الادارية واكابر الدوات واهل الصحافة
وبعض الاعيان

وكان المتراس على هذه المادبة جناب مسيو بامس وزير الفلاحة
فخطب في اخر الطعام كما خطب جناب مسيو كوشي وجناب مسيو
بوشي وكلاهما من الوزراء السابقين ومن ملاكة الزيتون بصفاقس
ودامت الموائمة في هذه المادبة الى ساعة متاخرة من الليل

وفي هذه الليلة اي ليلة الجمعة ٢١ افريل ١٩١١ هدئت المطر
نوعا ما وانقشعت الاسحجة الثلجية بين السماء والارض منذ الثلاثة ايام المتقدمة
إلا ان السماء جاد بمدرارها من جديد في بكرة اليوم الذي اسفر عنه
صباح تلك الليلة فتوانى فخامة الرئيس في الخروج الى نحو الساعة الثامنة
صباحا واذاك انتظم موكبه لان المطر المتنازل من قبل عصفت فيه
الرياح فاذرت سحبها وقامت الغزاة مقام الضباب

فلما ادت العساكر مراسم التحية لفخامته تحرك ركابه قاصدا زيارة
غابة الزيتون الواقعة غربي صفاقس والممتدة بدواخل الارض لبعد ستين
ميلا عن المدينة وهذه الغابة هي مناخ الاستعمار الفرنسي بالملكية
التونسية وجل ملاكتها من اصحاب السطوة والثروة بفرنسا وتونس

وكان انشاؤها بطريق المغارة والمشاركة في المال والرقبة بين
اولئك المعمرين والصفاقسين فلي هؤلاء اليد العاملة وعلى اولئك
الامدادات المتواصلة وتعرف ارضها في القديم بارض السيليين تولت الدولة
اقطاعها او ايل دولة المرحوم علي باي واحيا تربتها الخصبة الصالحة جد المغارة
الشجرة المباركة وقد تقدم لك فيما قلنا عن معجم البلدان من
ان صفاقس كانت سوق زيت نافقة في المائة الخامسة فما بالك وهي اليوم
في القرن الرابع عشر للهجرة وان شئت قلت في القرن العشرين للميلاد
قرن المواهب العلمية والمقاصد العملية التي حركت الجوارح المنشأة في
البحر كالأعلام ومزقت احشاء الفضاء بالسيارات الجوية وما يدريك ما ذا
سيكون بعدها من الكرامات البشرية في مستقبل الايام

فلما خرج الراكب الرئيسي للكشف عن غابة صفاقس كان محل
وجهته النقطة الهندسية الواقعة فوق الربوة المسماة اطوال الشريدي على
نحو عشرين ميلا من المدينة والمشرقة على الغابة لد البصر وكانت حوالي
النقطة مساكن نجم من العرب الرحالة في عدد ستين يينا ياهلها اكثر من
خمسائة رجل جاءوا بنسائهم وذرائعهم ورواحلهم من جهة ترياقم حيث
مواطن فريق اولاد بن جروي بقصد حراثة الزيتون فكان منظر خيامهم
في حال احتلالهم باباهم وخيولهم واحمرتهم وانعامهم ونسائهم وولدانهم
منظر الاستغراب والاعتبار من الزائرين وما زاد هؤلاء رغبة في استقراء
احوالهم اصداع النساء بالولولة عند دخول فخامة الرئيس وسط النجم وقد
استفهم فخامته معنى تلك الولولة واجيب بانها كناية في عرفهن على الفرح

والسرور ثم دخل فخامته بيت شيخ النجع وكانت مفرشة بالزرابي من نوع المرقوم وتامل طويلا من نسيج بدوية كانت بصدد العمل ثم من حركة اخرى كانت تصنع كسكسون وثالثة كانت تهاشوا على مقربة من الخيام وبعدئذ ارتقى فخامته الربوة للاشراف على الغابة فنهض من ورائها جم غفير من الناس يناهز عددهم الالف رجل يصحبهم نحو خم مائة من الفرسان الراكبين ظهور الصافات الجياد حينئذ اجري اولئك العربان ملعبا بهيجا حمل فيه الفرسان حملة الشجعان واطلقوا فيه من البارود ما اسود له وجه الافق وكان ختام الملعب بحضور الجمل الحامل « للجففة » المحجوبة بوسطها العروس (الخيالية في واقعة الحال) فتلاحم المتراحمون على نيل شبابها وانتهى الامر بتغلب القوي على الضعيف فاخطفها وطار بها مع الطائرين

وبعد ان استفاد فخامة الرئيس من التقارير المستفيضة التي قام بها لديه كل من الوزيرين السابقين مسيو كوشي ومسيو بوشي وسرح طرف الطرف خلال تلك العروس الباسقة والثروة الخاققة شرب فخامته نخب جمعية الاستعمار بصفاقس بعد ان التقى على مسامعه مسيو جان بوشي الخطاب الوجيز الاتي

يا سيدي الرئيس

في اعماق هذه الارض التي اختلط اديمها بطينة البشر والتي كانت مهدا للمدنيات التي عفت رسوها قد غرس معمرو صفاقس اسم فرنسا وسمعتها بصورة تدوم الى ما شاء الله وحنموا على ذلك بمرور شجرة الزيتون التي هي شجرة الخلد

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات التهنية وزاد قائلا « ان فرنسا لا تروم الفتح بالسيف بل مرغوبها امتلاك القلوب بالحسنى وفتح الارض بالقواعد التي مستندها العلم والعام حليف الترقى والترقى اليه المعمرين والمعمرون انما يعملون لاعلاء شان فرنسا وتخليد ذكرها في بطون التواريخ »

ثم قال « وقد اخذنا كلنا حظنا من هذه المناظر البديعة حتى اولئك الفرسان الذين ما احقهم من شبه بخطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها قد شاركوا في مظاهر الفرح بنخوتهم العربية وحملتهم على هذا الجبل حملة الشجعان »

هذا وقد تضمنت عبارة خطاب مسيو بوشي فكرا تضمنه بيت من الشعر لابى العلاء المعري بما دل على توارى الخواطر بعد الف عام بين الضرب الناشي بين جدران معرة النعمان وبين الفرنساوي النابت على ضفاف نهر السين بباريس قال المعري

خفف الوطء ما اظن اديم الا رض الا من هذا الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهد هوان الالباء والاجداد

ثم اتهم فخامة الرئيس على سى علي بن القروي خليفة تربية واولاد ابن جوري بوسام اللياقة الزراعي وعاد في موكبه المهيب لصفاقس حيث تقدمه وصول تلغراف من الحضرة العلية في تجديد عهد المودة والسوال عن احواله اثناء رحلته واذاك توجه لزيارة مرسى المدينة والكشف عن حركة تجارتها النافذة فابتدا بزيارة معرض النشاف الذي احكم ترتيبه

قبطان المرسى ميسو كبرياتا وباتسامل من المروضات والإيضاحات التي
 القاها على فخامته مـيولنيس وكيل المعرض اعجب فخامته من الحكمة
 البالغة المحيطة بخلق النشاف ثم تأمل من مجموعة نشاف من اشكال واجرام
 شتى وزار محلات التحليل الكيماوي للتائج البحرية وتنقل لمركب
 شراعي يوناني خاص بصيد النشاف وشبهه فنزل بمحضرة اربعة من
 الغواصين لاعماق البحر واستخرجوا ما وصلت اليه ايديهم من النشاف
 الحي المتحرك فقدم له حينئذ شاب ارناووطي من الصيادين نشافة ضخمة
 ومجموعة نشاف مستكملة على وجه الهدية تذكارا لزيارته المركب ثم عاد
 للبر واستكشف احواض تربية النشاف وتضخيمه بالطريقة العلمية وبعد ان
 القيت على مسامحه تقارير ضافية واحصائيات غريبة تتعلق بحركة الاتجار
 في النشاف المقتنص من مياه العمالة التونسية تنقل فخامته لزيارة الرصيف الخاص
 بوسق الفسفاط الذي تصدره مناجم المتلوي بعمل قصصه وهناك شاهد امورا
 مدهشة من ذلك العربات النقالة للفسفاط التي تحمل الواحدة منها ما يناهز
 الثلاثمائة طنلاطة في الساعة وهي عربات تتلقى موسوقها بواسطة دواليب
 تديرها الكهربائية فينبعث اليها الفسفاط من مخازنه ومنها يتحول بنفس
 تلك الطريقة الى البواخر المكافئة بنقله لانحاء المعمورة وبعد ان افاض
 مدير شركة الفسفاط القول في ذلك وايد تقاريره بالشواهد والارقام
 المدهشة الناطقة بان مناجم الفسفاط بالجريد هي عبارة عن كنز لا يفنى
 وثروة لا تبلى اظهر فخامته انشراحه لوفرة تلك الخيرات التي اكتسبتها
 العمالة بفضل رجل من خيرة الفرنسيين وهو الفقيه فليب طوماس المتوفى

عام ١٣٢٨ الفارط - اما الفسفاط فسياتي الكلام على ماهيته ومادته في
محل من هذه الرحلة

وعلى الساعة العاشرة من صبيحة ذلك اليوم عاد فخامته للمدينة وتوجه
لزيارة المكاتب فزار المدارس العليا للذكور والانات مصحوبا بجناح مسيو
شارلتي مدير العلوم والمعارف ومنح كافة التلاميذ راحة ثلاثة ايام فسادوا
جميعا « ليعش فلبار » ومن هذه الزيارة توجه للمجلس البلدي حيث
استقبله كاهيته مسيو جيران وكافة الاعضاء البلديين وهناك انعقد موكب
القبول فدخل على فخامته وفد النزلاء الفرنسيين فكمندان قلعة صفاقس
فاركان حربه فعمد الاهالي واعيانهم فنواب الجالية الطليانية فنواب الجالية
المالطية فنواب الطائفة الاسرائيلية

وبعد ان تلقى من جميعهم مراسم السلام والاحترام نطق بين يديه
كاهية المجلس البلدي المذكور بالخطاب الاتي
يا سيدي رئيس الجمهورية

انني بالثابة عن سكان مدينة صفاقس التمر من فخامتكم قبول مراسم
التوقير والتكريم وشعائر التعلق بالدولة الجمهورية واتشرف بتهنئتكم بالقدوم
المبارك

هذا وان ذكرى زيارتكم هذه يا فخامة الرئيس ستبقى منقوشة
على صفحات قلوب سائر الصفاقسيين لانها تقدمت بهم شوطا زائدا في سبيل
المدينة وفتحت في وجوههم دور عصر جديد في مسالك الرقي بافتتاح
السكة الحديدية الجديدة التي ستربط سوسة بصفاقس والتي سيتم بها
ذلك المشروع الذي قامت به الحماية الفرنسية في هذه الجهة

ان صفاقس كانت ثلاثين سنة فارطة عبارة عن مرفأ كاد ان يكون
مجهولاً لا يتجاوز سكانه العشرين الفا اما اليوم فبفضل فراسا وبهمة اولئك
الرجال العظماء اي الوزراء المقيمين ومديري الادارات الدولية على
اختلافها قد اصبحت تعد تسعين الفا من السكان

ففي مدة قصيرة جدا من الزمن منحت صفاقس مجموع طرقاتها
الاستعمارية كما منحت سكتين حديديتين احدهما لخدمة المعادن وهي
سكة يحق للشركة التي بنتها على نفقتها الافتخار بها والاخرى جمعها
بعاصة البلاد يعني وقع بها تدانينا من ام الوطن وعما قريب سيتم بها
جلب المياه الصالحة للشرب فتنمو بذلك ثروة جهاتها الجميلة

وهذه غابة الزياتين البهيجة التي شرفتمونا يا سيدي الرئيس بزيارتها
هي نعمة الكد المتواصل الذي استعمله جماعة من المعمرين الفرنسيين
بمشاركة الاهالي والذي استعمله الاهالي ايضا بانفسهم لانفسهم وهو كد
حصل تحت العام الثالث وعنوان على المدينة والمواخاة ودليل على الوفاق
الوطيديين العنصرين لان سكان صفاقس المتكونين من اجناس شتى
يعيشون على بساط التحاب البالغ حدا حيث كان مبداهم « العمل »
لذلك يكونون سعداء الحظ باغتنام هذه الفرصة لشكر جناب الوزير
المقيم العام عن كل ما جاد به على مدينتنا ونواحيها من المشروعات
الاقتصادية التي سينتفع بها اتساع نطاقها وللافصاح لدى فخامة راس
الدولة الجمهورية الذي هو الروح المتجسدة من فرنسا حاميتنا عن
كامل اعترافهم بالجميل وعما لهم نحو فرنسا من التعلق والاحترام

وقد اجاب فخامة الرئيس مغربا عن ارتياحه للبارات التي القاها
كاهية المجلس البلدي و اضاف لذلك قوله انه عند ما يزور مدينة يتحتم
عليه التوجه لمجلسها البلدي لرد السلام على نوابها والدعاء لهم بالنجاح ثم
قال ما لفظه « واني اغتنم هذه الفرصة لاثني على - كان صفاقس جميعا عما
قاموا به نحوي البارحة واليوم من الحفاوة والاحكام »

ثم ان مسيو فليار اقترح على مسيو جيرار ان ينهي تشكراته
لمساكنيه ولمح في كلامه لفقرة من خطاب مسيو جيرار فقال انه واثن
كان الفضل في ان جل الترقية التي احرزت عليها العمالة عائدا على
المقيمين العاملين الذين تناوبوا الامر بالايالة فان الفضل في تلك الترقية
ايضا راجع الى السكان اصحاب النشاط والبسالة والى ابناء العنصر المكدي
في العمل ثم الى مجهوداتهم التي يحق ان تنسب اليها تعاضم وعمران
العمالة التونسية - ثم علق مسيو فليار كلاما على تلك الترقية فقال « عند
رجوعي لفرنسا ساقول ان امتنا امة استعمارية بكل معاني الكلمة وفي
محفوظي كثيرا ما سمعت منذ كنت صبيا ان فرنسا ليست بدولة استعمار
فبرهنت لي زيارتي اليكم هذه المرة وزيارتي قبلها للجزائر بصفة عضو
بدار الندوة على ان في طوعنا ادراك درجة الامم التي غلبت عليها شهرة
الحذق والمهارة في الاستعمار »

« وان الفرنسيين ليس لهم في هذا القطر ان يشتغلوا بسياسة
غير التي يبرهن بها للعنصر الاهلي عن كوننا لم نجني* تونا للفرز ولكن
جيناها لتوطيد عرى الراحة والسلام »

ثم قال فخامته « في ساعة الافتراق يقول المتوجهون لبعضهم وان شاء الله تتقابل بعد ايضا ولذلك فالبرغم عن كبر سني ارجوان اعود في احد الايام لزيارة القطر التونسي عندما تسمح لي الظروف بذلك »

وفي الختام صافح فخامة الرئيس مسيو جيرار وبارح قاعة الاستقبال بين نغمات النشيد الوطني الفرنسي بلسان مويستى جمعية الالمان الصفاقسية وبين هتاف الحاضرين وعبارات الدعاء له وللجمهورية بطول العمر

ثم لما انتهى موكب القبول بالمجلس البلدي عاد فخامة الرئيس وحاشيته لدار المراقبة حيث اقام مادة خصوصية اتيق لوزرائه ورجال معيته والوزير المقيم والكتاب العام والمديرين الذين بصحبته من اعضاء الدولة التونسية والمراقب المدني وبعض الدوات وبعد ان استراح قليلا تصدق على جمعيات الفقراء والبائسين بالقف فرنك واذن بالتأهب للرحيل فانتظم موكب ركابه باصطفاف نحو الثلاثين سيارة سريعة امام باب المراقبة وركب فخامته لمضى ساعة ونصف من الزوال وتحرك الركب على نغمات الموسيقى العسكرية وبين اسمطة الجنود قاصدا قابس سائرا تحت الغمام وكان ذلك الوبل باعنا على سرور اهالى تلك الجهة التي اعتادت على الطل في مثل تلك الاوقات من الربيع فتفال اهلها خيرا من مرور الرئيس بديارهم وتوسموا فيه « البركة والصلاح » ونعتهم بعضهم اذاك (بالرئيس المرباط) قالوا ان المطر الذي جادت به السماء في تلك الآونة يناهز المياه التي نزلت مدا الثلاثة الاعوام الاخيرة جميعا

قلت فاذا صحت هذه الاحصائية كان على الصفه اقسين ان يحمدوا
الله الذي اتقدهم من الفرق - فلما مر الركب بالمطرية الواقعة على عشرة
اميال من صفاقس خرج اهلها وتجمعوا تحت النخيل واستظفروا بشعائر
احترامهم واخلاصهم لعظيم الامة الحامية

هذا وكان البعد الفاصل بين صفاقس وقابس يبلغ لمائة واربعين ميلا
كلها من الاراضى المدحوة بعضها صالح لغراسة الزيتون واغلبها ارض رملية
مغمورة بالموسج والذرو والنباتات الوحشية خلاها اكثر من عمراتها
ملوح عليها الفقر من بعد عدا الحمير بها فانها كثيرة جدا



الباب الخامس

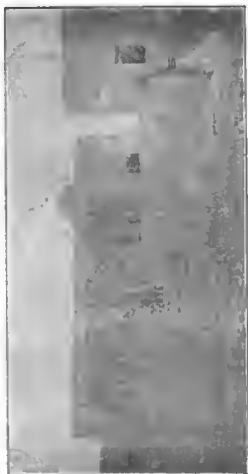
في الكلام على قابس وواحات النخيل وبر الاعراض

ونفزاوة والجهات الصحراوية

قابس بلاد الصحابة والتابعين من اقدم بلاد الاسلام طفحت بذكرها
كتب التاريخ كان اسمها على عهد الرومان « تاكاب » فهي من
مستعمراتهم الافريقية وكانت لهم بدرجة راقية من المدنية
فلما فتحها الاسلام في خلافة سيدنا عثمان بن عفان كان البرابرة قد
دمروها تدميرا إلا ان العرب الفاتحين ومن انضم اليهم وجاء بعدهم احيوا
ريمها فكانت في ايام عبيد الله البكري المؤرخ (مدينة جليلة مسورة
ذات حصن حصين وارباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة قد احاط
بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيئا)
وجاء في معجم البلدان ان (فيها جميع الثمار والموز فيها كثير وهي
تمير القيروان باصناف الفواكه وفيها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة
الواحدة منها من الحرير ما يقوم من خمس شجرات غيرها وحريرها اجود
الحرير وارقم واتصال بساكن ثمارها مقدار اربعة اميال)

والى قابس ينسب جماعة من مشيخة العلم اشتهروا في المشرق والمغرب
ومن اثنى عليها واظن في الكلام الشيخ ابن الشباط قال ناقلا
عن والده

لقد كنت من قبل التفرق مذهبي سوى ما عليه الأشعريون اطبقوا
فاني المسمى غير الاسم فما انا اقول سوا حين جد التفرق
السم تراني كلما قلت قابس نما قبس من جانب القلب يحرق
وان قلت ان الشمل منها ممزق فان فؤادي عند ذلك يمزق
وبقابس دفن جماعة من الصحابة والتابعين منهم سيدنا ابو لبابة
الانصاري واسمه بشر بن عبد المنذر مات رضي الله عنه في خلافة سيدنا علي
ابن ابي طالب واليك منظر من مشهد ٧



ضريح سيدنا ابي لبابة الانصاري دفن قابس

وصفها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق فقال « وقابس مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها جنات ملتفة وحدائق مصطفة وفواكه عامة رخيصة وبها من التمر والزرد والضياع ما ليس بغيرها من البلاد وفيها زيتون وزيت وغلات وعليها سور منيع يحيط به من خارجه خندقه ولها اسواق وعمارات وتجارات وبضاعات وبها مدابغ للجلود وبها ايضا نخل ملتف به من الرطب الذي لا يعدله شئ في نهاية الطيب وذلك ان اهل قابس يجنونها طرية ثم يودعونها في دنانير فاذا كان بعد مدة من ذلك خرجت لها عسلية وليس في جميع البلاد المشهورة بالتمر شئ من التمر يشبهه ولا يحاكيه ولا يطابقه في علو كته وطيب مذاقه »

هذا وقد لهجت التواريخ التونسية بذكر قابس في مواطن كثيرة على عهد الدولة الحفصية ثم على عهد الدولة المرادية ودولة الدايات لما انها ام الجهة الواقعة على ابواب طرابلس لذلك كانت الانظار منها بالمرصاد سيما عند ظهور شوكة الدواة العثمانية بطرابلس ولم يكن سفر احمد باشا باي اليها في سنة ١٢٥٦ لغير قصد ارضاخها للسلطة المحلية وآخر عهد لها بالحوادث الهامة المتقدمة على الاحتلال الفرنسي ثورة غومة المحمدي في سنة ١٢٧٣ وكان غومة هذا من شعبة بيت القرملي ملوك طرابلس وقد قاومه الامير محمد باي بكل عنف وقوة حتى اجلاها عن المملكة وكفا الاعراض شرا

اما اليوم فقابس عبارة عن مدينة ياهلها نحو الاثني عشر الف نسمة وهي مركبة من ثلاثة بلدان قابس البحر والمنزل وجارلا وعلى مجموعها يطلق اسم قابس وهي مركز عمل الاعراض الذي لا يتولاها في نظام الدولة التونسية إلا احد كبار العمال وقد اعتراها من الفشل في القرون الاخيرة ما اعترى

بقية البلاد التونسية الا انها قد انتهت لنحو عشرين عاما من سنة دعيتها
وشمرت عن ساعد الجبد لتدارك ما فات فزاحت جارتها عاصمة طرابلس
الغرب واصبحت على وشك التمكن من ان تحول لمساها راس الخط
مسير القوافل والتجارة المتباداة مع الاقطار الشاسعة بالصحراء الكبرى وما
والاها من البلاد السودانية

فلما وفد لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الجمعة ٢١ من
افريل ١٩١١ وكان ركبته على مقربة منها تسابق اهلها لاستقبال جنابه ولم
يصددهم اذاك نزول المطر الغزير عن تظاهروهم ليدبه في جموع عديدة
وكانت قابس في تلك الالونة لابسة حلة الافراح والاعلام خافقة فوق دورها
ومبانيها وكانت منافذ السيوت واعالي الطيقان غاصة بالمفرجين الهاتفين
بالدعاء لفخامته وارصفة الازقة والطرقات تتماوج بالخلايق من كل المال
والنحل حتى النساء فانهن كن يولولن حدو جموع المريدين والذاكرين
الخافقة فوق رؤسهم سناجق السادة والصلاح

وكان الجيش قد اخذ مضافه لرد السلام على الرئيس الفخيم اما
جنابه فكان على غاية من النشاط لم يحصل له تعب قط بالطريق لذلك
اذن في الحال بانتظام مولى بقبول

فابتدا فخامته اولا بقبول مراسم الولاء والاخلاص من جناب الكمندان
بوان رئيس الاي التريس الخامس ومن الضباط واستعرض الجيش ثم قلد
وسام الشرف للقبطان موزاي وخاطب رئيس الاي بقوله

• اتي كنت ولا ازال احب الجيش لانه هو المثل لمجد الامة في
الماضي والحاضر لذلك كان الجيش محل عناية الدواة في كل الاعصار

واتى لسعيد الحظ بالسلام عليكم لانكم على مقربة من الحدود واشفع
هذه التحية بالاعراب عن قتي وثقة وزراي بكم »

ثم تلقى فخامته بعد مراسم الاحترام والتهنئة من نواب قنصلات
ايطاليا وانكلتيرة والبلجيك فصرح فخامته لاوليهم بما داخله من السرور
لشواهد الوداد التي قام بها ماسكاهما اذ ارسلوا اسطوليهما للسلام عليه
بمينا بنزرت

ثم ان فخامته تلقى زيارة النزلاء الفرنسيين واذاك قدمت له احدى
البنات من غصون الجنس اللطيف باقة من الزهور شفعتها بايات من الشعر
الفرنساوي وها انا ذا موديا هنا بمعانيها اللطيفة واشاراتها الظرفية في نظم
عربي ميين

نفوسنا صغيرة عشيقها فرنسة
رضاع امهاتها مع لبن محبة
قلوبنا خائفة فرحها زيارة
ورحلت حافلة تحفها جلالة



في اعين كبيرة ذات الرئيس امة
بوطن مقدس شمارة حرية
ممجد الكليلكم في نظري واية
رموزها فخارنا وراية منصوره



هدية اليك ذي من الزهور باقة

تأخذها من يدنا كما اب وجدّة
 قليبنا داع لكم وهو لمعري حجة
 دليها قولي هنا تحي لكم فخامة

فشكر فخامة الرئيس والد البنت الشاعرة ثم قصد بالخطاب مجموع

المعمرين وقال

• لنا العلم بما تعملون بهذا الارض وبما لكم من اثبات وصحة المزية
 لذلك نتلقى شعائر احساساتكم بجوارح قلوبنا الخافقة حول اتعادكم مع
 الاعتقاد بان تعلقكم بفرنسا يزداد متانة بقدر ابتعادكم عنها - اما انا فاحثكم
 على اعانتنا لانتشال اذهان الامة التي تمشون بين اظهرها •

فاتر كلامه في الحاضرين تأثيرا غريبا حتى انه تقدم نحوهم من اخريات
 القوم شيخ هرم طمه باللسان الدارج الفصكوني الذي هو لغة مسقط
 راس فخامة الرئيس قائلا له • اسمح لي بمصافحتك لاني لا امل لي في
 رايتك بعد حيث كنت أسن فرنساوي اقلته ارض قابس • فضحك
 الرئيس واجابه بلسانه قائلا • انا ايضا مسن مثلك ويمجيني ان اصافحك
 واحييك تحية قلبية • ثم صافحه مصافحة كريمة ودعا له بطول العمر فانس
 منه الشيخ الفصكوني لطفًا وشكرًا وقدم له احفادًا للسلام عليه

ثم تقدم للسلام عليه المعلمون والمعلمات فاقاض القول في اطرائهم
 واوصاهم بالناشئة خيرا

وتلقى على اثر انصرافهم مراسم الاحترام من المتوظفين والمستخدمين
 بالادارات العمومية فخطابهم بقوله

« ان لكم نصيبا وافرا في فتح هذه الارض بالطريقة السلمية وسيبقى ذلك محفوظا بخلافي فلا اتسى بعد تونس وقابس بالرغم عن هذا المطر المتنازل بل لاجل هذا المطر الذي هو نعمة ورحمة - لاشك ان قطراته ستتحول ذهبا لتعمير كثير من الجيوب الفارغة »

ثم تقدم لفخامته جناب السيد محمد بن خليفة عامل الاعراض بمعضلة المجلس الشرعي والمجلس الوفاقي ونائب الاعراض بمجلس الشورى وخلفاوات العمل وشيوخه وعمد القبائل والعروش واخوان الطرق ومشايخ الذكر وبعد ان قدم له العامل مراسم التهئة والاحترام بلسان الجميع اجابه فخامته بالمبارات الآتية

« ان سياسة الحماية جلية لا غبار عليها وهي الامان بينه اذ لا احد يجهل انه ليس من مرادنا العبث بشعائركم واخلاقكم لان سلطان العقيدة لا يهتك حرمة نعم ان المجال فيما عدا ذلك فيسبح اذ في الامكان ملاقات كل الناس على بساط الخيرية والعدالة لذلك نرى حقا عليكم انتهاج سلك التوفيق بين المنصرين الاسلامي والاروباوي »

ثم ان فخامة الرئيس ختم الموكب بقبول مراسم التهئة والاحترام من الطائفة الاسرائيلية فخطب حبرها بعبارات جاء فيها قوله

« ان فرنسا لا تميز بين اصحاب المعتقدات المختلفة لان مرادنا ان شمل كل المستظلين بحمايتنا بالعدل والاحسان »

ولما ادى المترجم عبارة هذه الجملة بالعربية اليهم نطقوا بلسان واحد داعين لفخامته ففضل بمصافحتهم واذاك تناولوا يدا بكل احترام وقبلوها

تقبيلا

(١٧١)

هذا وبعد انتهاء موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادية اتيقة دعا
للعشاء بها ثلاثين من الاعيان منهم العامل السيد محمد بن خليفة والسيد
الحبيب بن رجب العضو بمجلس الشورى واحسن لاولهما بوسام اللياقة
الزراعي من الدرجة الثالثة



جناب السيد محمد بن خليفة تامل الاعراض
ثم قضى فخامته ليلة السبت بدار المراقبة وفي صبيحته تاهب ركابها
للرحيل بقصد زيارة الجهات القاسية من العمالة وجعل وجهته قصر مدين

(١٧٢)

فتحرك ركابه مصحوبا بوزرائه وحاشيته في نحو الساعة الثامنة صباحا
وطاف باحياء قابس حيث زار معرض الزراعة والفواكه واعجب بنوع من
الفراولة انفس مما هو موجود بغيرها كما تأمل بدقة من انواع حبوب
الحنطة والشعير مظهرها اعتسالا وتمعنه للافادات التي كان يلقبها في هذا
المقام جناب مدير الفلاحة ومدير المعرض ثم خرج موكبه قاصدا واحدة
قابس لمشاهدة النخل الباسقات فاعجب بالتفافها وبما تكتنه عراشها من
التمر الشهي صنع الله الذي اتقن كل شئ



واحة النخيل بقابس

وبعدئذ سار الموكب مجنبا مشرقا قاصدا قصر مدين حيث مناخ
الادارة العسكرية المهيمنة على الجهات القبلية والتابضة على ازمة الحدود
الطرابلسية واخلاف تونس الصحراوية

وجهة قصر مدين كانت في غابر الازمان من المستعمرات الزاهرة التي
انشاها الفينيقيون بنحو الف عام قبل الهجرة ومنهم اخذها الرومان حوالي
القرن الثاني بعد المسيح وشيدوا بها البناءات الشامخة الباقية اطلالها ليومنا
هذا وجلبوا لها المياه في قنوات من الصخر من الوادي المعروف بواد الحلوف



قصر الحلوف على مقربة من قصر مدين

فكانت في زمنهم من المستعمرات الافريقية الطافحة بالعمارة
وكان مرساها التجاري يبحيرة بوغرادا جنوبي جربة
ولما فتح المسلمون افريقية كانت مدين على ممر الغزات وبالطبع اهتم
فتحوها في جملة ما فتحوا اثناء حملتهم الاولى بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي
سرح سنة ٢٩ على المشهور إلا انها كانت اذاك قاعا صفصفا لان البربر دمروا
البلاد واحرقوا الغروس فلما منهم ان تفقر البلاد يحمل العرب على الرجوع

لاوطانهم بجزيرة العرب وهو وهم لان نور الاسلام كان يومئذ نضاحا يتزايد
 حيناً بعد حين ورجاله في مقتبل العمر لاهم اهم بالانشر الويتن على العالم
 وهذا زيادة على ما اتابها قبل من هجوم الوندال واستيلاء الروم عليها يقال
 ان مرسى بوغراة وحده وهو فرع تابع اذاك لمدين كان ياهله على عهد
 الدولة الرومانية خمسة عشر الفا من السكان ولا يبعد ذلك لان البعرة تدل
 على البعير وهذا آثار ابنتهم الشامخة بتلك الجهة لم تزل ناطقة بما يؤيد
 وجود تمدن قديم كان اشرق ضوءاً بتلك النواحي في الايام الخالية
 والمهود البالية

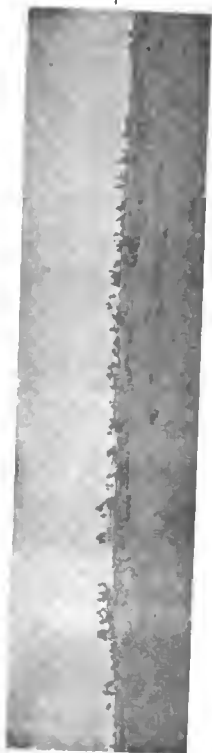


منظر الغرف وهي مساكن البدو بقصر مدين

وام يمكن ذلك التمدن بالقاصر على مدين ونواحيها بل كان سلطانه
 ممتدا للجهات الشامسة كنفزاوة وفسم تطاوين وبن فردان ومطماطة
 والدويرات وغمراسن والتوازين والخزور وعكارة والندهييات والجنابن
 وسواهم مما يحسبهم الغافلون في زوايا النسيان

فلما جاء الاسلام احيا دارسها واعاد عمارتها فكانت جهاتها طائفة
 بالسكان كثيرة الخيرات والبركات وهكذا دام حالها الى عصور متاخرة
 انظر رعاك الله ما قال فيها الامام العياشي في رحلته التي كتبها بعد حجته
 الواقعة في عام ١٠٧٢ للهجرة حيث قال (وبلاد نفزاوة هذه قرى كثيرة تقرب
 من الالف كل قرية منفردة وحدها على نشز من الارض بنخل مجتمع بازائها
 وماوها فيها حياض واسعة) ثم قال ' والحجاج يزعمون ان اصل تسمية
 هذه البلد بنفزاوة انها كانت فيها الف زاوية فقبل لها الف زاوية ثم تصرف
 في التسمية فسميت نفزاوة وما ذكره وان كان قريبا لا يصح لان تسميتها
 بذلك قديمة من قبل الاسلام على ما في التواريخ والاصل المذكور عربي
 ولا عربية في المغرب قبل الاسلام اتفاقا)





منظر من واحة دوز بصحراء قزاقية

اما الان فعمراتها ضئيل جدا بالنسبة لما كانت عليه في زمن الامام
 العياشي لان قراها التي كانت اذاك تناهز الالف وهي رواية تدل على
 الكثرة ولو كانت فيها مبالغة فانها لا تتجاوز الخمسين قرية اهمها مدينة
 قبلي التي هي مستقر الحاكم العسكري الفرنسي المتأمر على نواحيها اما
 واحات نخيلها كواحة دوز وواحة تلمين فانها في تناقص لهجوم الرمال
 عليها لذلك اقامت لها الدولة التونسية سدودا في سنة ١٣١٣ لرد تلك
 الهجمات التي لودامت لقضت عليها



واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة

اما قاعدة نفزاوة لمهدنا هذا فهي بلد قبلي وبها مركز العمل
 ومركز الحكومة العسكرية كما سبقت الاشارة لذلك



البرج الحربي قبلي من عمل نفزاوة

ومن اعمال مدنين فم تطاوين وهى عبارة عن واحدة من النخيل لا



كيف يحرقون الارض بفم تطاوين

اجل من موقعها وبها مساكن الودارنة في الجبل الايض وهم من نسل قبائل
زناته ويليها للشمال الشرقي بلد بن قردان وهى واقعة على بحيرة البيسان
احبتها الادارة العسكرية في السنين المتاخرة لذلك كان بناءها ارقى مما عليه
قرى بقية قرى تلك الجهة



سوق بن قردان

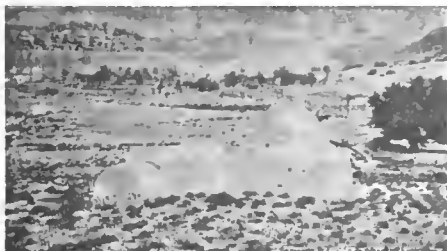
وبشمال مدينين لجهة الشرق مرسى جرجيس ولها سوق تجارة ناقصة
وكانت على عهد الرومان مناخ نزهتهم ورياضاتهم وعرايشهم ولم تزل
مواجههم بها قائمة الذات الى الآن بل وبعضها وقع الانتفاع به كما وقع
الانتفاع بمواجه الميلاء بقرطجنة حيث جعلتها الدولة التونسية خزانا لري
اهل تونس وهذا المواجه تاوي من الماء الزلال المجلوب من عيون زغوان
وجفّار وبرفو كمية لا تقل عن خمسين الف متر مكعب

وقد وجه الاستعمار الفرنسي مهجته نحو جرجيس ففرس بها من الزيتون
في مدة هذه الثلاثين سنة نحو ثلاثمائة الف عود اثمر منها اكثر من الثلاثين
كما تعاظم المعمرون بها خدمة الارض باحياء مواتها والانتفاع بها لزراعة
الحنطة وخصوصا الشعير لمن الشعير النابت بارضها يخرج ايضا فضيا وهو
النوع المرغوب فيه لصنع بعض الاشربة الروحية كالذي يسمونه « ويسكي »
ثم الجمعة لذلك يقدم اليها التجار الانكليز في موسم كل سنة ويشتررون
شعيرها ويحملونه لبلادهم لصنع ما ذكر



منظر مرسى جرجيس

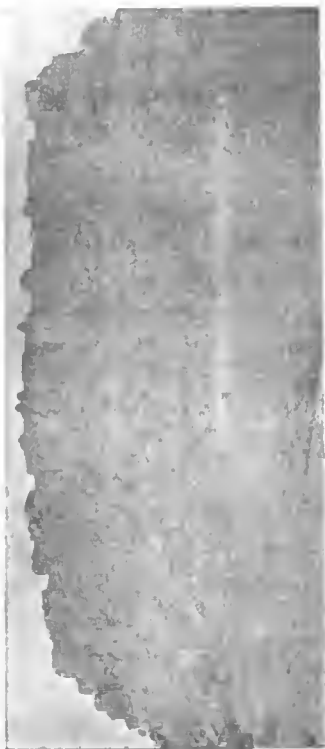
ولغربي مدنين توجد جبال مطماطة ويقال ان جدود اهلها من البرابرة
الذين اعانوا الكاهنة على تدمير افريقية اختلطوا فيما بعد بالعرب من بني
هلال وبقوا على تقاليدهم وعوائدهم يسكنون الغرف والاعشاش حيث
يختزنون اقواتهم بما يدل على ما كان في طباع اسلافهم من الفنون
والشكوك التي يستمدون نحوها لجمع المؤن بالبيت حتى يكون الفضاء
واسعافي وجوههم لمجرد الكر والفر



منظر جهة غمراسن

ولئن كان رجالهم كذلك فقد كان انسابهم من المهارة في صنع
المنسوجات الصوفية من فرش ولبوس ما اكسب جبهتهم شهرة عند التجار
والنخاسين الذين كانوا يتبادلون معهم البضائع فيأخذون منهم تلك
المنسوجات وما تنتج ايديهم من مصنوعات الحائك ويعطونهم قبلها الرقيق
والعاج والتبر الى غير ذلك من الروابط التجارية التي لم يبق لدى اهالي
مطماطة والدويرات منها إلا الحديث على تقدير ان فيهم من يحسنه

قصود بني بركة من جبل الدويرات



(١٨٢)

و وراء هذه النواحي الشاسعة التي أصبحت امتلاء، أصبح اليوم في بحر الأمان والديانة
والهدوء توجد النقطة العسكرية القائمة بحراسة أخلاف المملكة التونسية كإبراج
الدهيات والجناين وزاير وما والأمان واحات النخيل ومرافق الماء بالصحر



برج الدهيات



برج الجناين

ومعلوم ان تلك الاخلاف حررت حكومة الحماية حدودها في سنة ١٢٢٩ باتفاق مع الدولة العثمانية التي اعترفت بتوقيعها ضمن المستملكات التونسية الى اقصى جبهاتها بحيث ان الحد الجنوبي لهذا القطر صار موقعه على مقربة من ابواب غدامس التابعة لولاية طرابلس الغرب . وهذا القفار جابها صاحبنا الشيخ محمد الحشايشي في سنة ١٣١٣ وكتب فيها رحلة حافلة نشرت ترجمتها باللغة الفرنسية وتعرض فيها لاسماء قبائل الماشمين واخلاقهم وعوائدهم كما افاض القول فيها عن الطريقة السنوسية المنتشرة من فزان الى اطراف الصحراء الغربية وهؤلاء الملممون من نسل بعض اولئك الجيوش الجرارة التي كانت ملتفة حول عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولتين الموحدية والحفصية الى مثلهم اشار فخامة رئيس الجمهورية في قوله بعامب اطوال الشريدي بغابة صفاقس « اولئك الفرسان خطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها » ولقد اصاب فخامته في وصفهم لانهم من الذين يعتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح





الشيخ محمد الحشايشي الشريف

هذا وارانني قد بعدت بالقاري عن موضوع الرحلة وانما اداني لذلك
 حب الالام باخبار المملكة التونسية اجمع لان الرحلة الرئيسية استقصت
 اغلب جهاتها كما تقدم لك ذلك وكما ستراد بين المشاهدات في الابواب
 التالية وبهذا الالام نكون قد احطت بالكلام على الوجه البحري من
 شمال وشرقي القطر التونسي كما اشبعت القول عن اعماله الجنوبية
 واخلافها بالقفر والصحاري لذلك عن لي الرجوع بالقاري لحديث زيارة
 مسيو فليار لمدين فنقول

لما حل ركاب فخامته بمدنين كان في استقباله على بعد من البلدة جناب الكونيل فوشي الكمندان الاكبر لكافة الجهات العسكرية الجنوبية يكتنفه ضباط المراكز من الجهات السحيقة حتى المنقطعة عن المواصلات والعمران قد جاؤا على المهاري والابل يقطعون البراري من بعد مسافة ثلاثة ايام ولله در الأمير عبد القادر حيث يقول في وصف ذلك سفائن البريل اتجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر وكان في صحبة الكمندان نحو الثلاثة الآلاف من سكان تلك الجهات فتقدم الكمندان وحي فخامته بحسامه وفعل مثله بقية الضباط اما فخامته فقد رد عليهم السلام واظهر استحسانه لبزاة اولئك الاعراب حيث كانت عمهم وبرائسهم في نهاية من البياض وكانوا مستظلين من الشمس بمظلات عريضة من التبن الجميل وكان عمالهم ومشايخهم وعمدهم متحليين ببرائيس حمريملوها وشاح بطرز الذهب وفي مقدمتهم البطل المقدم السيد سعيد ابن نصر عامل نفزاوة موشح الصدر بوسام الشرف الذي كانت اهدته له الدولة الفرنسية عند ما خاطر بنفسه وترامى على المهالك لاسترجاع شلو الماركيز ده موريس الذي قتل المثلثون بجهة الوطية على مقربة من سيناوت لمدة ستة عشر عاما فارطة فلما رأى فخامة الرئيس ذلك الجمع العظيم من الخلائق وهم لاهجون بمظاهر الطاعة والاخلاص انشرح خاطره لمنظرهم واخذ يتبع بدقة حركاتهم وسكناتهم معجبا بمهارتهم في الكر والفر وبفرستهم وحدثهم في ركوب الخيل واذاك قام اولئك

الاولف بملعب عربي عظيم تحت انظار فخامته ووزرائه بما راق في
اعين جنابه

ثم تقدم الموكب ودخل بلد مدينين بين هتاف الرجال وولولة النساء فاجتاز
طرقها ووقف بيساب الكمندان حاكمها العسكري واذاك
اذن فخامته بانتظام موكب القبول فتقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته
بضباط المركز وخاطبه بقوله (ان هولاء الضباط متاثرون جدا للعناية العالية
التي قمت بها نحوهم اذ قدمتم لاجلهم من مكان بعيد لتعرب لهم فخامتكم
مباشرة عما لفرنسا نحو ابنائها البعيدين عنها من الاعزاز الذي جعل منزلتهم
امكن من قلبها وهولاء الضباط يمثلون الحكومة بهذه الجهات على احسن
نظام وابدع اسلوب ناهيك انهم يجمعون في ذواتهم ماموريات شتى فمن
مدارس احدثوها للتعليم ومن مستشفيات قاموا بخدمتها في سبيل الانسانية
ومن طرقات مهدوها للعابرين وابناء السبيل ومن رياضات واجنة اسسوها
لفرس عروق المدنية بهذه الارض ومن ارشادات ونصائح لقنوها للعنصر
الاهلي ليسلكوا به مسالك الرقي والحضارة وبعبارة افصح فهولاء هم الاباء
المربون لهذه الاصقاع واهاليها وكل مشروع حسن تم بهذه الارض راجعته
مزيتة عليهم)

وقد اجابه فخامة الرئيس بمظاهر الشكر قائلا « انه لعريف بمقدار
جد الضباط واخلاصهم واستعدادهم بشراشر قلوبهم لاعلاء مجد فرنسا على
ان لهم حظا وفيرا في كل المشروعات والترقيات التي انجزتها ادارة الحماية
بالمملكة التونسية فهم من هذه الوجهة هنا نواب التقدم والمدنية »

ثم تقدم لاداء مراسم التهانى عمال و رغبة ونفراوة ومطماطة يصحبهم اعيان اعمالهم فاعرب لهم فخامة الرئيس عن رضائه على مسلكهم وانعم على اولهم وهو السيد مسعود بن العربي بوسام الشرف الفرنساوي وهنالا عن اخلاصه في خدمة الحكومة المحلية كما هنالا باخلاص ابنه في خدمة الادارة العـ كريمة واذاك اسباب العامل متشكرا وفائلا ما معنالا * ان من جاء على اصله فلا سوال عليه لذلك كان صنيع ابنه من قبيل القيام بالواجب والمرء لا يستحق الثناء عما هو فرض عليه »

هذا وعند انفصال موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادبة حافلة دعى اليها وزراء و المقيم العام والجنرال يستور والكولنيل فوشي والسيد سعيد بن زمر والسيد مسعود بن العربي والسيد الحبيب بن ابراهيم ونحو ثلاثين آخرين من الذوات والاعيان اما بقية رجال القافلة الرئيسية واهل الصحافة فقد اقيمت لهم مادبة خصوصية اتيقة بخان قبلي الذي هو اجل بناية بالبلد

وكانت الونة الطعام الذي تناوله فخامة الرئيس ورجاله من انواع الطبخ العربي كسكسون وشكشوكة وشوا على اسلوب البدو وهذا الشوا كان عبارة على ثلاثة خرفان تامة الدات قدمت للمائدة ملتفتة في لحاف من الكتان فوق عامود طويل

ثم تحرك الموكب لزيارة المستشفى الاهلي الذي احدثته الادارة العسكرية بمساعدة الكتابة العامة في سنة ١٣٢٧ فطاف فخامة الرئيس بغرف هذا المارستان الذي هو لدى عموم سكان تلك الجهات بمنزلة الماء من الضمان واتنى على همة الرجال الذين قاموا بمشروعه ثم اتنى بوجه

خاص على جناب مسيولان الكاتب العام لعنايته بالشئون الصحية وهنالك
عن حزمه ونشاطه كما هنالك الوزراء ايضا بذلك ومن هنالك تحرك الموكب
لزيرة مدرسة البلد حيث تلقى فخامة الرئيس تهنئة مديرها كما نصت
لخطاب القاء عليه بالفرنساوي طفل بدوي اعجب لفصاحته الحاضرون
ومن المدرسة توجه فخامة الرئيس لافتتاح محل البوسطة الجديد فتلقا
بباب الادارة جناب مسيو شومي الكاهية الوزيرى للبوسطة والتعارف
بباريس وطاف به خلال غرف واقلام الادارة التي جاءت غرة في جيبين
قصر مدين

ثم ارتقى فخامته لرواق المحل واستعرض جيش المهاري وكانوا في عدد
اربعمائة فارس تحت امره القبطان جيرار كما استعرض الجند العربي
المسمى « القوم » وهذا الجند الذي احدثه فرنسا بالجزائر كما احدثت
مثله بالجهات الجنوبية بتونس قد احدثت اخيرا نظيرا بالمغرب الأقصى
وهو عبارة عن شبان يوحّدون من القبائل والعروش بتيهم الدولة على
نظامهم العائلي إلا انها تسلمهم وتجعلهم تحت امره ضباط فرنساويين وتوكل
بهم القيام بوظيفة الطلائع في الحروب اعني تجعلهم في ميدان الوغى مقدمة
للجيوش النظامية وقد ابلوا البلاء الحسن في مواطن كثيرة مما حمل فرنسا
على توسيع نطاق افرتهم بمستعمراتها وبالبلاد الخاضعة لنفوذها بافريقيا الشمالية
وحتم الرئيس رحلته لمدين بزيارة احيائها العربية وتعجب كثيرا
بالخصوص من المساكن الاهلية المسماة في اصطلاحهم بالغرف كما سبق
التعريف بذلك في محله من هذا الباب



فخامة الرئيس وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدنين
ثم تلقى فخامته مراسم الوداع من الكولونيل فوشي وتحرك رداً
مخفوقاً بالقوم المشار اليهم وبجيش المهاري عائداً لقابس فوصلها مع الغروب
وقصد دار المراقبة المدنية حيث اقام مأدبة فاخرة للوزراء والمقيم العام والكاتب
العام والجنرال يستور والمراقب المدني وغيرهم من الدوات
وبينما كان فخامته يستريح اثر الوصول خرج الوزراء ورجال العاشية
قبل حضور المأدبة المذكورة وزاروا احياء المدينة وبالاخص المرضى
الصحراوي الذي اقامه الاخوان التاجران الكبيران السيد محمد والسيد احمد
علان وهو عبارة عن ممرض بضايح وتايج صحراوية وسودانية جلبتها
القوافل التي رتب سيرها بانتظام الاخوان المذكوران بين قابس وتنبكتو
قاعدة السودان الغربي فاعجب الجمع بحسن تنسيق تلك المروضات
واشتروا منها اشياء كثيرة كما حضر الاعيان المذكورون بعد العشاء حفلة
« عيساوية » اعقبها رقص سوداني قام به عشرة من الزنجيات فضض جناب

وزير الفلاحة مسيو بامس كف احداهن بكمشة مجهولة طيرتها فرحا
وسرورا وبعد ذلك انصرفوا لحضور « بالو » اروبواوي عمومي اقيم
اكراما لهم بسوق الفلال فقمضوا هنالك جزءا عظيما من الليل وعادوا في
وقت السحر لدار المراقبة المدنية

ولما اصبح الصباح تاهب فخامة الرئيس لمبارحة قابس فانتظم الموكب
العسكري يبطحاء المراقبة وترنمت الموسيقى بانشودة المرسلين فركب جنابه
الفخيم على الساعة السابعة عربية سيارة وركب الوزرا والعاشية ورجال
الصحافة السيارات المعدة لنقلهم وتحرك الموكب بين مظاهر الاجلال
والتعظيم قاصدا محطة الغربية البعيدة عن قابس بشمانين ميلا والواقعة على
السكة الحديدية الموصلة للجريد



الباب السادس

في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتلوي
 وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لقفصة وامامل الفسفاط
 كان السماء زاهيا والهواء عليلا عند خروج الركب الرئيسي من قابس
 صبيحة يوم الاحد ٢٣ افريل ١٩١١ بقصد التوجه لموقف الحديد بالغربية
 فتمكن فخامته كما في اليوم قبله من تسريح الطرف في رياض هاتيك
 النخيل الباسقات المتلاوحة الاطراف على اليمين والشمال واجال النظر في
 جمال هاتيك المناظر الراقية والغصون المستقيمة وكانت علايم الانشراح
 والانبساط بادية على محيلاء والعربان والبدو يهتفون على مرور كابه ويدعون
 له بالسعادة



موكب فخامة الرئيس راكبا عربات الاتمبيل فيما بين قابس والغربية

ولما كانت ساعة الضحى وصل الموكب لمحطة الغريبة حيث كان في انتظار فخامة الرئيس رتل خصوصي لنقل جنابه من هنالك للمكناسي وقفصة والمتولي فامتطى فخامته ووزراءه وحاشيته متن القطار وساروا قاصدين بلد المكناسي التابعة لعمل الهامة فوصلوها في حدود الزوال وإذاك نزل الموكب لمحطتها وكانت لابسة ثوب الزينة وجدراتها منسأة بالزرابي الجميلة من صنع عروش جلاص والاعلام خاقعة فوق اعاليها فدخل فخامة الرئيس لقاعة القبول وتلقى مراسم السلام والاحترام من النزلاء الفرنسيين ومن اعيان عمل الهامة يتقدمهم عاملهم السيد الطبيب المغراوي وخلفاوات ومشايخ وعمد عروشهم ثم من مدير مدرسة المكناسي ومعلميها فشمّل الجميع بلطفه المهود واحسن للتلامذة براحة ثلاثة ايام ثم توجه للفقور





موكب أفخامة الرئيس عند توجهه للفقور بالمكناسي
وهذا الفقور اقيم على مقربة من المحطة تحت خيام فسيح رصع بكل
غال وتمين وكان اديم الارض مفرشا بالزرايبى العربية من اعلى طراز حتى ان
الاقدام كادت ان لا تستقر عليها لثخن فروها وكانت مائدة الطعام تعاكي

اشهى شئ يكون بما دل مجموع ذلك على ثروة شركة مناجم المتلوي التي كان فخامة الرئيس في ضيافتها من ساعة حضوره بالمكناسي اما المكناسي وهو من مراكز الاستعمار الحديثة فهو عبارة عن سوق لوسق الحلفا التي يقطعها البدو من جهات عمل الهامة وماجر ويميشون من ثمرتها وتجارها لها حركة غريبة قد سمعت من الثقات ومن اعيان بيوت ماجران البدو الذين كانوا لا ينتفعون بها اصبحوا بفضل اختلاطهم بالتجار الادروباوين من احسن الناس تقديرا لتلك النعمة التي هي تجارة بلاراس مال

ولما جلس فخامة الرئيس للطعام اجلس ليمينه وشماله وزراء والمقيم العام والكاتب انعام ومدير شركة الفسفاط ورجال الصحافة حتى اللطيفة مدام مريم هاري مكاتبه جريدة « التمثيل التصويري » المشهورة بتحريراتها الخيالية وبحب ابنا تونس خصوصا والعرب على الاطلاق

وبينا كان القوم يفطرون كانت آلاف البنادق تبرق وترعد ووفود العرب يتظاهرون بمظاهر السرور اكراما للرئيس المشكور

وبعد انتهاء موكب الفطور تحرك الركاب الرئيسي قاصدا قفصة مارا على مركز السند حيث وقف لحظة لقبول مراسم احترام اعيان المكان ثم استأنف السير الى ان حط رحله بقفصة

قبل الكلام على الزيارة الرئيسية لاعيان قفصة بمحطتها الحديدية لان برنامج الرحلة لم يتضمن زيارته لمدينة قفصة نفسها ولا لتوزر ايضا لان تضايق الوقت حكم بالتوسط بين البلدين وجعل موكب القبول بالتواوي الذي هو اثرى بلاد الجريد في الزمن الحاضر يجدر بنا جريا على القاعدة التي توخيناها في هذه الرحلة من تصدير كل مدينة تذكروها بملخص

تاريخي وجيز لماضيها وحاضرها ان ننقل للقاري الكريم ما تعلق بذهني من اخبار المدينتين المذكورتين ثم نرجع لحديث الرحلة الرئيسية قفصة كانت تسمى على عهد الرومان « كابصة » ومن زعم غير ذلك وادعى ان لفظ قفصة جاء من مادة « القفص » الذي هو الوئب اي النشاط فهو وهم ليس من الصحة في شي * وقد لعبت قفصة دورا عظيما في الازمان الاولى سيما في ايام الامبراطور ماريوس الذي اُخربها واعاد عمارتها في حدود سنة ٧٣٠ قبل الهجرة

اما في دولة الاسلام فقد تناقص عمراتها بفشو الفتن في ربوعها سيما على عهد الدولتين الموحدية والحفصية وقد جاء ذكرها بببارات التمجيد في معجم البلدان الى أن قال « وبها ينبوعين للماء احدهما يسمى الطرميد (وقد حرفوا لهدنا هذا فجعلوا « الترميل » وهو لحن كما ترى) والاخر الماء الكبير وخارجها عينان اخريان احدهما تسمى المطوية والاخرى يش وعلى هذا العين عدة بساتين ذوات نخل وزيتون وتين وعنب وتفاح وهي اكثر بلاد افريقيا فستقا ومنها يحمل الى جميع نواحي افريقية والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وتمير القيروان بانواع الفواكه قال وقد قسم ذلك الماء على البساتين بمكيال توزنه بمقادير شربها معمولة بحمكة لا يدركها الناظر لا يفضل الماء عنها ولا يموزها تشرب في كل خمسة عشر يوما شربا وحولها اكثر من مائتي قطر عامرة اهله تظروحواليها المياه تعرف بقصور قفصة » قات وهذا القصور هي المدائن والقرى والمدائر الموجودة بالجريد حتى لهدنا هذا ومنها الحمة التي تسمى اليوم العامة باشباع الحاء ونفطة وكانت

تسمى نفطى والوديان وكانت تسمى دقيوس وتوزر بسكون الواو وغيرها
 مما امر بتخريبه يوسف بن عبد المومن بن علي لانهم عصوا عليه قال
 ياقوت وعزاه للبكري ان توزر كان يخرج منها في اكثر الايام الف
 بعير موقرة تما رقلت وعلى تقدير وجود مبالغته في هذه الرواية والناقل
 امين فان تعبيره بوقر الف بعير يدلنا على وفرة كمية الثمر الذي كانت
 تصدره واحة توزر في القرون المتوسطة اما اليوم فمحصولها من الثمر
 دون ذلك بكثير إلا ان موسمها عظيم بالنسبة للزمان والمكان واغلب
 ما يقتطف اليوم من نخيلها لا تراه عيننا بل نسمع به مجرد السماع لان
 احسنه يشتريه التجار فوق رؤس شجرة ويبيعونه كذلك ومنها يشحن
 في الصناديق ويوسق لادوبا على طريق الجزائر

وفي مدح توزر يقول الكاتب ابو علي بن ابراهيم
 خير البلاد لمن اتاها توزر يا حبذا ذاك الجنان الاخضر
 والنخل مثل عرايس مجلوة في سندسيات اللباس تبخر
 وكأنا نظم الحلي لنخرها من لؤلؤ وزبرجد يتخير
 وهي طويلة تقل منها ابن الشباط ثلاثين بيتا وعلى ذكر ابن الشباط
 نقول انه قد أصبح متقرزا في الاذهان ان ابن الشباط هذا هو الذي ضبط
 طريقة توزيع المياه بالجريد اي بالجهالة المسماة لمهدنا هذا ببلاد السقي
 وهو قول يحتاج لنظر لان ابن الشباط كان يعيش في اواخر المائة السابعة
 وهذا كتاب المالك والمالك للبكري الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧
 فصل كيفية توزيع تلك المياه على اوضح بيان فيكون ما نسب لابن الشباط

انما حصل بمجرد الشهرة او باحيائه لشيء تلاشى فاعاد وضعه ومن الجائز
 انه اعادله بأسلوب احسن مما وضعه من تقدمه
 ولترجع لحديث الرحلة فنقول ان فخامة رئيس الجمهورية لما نزل
 موكبه بموقف الحديد بقفصة تلقى هناك مراسم السلام والاحترام من
 اعيان المعمرين الفرنسيين ثم من متوظفي الادارات الفرنسية فخطب
 لديه المراقب المدني مسيو بريكيكز خطابا نفيسا حيدا فيه نيابة عن الخاصة
 والكافة



اقتبال فخامة الرئيس عند دخوله لقفصة

وقد اجابه فخامة الرئيس بالمباركات الالية « ان رحلتي هذه تشمل
 في آن واحد مقصدين وهما التمسح بالعمالة التونسية ثم البحث عن احوالها
 لان مرادنا استطلاع شؤون هذه الديار من كل الوجوه اما فيما يخصكم فاني

على ثقة من لياقتكم لما انتم اهل من الاعمال الموكولة اليكم وهي اوصاف قدرها جناب الوزير المقيم حق قدرها منذ زمن بعيد لذلك اصبح سروري عظيما تلقاء صنيعكم المحمود

ومن جهة اخرى فحيث ان جناب الوزير المقيم راض عن اعمالكم يسوغ لي ان اشكركم بلسان الامة الفرنسية قاطبة وان اوصيكم بالاستمرار على اقتناع العنصر الاهلي بان مشروعا بهذه الارض انما يرمي للصعود بها الى ذروة التقدم والمدنية لانه متى قتم بهذا الوظيفة يصير الاهلي متحضرا للسمي معنا بالقول والعمل اي باللسان والقلب

وفي هذا المقام نقول ان من الوسائل المشروعة للحصول على تلك الغاية فتح المدارس في وجوه صفار الاهالي لتثقيف اذهانهم وتعميدهم على الخدمة بالاساليب النافعة والمختصرة وكلامي هنا ينصرف بوجه خاص لاساتذة التعليم لاني لا انك قائل ان وظيفتنا بالمملكة التونسية هي امتلاك القلوب لا الاشباح »

فكان لهذا الخطاب وقع عظيم في النفوس اعقبه هتاف اعظم منه بلغ لعنان السماء ثم انصرف المأمورون الفرنسيون وتقدم اعيان الاهالي للسلام على فخامة الرئيس وكان في راسهم عاملهم السيد حميدة بن ابراهيم والمجلس الشرعي وخلفاوات ومشايخ وعمد المدائن والقرى والعروش بعملة فخطب العامل معربا عن شعائر الطاعة والاخلاص وتلا في الخطابة العدل السيد الاخضر بن المفتي جاء ضمن كلامه هذه العبارات (ان النفوس قد جبلت على حب من احسن اليها وحيث ان فرنسا عاملت العنصر الاهلي بالاحسن فلا يسم التونسي إلا حبها بشراشر قلبه)

وقد اجابهم فخامة الرئيس بقوله

« ان مرادي اقناعكم بان مسلكنا نحوكم لم يتطرقه تغيير قط وان امتنا تبتهج بمودتكم التي من ماملونا التحفظ عليها والتي نشفعها بتشريكم في العمل معنا لخدمة الانسانية والمدنية اعني لخدمة الصالح العام

هذا وسيبقى ذكر رحلتي هذا محفوظا بخلاصي سواء ذلك بفرنسا ام بتونس لانني اينما حللت لاقيت من المسلمين اقبالا واکراما ولم يكن ذلك منهم إلا لاعتقادهم بان مشروعا سلمي لا حربي وان فرنسا تحترم المقاييد والاديان ولا تطلب منكم سوى تهذيب ابنائكم وتعليمهم اللغة الفرنسية التي هي لغة العالم المتمدن اجمع لان من الضروري جعل رابطة تجمعنا في احساس واحد ولا يكفي في ذلك توارد الخواطر بل يلزم ايضا الانصاح عنه باللسان

فهذا مدارسنا مفتحة الابواب في وجوه ذرايركم وما عليكم الا ارسالهم اليها لانه طريق الترقى والمدنية »

فتلقى الحاضرون هذا الخطاب بمظاهر الشكر الجميل ونادوا جميعا بالدعاء لفرنسا ورئيسها الفخيم واذاك انفصل الموكب وعاد الرئيس لراته وسار قاصدا بلد المتاوي الذي سمي حديثا باسم « فيليب طوماس » وعند الوصول اليها كان في استقباله السيد احمد اللونقو عامل الجريد والمجلس البلدي بها فتقدم العامل لفخامته وحيلا وترجم عن شعائر اخلاصه وولائه للحكومتين الحامية والمحمية ثم خطب مسيو ميري الكاهية بالمجلس البلادي بالمتاوي فقال

يا فخامة الرئيس

قد حصل لنا سرور عظيم اذ تفضلتم بالوقوف بهذا البلد بما دل على تقديركم لفضل فيليب طوماس الذي له على العمالة حق الكرم لانه احيى هذه الجهة وبندر فيها ثروة لا تبلى وستشاهدون بعد حين اشغال العظيمة والتايج الجسيمة التي تنتطق لسانكم بعد رجوعكم لفرنسا بانه حتى في هذه الجهات السحيقة يعمل الفرنسيون لاعلاء شان فرنسا - فلتحي الجمهورية وقد اجاب فخامة الرئيس بالعبارة الاتية

ان رئيس الجمهورية قصد بوقوفه ببلد المتوازي الاعلان بفضل الرجل العظيم الطيب الذكر الذي زرع بدور الثروة في هذا الاصقاع يعني البيطار العسكري فيليب طوماس الذي اكتشف في سنة ١٨٨٦ مناجم الفوسفات التي تستغلها اليوم شركة قفصة

ثم ان فخامة الرئيس اخذ يجامل الحاضرين بلطف الحديث فقال له السيد احمد اللوتقواتي لشدة فرحه قد اسرع بالمجيء من بعد ستين ميلا للتشرف بالسلام عليه فاجابه فخامة الرئيس على البديهة وتبسم (انا جيت بكل سرور من بعد خمسة آلاف ميل لرؤيتك) وبعد ان تكلم فخامته مع اعيان الحاضرين كل بما يناسبه امتطى رتله متقدما ميلين آخرين ونزل بمناجم الفسفاط حيث مناخ اليد العاملة الفسفاطية ومركز القوة العملية الفرنسية بالايالة التونسية



فيخامة الرئيس وحاشيته بالمتلوي

وقبل ان تكلم على زيارة فخامته لتلك المناجم ينبغي ان نلخص للقاري ما هي مناجم الفسفاط حتى يكون ذهنه متحضرا لتلقف ما سيتبع ذلك من الحديث

فالفسفاط عبارة عن طبقة من الارض مادتها تربية كلسية صالحة لتسميد الفروس والمزروعات يقدررون النوع الموجود منها بغربي العمالة التونسية وبلاد الجريد بخدمة متتامة يمكن دولها اكثر من مائة سنة لاستخراج ما هنالك من الفسفاط ولتتصور القاري وفرة تلك الكنوز الطبيعية نذكر له على وجه الاعتبار مقدار ما يستخرج من موقع فسفاط الدير فقد اقتضى الاتفاق المتعلق به ان الشركة التي اعطيت منحة استثمارها من واجبها ان تستخرج على الاقل مائة الف طن لاطلة في العام (وقد بلغ

المنح الاخرى المعطاة لها بالقاعة الجرداء وبقلعة سنان وبام العرايس وغيرها وهي مناجم قدرت لها الدولة في ميزانية الدخل السنوي ١٢٥٠٠٠٠ فرنك وكان الكشف على مناجم الفسفاط بالعمالة التونسية في سنة ١٣٠١ بعناية مسيو فيليب طوماس البيطار العسكري ووات فيليب طوماس سنة ١٣٢٨ بعد ان رأى مبعولا مكلا بالانجاح اعني باستثمار تلك المناجم التي كادت ان تكون وحيدة بالعالم من جهة نورتها الطبيعية وبتأسيس سكة حديدية طولها ٢٥٠ ميلا لربط الجربد بصفاقس حيث صوب الفوسفات المعد للوسق لانحاء المسكونة كما سبقت الاشارة لذلك عند الكلام على زيارة فخامة رئيس الجمهورية لصفاقس



محلات شركة الفسفاط بالمتلوي

هذا ولما نزل الرئيس بمقاطع الفسفاط بالمتلوي ركب زورجال حاشيته قطارا لطيفا كهربائيا وطاف خلال المعامل وكانت تمثل معنى القوة الفكرية

أثني أودعها الله في الانسان فتامل منها فخامته تامل تمنع واستفادة ودار في
 عرفنا الى ان وقف على ابواب غرفات الاعمال الواقعة في بطن الارض ثم
 اجال النظر في حركة الخدمة وطاف خلال معاملها مستقصيا منها مسافة
 تميل على القدم واستعجب فخامته بالخصوص من توفير الفسفاط بطريقة
 الانفجار بالعبارات النارية التي كان لها دوي يبطن الارض يحاكي الرعود
 القواصف وازداد عجبه واعجابه بما باغت اليه الشركة صاحبة منحة المتلوي
 لما علم ان تلك المناجم يستخرج منها في العام مليون طنلاطة وان بها من
 العملة ثلاثة آلاف نسمة جلهم من الطرابلسيين والفرازنة والمغاربة وزنوج
 السودان وفي هذا المقام سال الرئيس عن حال هؤلاء الزوج فاجيب بانهم
 من الفعلة الرحالة لا يقيمون بمعامل الشركة الا ريشما يستحصلون على
 نرائس مال ضعيف بالنسبة لتونس كثير بالنسبة لبلادهم حيث يرجعون
 للتاهل وهو اشهى شيء لديهم ومتى عادوا للسودان يجي عوضهم من بني
 عنهم من يقوم مقامهم في العمل وهلم جرا

وبعد ان استوفى فخامته زيارة المناجم الفسفاطية حضر على الساعة
 لثامنة ليلا مادبة اكرام اقيمت على نفقة الشركة وكانت هاته المادبة بالغة
 لحد الغاية من الابداع والخيال التي نصبت بها عبارة عن متحف للزراعي
 الثمينه العجيبة الصنع التي نسجتها اليد العربية وبينما كان فخامته يتناول
 الطعام كانت الموسيقى تصدح بنشيد المرشلياز وعلام البشر والسرور بادية
 على وجوه الجميع وفي ختام المادبة قام مسيو بيلي مدير شركة الفسفاط
 وألقى خطابا هذا ملخصه

ابتدا الخطيب بتهنئة فخامة الرئيس بالنيابة عن الشركة الفسفاطية التي أصبحت تفتخر بزيارة فخامته لمناجها وهي زيارة كانت مشروعها فخر لا ينقص حبلها

ثم اشار لما لفيليب طوماس من الايادي البيضاء في احيا جبهة المتلوي التي كانت قبل قفرا واصبحت اليوم عبارة عن بلد اخذ حظله من الساعدة وال عمران بفضل مليون طنلاطة من الفسفاط تخرج في كل عام من مقاطعه وتسلك طريق اربا لاجيا اشجارها وكرمها

ثم تكلم على المستخدمين والعملة فقال انهم عناصر مختلفة منهم الفرنسي ورفيقه الطلياني ومنهم عناصر اهلية شتى لا يقل عددهم عن اربعة آلاف نفس كلهم يعيشون عيشا هنيا على بساط التسامح لا يخشون من باس ثم ختم خطابه بالشراب على ذكر فخامة مسيو فليار والدعاء للجمهورية وقد اجابه فخامة الرئيس بخطاب نصه

ياها المدير العام

قد حصل لي انشراح عظيم بزيارتي لهذه المصانع الفرنسية ولكم مني الشكر الجميل عن عبارات الثناء التي خاطبتموني بها قد قامت تلك المصانع العامرة في ارض كانت قبل قفرا فاصبح العالم المتمدن تربطه نتايج الفسفاط بما عاد بالثروة العظيمة على العالم الفلاحي ولا شك ان كل هذا نتيجة سداد التدبير واستقرا ما في الغيب والمثابرة على العمل مثابرة غلبت كل شئ

اتي اعلان بالنشأ على مستحقه اولئك العلماء والمهندسون اصحاب الاستنباط والقلوب الحية اذ هم مهدوا وسائل العمل لاهله فكانوا احسن اسوة يقتدى بها هؤلاء الرجال لهم مزية على الناس قاطبة ومن الحق ان يخلد ذكرهم وينادى باسمائهم في كل مناسبة وحين - هذا واتي لمفتخر بكوني من المتسبين للفلاحة ولا احد يمكنه ان ينول اكثر مني بما لمادة الفسفاط من تنمية قوة الارض واستخراج ثمراتها باوفر ما يمكن الوصول اليه وهذه الخيرات عائدة بالبركة على الثروة العمومية ولا مبالغة اذا قلنا ان من الواجب ان يكون مجلس مكتشفي الفسفاط من بطون هذه القفار بمصاف اعظم المكتشفين والمخترعين اما نحن فيحق لنا ان نفتخر بهذا البلاد التي اصبحت مصدرا للثروة العمومية والتي اصبحت اهلها في سعة من الرزق وفي مهرب من المجاعات والفقر

واتي ارفع كاسي على نجاح شركة الفسفاط وسكة حديد قفصة وفي ضمن ذلك مرادي ان يعلم الناس ان عنايتي وعناية الحماية وعناية فرنسا منصرفة نحو اصحاب هذا الشركة ومشتغلها ومديرها ومهندسيها ومستخدميها وخدمتها جميعا سواء كانوا فرنساويين ام اجانب ام اهلين لان في عملهم مصالحة الجميع

فوقع هذا الخطاب من كافة الحاضرين موقع الاستحسان وهتفوا له هتافا طويلا واذاك استدنى فخامة الرئيس مدير شركة الفوسفاط مسيو بيلي وانتم عليه بالصنف الثالث من اللجيون دونور ثم استدنى عامل الجريد السيد احمد اللونثو واحسن له بمثل ذلك النيشان قتلى الحاضرون ذلك بمظاهر الاستحسان والتصفيق الطويل



السيد احمد اللوثف عامل الجريد

وبعد ان اخذ كل حظه من النشاط والسرور توجه فخامة الرئيس
لغرفة نومهم بسراية شركة الفسفاط ودخل الوزراء ورجال الحاشية البيوت
المعدة لاقامهم تلك الليلة وفي صباحها انتظم الموكب الرئيسي وركب فخامة
مسيو فليار رتلى فساربه قاصدا سييطلت

--2010-04-18--

الباب السابع

في الكلام على سيطرة واطلالها

وزيارة فخامة الرئيس لجهاتها واثارها التاريخية

لما استوفى رئيس الجمهورية زيارته لمناجم الفسفاط بالمتلوي عاد مركبه لموقف السكة الحديد بها وتعرف اليوم بمحطة فليب طوماس نسبة لذلك الرجل الذي اكتشف المناجم المذكورة كما تقدمت الاشارة لذلك في الباب قبله واذاك ركب فخامته رتله وسار مودعا من مدير شركة الفسفاط قاصدا هنشير ال واطير حيث حط التعمير الفرنسي رحله في السنين الاخيرة وكان الخط متسر بلا بين الجبال والكهوف والارض بطبيعتها قحلا تكاد تكون عقبة انه انها ارض تامل واعتبار لونها لعبت دورا عظيما في تاريخ الرومان فمر القطار اولابرز سلجة ثم وصل منها بعد سير بطى " لهنشير السواطير حيث يلتقى السكتين الحديديتين سكة شركة الفسفاط التي زائنها اذاك فخامة الرئيس وسكة شركة بون فالمة القوية المتينة واذاك تحول فخامته وكافة حاشيته لقطار مخصوص مزركش وفيه تلقى مراسم الاحترام من مراقب الفراشيش وكاهيته ثم سار القطار قاصدا سيطرة على طريق فريانة فلما وصل فريانة وقف الرتل وتقدم للسلام على المقام الرئيسي اعيان عمل الفراشيش يتقدمهم عاملهم السيد عبد السلام قعيد موشح الصدر بوسام الشرف الفرنسي الذي كانت الحكومة الفرنسية انعمت به عليه اثر قمعه للحركة العدوانية التي

خاب فيها سعي التدروس عرب بن عثمان سنة ١٣٢٤ ثم استأنف
الرتل السير متوجها لسيطة عاصمة افريقيا الرومانية فوصلها
بعيد الزوال

وسيطة هذه كانت تسمى على عهد الرومان « سوفيطلة » وهي
قاعدة ملكهم جرجيس ولا يخلو تاريخ اسلامي للفتوح من ذكرها
باشباع لان سقوطها من ايدي الرومان ودخولها في حوزة الاسلام
كان على عهد الصحابة والتابعين وتعرف غزوتها في التاريخ التونسي
بنزوة العبادة لانه حضرها سبعة من الصحابة والتابعين باسم عبد الله والرئيس
عليهم عبد الله بن الزبير وكان جند جرجيس ستة اضعاف جند ابن الزبير إلا
ان النصر كان حليف المسلمين وقاتل الرومان قتال المستميت وتولوا الادبار
وقتل جرجيس واستقر المسلمون بسيطة وكانت يومئذ من اعمر المعمور
وسلطاتها لا يشق له غبار لانه كان ياتيه المدد من القسطنطينية عاصمة
الروم وكان البربر حقاؤلا ونصراؤا

وكما ان حسان بن النعمان الفسائي دمر قرطجة عام ٦٩ لاستعصاء
القرطاجيين عن الخضوع اليه كذلك فعل قبله باربعين عاما السادة العبادة
غزاة سيطة لكسر شوكة الرومان وتذليل نواصبيهم فلم يكن لعاصمتهم بمد
من شان ومازال امرها في تناقص الى هذا العهد الذي اخذت فيه دولة
الحماية الفرنسية على نفسها احياء ما اندرس من تلك الارض بيت
المال والرجال كما ستره

عند حلول الموكب الرئيسي بسيطة كان في استقباله نحو الثلاثة
الآلاف من الاعيان والفرسان يتقدمهم شيوخ وعمد العربان فابتدا الرئيس
بقبول اعيان المعمرين بتلك الناحية ثم تلقى مراسم الاحترام من مسيو
برطران مدير اشغال المياه المجلوبة من سيطة لصفاس وعلى اثره تقدم
للسلام على فخامته السيد محمد بن بلقاسم بن احمد المكلف بعمل ماجر
بعضده خلفاوات ومشايخ العمل ثم اعربوا عن طاعتهم واخلاصهم للدولتين
فشكر الرئيس مساهم واستحسن بزة اولئك الفرسان واعجب بمهارتهم
في فنون الفرسنة وركوب الخيل اثناء الملعب العظيم الذين قاموا به امام
فخامته

ثم قصد فخامته والموكب مائدة الفطور وهي عبارة عن مائدة انيقة
جدا ابدع ترتيبها المهندس مسيو موكري على نفقة شركة بون قالمة الحديدية
فجاءت آية في الزينة وفي ضروب الترصيع وهذه المائدة اقيمت وسط
خيام مزركش ومحلى بالزرابي الرفيعة فجلس فخامته بصدر المائدة وجلس
الوزراء عن يمينه وشماله وجلس بقية الدواب على الكراسي المعدة لهم
وكان مجلس الطعام موسوما بالملاطفة وانيس الحديث

وفي ختام الطعام نهض فخامة الرئيس وتبعه الحاضرون وسار الموكب
ودليله مسيو ميرلان مدير الانطكخانة لزيارة اطلال سيطة التي تقدم
التريف بها في اول هذا الباب فتأمل فخامته بتمعن واعتبار من ذلك الطلل
البالي الذي مسحت عظمته بيد الدهر منذ ثلاثة عشر قرنا ووقف معتبرا
لدى قوس النصر الذي بني على عهد الامبراطور « ديوكليان » الذي كان
متربعا على كرسي الانباطورية الرومانية اواخر المائة الثالثة بعد المسيح



فضامة الرئيس فليار واقف على اطلال سيطة

ومنه توجه لمشاهدة اطلال الهيكل الضخم الذي كان اقامه الرومان
لكوكب المشتري ثم ختم زيارته برؤية آثار الحصون التي كان اقامها
الروم لدفع الغزوة العربية الثانية التي قضى فيها المسلمون القضاء الاخير
على اروام القسطنطينية المتمكنين على سيطة وافريقية

وبينما كان الموكب الرئيسى يزور الاطلال كان العرب والبدو
يلعبون على الخيول وكان البارود يبرق ويرعد الى ان اسود افق الجوفلما
كانت الساعة الثالثة ونصف ركب الموكب القطار وسار قاصدا القيروان
بين ضجارت اولئك الفرسان الشجعان وهتاف الالوف من العربات وعند
وصوله لسيبة وكانت تسمى عند الرومان سوفاس وقف القطار بها لحظة

تلقى فخامته اثناؤها مراسم السلام والاحترام من اعيانها المعمرين والاهالي
ثم فعل مثل ذلك عند وصوله لسيدي سعد وسيدي علي بن نصر الله وكان
المطر اذاك متنازلا بافراط حتى انه كاد ان يكون طوفانا عند مرور القطار
بجهات الخزازية على ان تهاطل الامطار لم يمنع اهالي تلك الجهات عن
التسابق في اعداد لا تحصى للسلام على فخامته اينما حل او ارتحل لان
فخامته تقدمه بناديهم الذكر الجميل فجاءوا من كل حذب ينسلون
للاعراب لدى فخامته عن طاعتهم واخلاصهم وتملقهم بالدولتين المتحابتين
الحامية والمحمية وبعد ان تجاوز الرتل جهة الخزازية تناقصت المياه التي
كانت قد غمرت سطح الارض بعمق بلغ مفازل عجلات القطار والتحق
بالارض الصماء وبعد قليل دخل القيروان بتحية وسلام



الباب الثامن

في الكلام على القيروان واثارها المباركة

وزيارة رئيس الجمهورية لمدينتها

اعلم ان القيروان من اشرف مدن الاسلام بناها الصدر الاول وبها
شعرات المصطفى صلى الله عليه وسلم ومشهد صاحبه سيدنا ابي زعمه
البلوي رضي الله عنه وقد اختطها عقبة بن نافع سنة ٥٠ للهجرة وعقبة هذا
اما صحابي بالمولد واما تابعي بالاجماع وكان اختياره لبنائها في فلاة من الارض
بداخل البرصونا لجماعة المسلمين من هجمات العدو من البحر وذلك العدو
هم الروم الذين عاصتهم اذالك مدينة القسطنطينية العظمى وقال في مجمع
البلدان ما معناه ان عقبة قصد بتأسيس القيروان استدامة بقاء المسلمين بين
اظهر البربر لان من اخلاهم نكث العهد فخشى ان يهودوا للكفر
بعد الايمان ويسري ذلك لآخواتهم الذين انتظموا في سلك جيوشه فيفسد
نظام افريقية بارتدادهم على الاعقاب بعد ان انتشر فيهم دين الله حتى
اتصل ببلاد السودان وكان عقبة نظرهم بمرآة الحق لان ولي الدين ابن
خلدون اثبت ارتدادهم بعد مرارا عن الاسلام والخلاصة ان القيروان
كانت متمصرة على عهد بني امية والدولة العباسية ثم على عهد بني الاغلب
وهكذا دام امرها الى اوائل المائة الرابعة حيث انتقل ملك افريقية منها
للمهدية التي اسسها عبيد الله المهدي ونصب دولته بها في سنة ٣٠٨ للهجرة
وجاء خلفه من بعده فاعاد عليها شبابها واسس بها ملكا فخيما ضخما حتى

جاء زمن العزيز بن باديس الصنهاجي فكانت على القيروان الطامة العظمى والافة الكبرى وداعية الخراب بهجوم الاعراب الوافدين عليها من مصر في سنة ٤٤١ وبعينهم في الارض بالفساد واسفر ليل ذلك الضلام عن صبح الدولة الموحدية فالحفصية وجعلوا دار الملك بتونس ولم يزل بها الى هذا العهد

وتراجعت اذاك شئون القيروان بتقاصريد السلطة الحاكمة فيها بمد ان امتد سلطانها في ثالث القرون ورابعها الى الجزائر وطرابلس ومالطة وصقلية وقلورية من اعمال إيطاليا ناهيك ان قاضيا اسد ابن الفرات هو الذي غزا جزيرة صقلية ومات بحصار سرقوسة من اعمالها سنة ٢١٣ على المشهور

وكانت مدارسها يومئذ زاخرة بالعلوم حتى الطب والحكمة والفلسفة ومن اشهر اطبائها في القرن الرابع احمد بن الجزار الذي سياي ذكره اثنا حديث زيارة رئيس الجمهورية لمستشفى القيروان

ودامت القيروان منعقدة مع تيار الانحطاط السريع فيما بين القرن السابع والثاني عشر حتى كاد ان لا يكون لها ذكر في تواريخ تلك العصور وهكذا الى اواخر الدولة المرادية فكانت اذاك مسرح الفتن ومسرح المحن التي انجرت لها من اقراض المرادين وقيام الحسينيين مقامهم في ملك تونس فاعتنى بها المولى حسين بن علي بعض الاعتناء وجدد عمارتها واحيا دارسها كما ستراها بمحلها

هذا ولم يزل بالقيروان من المشاهد والمعالم والمعاهد الاسلامية سالا يوجد بغيرها من بقية مدن المملكة التونسية وهذه المعاهد هي التي اكسبتها شهرة مطبقة بالعالم الدروباوي لانها كانت قبل الحماية مغلقة الابواب في وجه الدروباويين وحذار حذار ان تطاها اقدام اليهود فاعتقدوا بجهل منهم ان في فتح مساجدها ومعاهدها لغير المسلمين فتحا ادبيا عظيما وهو ليس بذلك لانه خلافا لما يتوهمون ليست القيروان من التقديس في شيء وليست مساجدها باكثر احتراماً من مساجد بقية بلاد المسلمين في الشرق والغرب وقد زار ملك انكلتيرة ادوارد السابع وهو ولي عهد امه الملكة فيكتوريا قبر رسول الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ايام السلطان عبد العزيز خان وبالرخصة منه ولم يجد المسلمون في نفوسهم من ذلك

على ان فخامة رئيس الجمهورية وهو الرجل المخنك الخبير العليم بسياسة الامم ترفع عن اخراج نفوس القيروانيين بالدخول لمساجدهم فاكتفى بمشاهدتها من خارج او بمجرد المرور عليها كما سترأى بمحله ولا ريب ان في صنيعه هذا من المجاملة والملاطفة ما لا يخفى على لبيب

هذا وقد حان الاوان للكلام على زيارة فخامته للقيروان وها انا اذا تنقل حديثها للقاري الكريم متوسطا بين الاختصار المخل والتطويل الممل وحيث لم يتقدم الكلام في هذا التمهيد التاريخي لنشأة معالم المدينة وترجمة رجالها فانه اتماما للفائدة العقت كل فرع باصله متكلا في زيادة البيان على فطنة المطالع والحديث مع اهله



استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية عند دخول فقامته القيروان

ففي مساء يوم الاثنين ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٢٩ وفي ٢٥ افريل عام ١٩١١ على الساعة السابعة وصل الرتل الذي يحمل فقامته رئيس الجمهورية الفرنسية وحاشيته وكافة اعيان طبقات الاهالي والموظفين مصطفىين بداخل المحطة على خط مستقيم مواز لشريط السكة من الشرق الى الغرب فتلقاه عند النزول مراقب القيروان مسيو منشكور وبعد ان صافحه اخذ في مصافحة صفوف المقتبائين كاهية المجلس البلدي واعيان فرنساوين واءضاء اللجنة البلدية وعامل القيروان السيد الهادي المرباط واذاك ارتجل العامل خطبا بهذا معناه

يا فخامة الرئيس

ان زيارتكم تدل على عناية فرنسا بالامة المحمية وتبعثنا على الرجا
 بزيادة احكام روابط الالة التي تجمعنا بالفرنساويين وقد قلتم ياسيدي
 الرئيس ان القصد من رحلتكم هذه هو استطلاع احوال هذه الديار التي
 احيائكم فلا شك ان زيارتكم والحالة هذه ستكون عاقبتها لدينا
 خيرا من الوجهتين الحسية والمعنوية - فليمش فياير ولتمش الجمهورية
 وقد اجابه فخامة الرئيس بقوله

يسرنني ان رحلتي قد اخذت في الاثمار لانكم اشرتم لكلام قلته اخيرا
 بالعمالة التونسية ومثالا ان مرغوبي ليس التفتح فقط بل استقرا
 احوال هذه البلاد وسماع صوت ابنا وطني وماذا يرغبون لذلك نرى من
 وسائل النجاح ايتلاف العنصرين الفرنسي والفرنسي حتى تصبح مصالح
 الطرفين متزنة ببعضها تعاكي مصالح وحيدة للجميع ومنه ترون ان
 وظيفة الكل هي العمل لرفع شان فرنسا وتونس معا وحيث انكم ناديتهم قائلين
 « لتمش فرنسا » فانا اقول في نوبتي « لتمش تونس » ثم اعاد فخامة الرئيس
 مصافحة العامل والشيخ محمد صدام الباش مفتي وصافح بعدهما القاضي الشيخ
 محمد الملائي فالسيد صالح النجار العضو بالمجلس الشوري فالسيد حميدة
 الجبري رئيس المجلس العدلي فالسيد محمد المقداد نائب جمعية الاوقاف
 فبقية الموظفين والاعيان الحاضرين من عمل القيروان

ثم صافح رجال عمل جلاص مبتديا بالعامل السيد الطاهر بن احمد
 وابنه السيد محمد خليفة سيدي علي بن نصر الله والقي العامل المذكور

عبارات الاحترام والترحيب كما التقى ابنه جملا باللسان الفرنساوي في الدعا
لفخامة الرئيس وبعد ذلك تقدم الى فخامته اعيان طائفة اليهود وخطب
منهم باللسان الفرنساوي للترحيب والاحترام لفخامته مسيو كوهين الوكيل
بمضوية الصلح بالقيروان ثم تقدم للسلام على فخامته وفد خليط النزلاء
فاعيان الجالية الطليانية يتقدمهم القبطان نريتو موشح الصدر بوسام الشرف
الفرنساوي الذي كان اهدي اليه اثنا احتلال مدينة خانية بجيوش الدول
الاروباوية ولما خاطبهم الرئيس اعرب لهم عن اتياسه لحضور الاسطول
الطلياني للسلام عليه بميلا بنزرت وذكرهم ان جنسهم والجنس الفرنساوي
يجتمعان في اصل واحد وهو الاصل اللاتيني القديم واستغرقت هاتين
التحيات نحو نصف ساعة قلد فخامة الرئيس اثناها وسام الشرف الفرنساوي
من الرتبة الثالثة للماجور ماسون كمندان عسكر التريور ومن الرتبة الرابعة
للسيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى كما احسن بالوسام الزراعى
لمسيور وهن البيطار البلدي

ثم ركب فخامة الرئيس وحاشيته العربات التى اعدت لهم وقصد
الموكب دار المراقبة بين صفوف الفرسان فنزل بها ضيفا مكرما ورئيسا معظما
وبها قضى ليلته حتى الصباح

اما حاشيته فقد خرجت ليلا للتفسيح ولزيارة المدينة ومما هدها الدينية واسواقها
المزدانة بانواع المنسوجات الحريرية المختلفة الالوان وبالزرايبى وادوات
الزينة الرفيعة الباهرة وكانت اذالك صوامع ومنازل المساجد تتلألأ بالنور



بيت الصلاة بجامع سيدي عقبة بن نافع بالقيروان
 واتفق ان كان احد الحوائب الحاضرين لخفر الركاب الرئيسي وهو
 الصبايحي احمد بوراس ممن تقدمت مصاحبته لركابه الفخيم اثناء زيارته
 لصفافس حيث خدم فخامته اذاك على مائدة الطعام فمره جنابه العالي وتنازل
 لمواستته بالحديث عند حلوله بدار المراقبة حيث نال العائبة المذكور
 ايضا بما عنده من التهذيب والمهارة شرف الخدمة بين يدي فخامته اثناء
 تلك الليلة فكان حديث هذا العائبة يتناقل بين الجموع والافراد من
 الاهالي الذين اخذوا منه دلالة صريحة على لطف وحلم فخامة الرئيس
 زيادة على ما هو متعلق بمنصبه العالي من العظمة والمهابة
 وفي صباح الغداة اي صباح يوم الثلاثاء من ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٩
 ركب فخامة الرئيس في حدود الساعة الثامنة صباحا عربته وسار في موكبه

المحترم محاطا بكوكبة من السبايس تحت قيادة عامل جلاص وعامل القيروان وكانا راكبين فرسين عريين من عتاق الخيل وعند الوصول لبطحاء باب الجلادين نزل فخامة الرئيس وحل في الرواق الذي أعدته شركة « الزرية » القيرواتية وكان الرواق محاطا بأقواس النصر وجدرانه مغطاة بالزرابي المختلفة التتميق والالوان فقلته جميعتها واهدت له زريته قدمتها الى فخامته طى اطار مذهب فتكرم فخامته بقبولها واتى على ذوق ناسجي بردها وكانت بها صورة صومعة جامع سيدي عقبة بن نافع ومكتوب عليها بالنسج عبارة تفيد تاريخ صنعها ولم يكف فخامته بذلك بل اخذ على نفسه اظهار رغبته في تنشيط تلك الشركة فاشترى من مصنوعها من ماله الخاص زرية كبيرة ثمينة مزركشة بالوان الصوف الطبيعية من ايض ورملي وقرني واسود واسود كاحل

ولما نقد ثمنها لامين صندوق الشركة مازحه بقوله « قبيلة كنت تدفع والآن صرت تقبض » وهي عبارة تطوي حكمة بالغة لان هذا العالم الانساني مبني على الاخذ والرد ولذلك قالوا ان الانسان مدني بالطبع لانه يحتاج لغيره كما يحتاج غيره اليه

ومن هنالك تحرك ركاب فخامة الرئيس وحاشيته وعاد للمدينة فدخلها من باب الجلادين - وهذا الباب والصور المحدق بالمدينة وكان في طول اثني عشر ميلا على ما قصه التاريخ اسمه عقبة بن نافع الفهري - ومعلوم انه بتوالي السنين وبتداول الدول طرا على اسوار القيروان ما طرا على غيرها من المدن فتارة كان شأنها اليك السعادة وادنة كان حايف الشقاوم - هذا القبيل الثاني كان امر سور القيروان الذي بناه الصحابة والتابعون

اذ قد هدمه زياد الله ابن الاغلب سنة ٢٠٩ لما اتهم اهل القيروان بمظاهرة القايم منصور الطنبذي ولم يستأنف بناء إلا على عهد المعز بن باديس سنة ٤٤٤ واذاك جعل تكسيرا اثنين وعشرين الفذراع ثم خربت القيروان واقفرت سنة ٤٤٩ بيد اعراب مصر المسلمين على المعز ابن باديس باذن الخليفة الفاطمي المستنصر عند ما نبذ المعز الاعتراف بالدولة العبيدية بمصر ودعى للقايم العباسي ينفذاد ولما تراجع العمران وجدد السور كان تكسيرا اقل مما كان عليه زمن المعز حتى ان دار الامام السيوري المتوفى سنة ٤٦٢ وصارت له تربة فيما بعد بقيت خارج السور المستجد بعد ان كانت في داخله زمن المعز



مشهد الامام السيوري

وكان اخر الامر باسوار القيروان تجديدها على يد حسين بن علي مؤسس النعائلة الحسينية ادامها الله ولا زال اسمه وتاريخ البناء على داخل ابواب المدينة فلى باب الجلادين الذي دخل منه فخامة الرئيس مانصه

سور اتى في عزة وسرور ليرى غريب البعث بعد نشور
 احي مآثره حسين باينا شققا على المخلوق بعد دنور
 واتى به من ماله بكماله من غير مظلمة ولا تفير
 يرجو لتلك عفو خالقه اذا ما اضطر ذو ذنب لحي غفور
 بالمصطفى توجه بالتوفيق في حرثاته من نهي او مأمور
 مادام يثنى ذا البناء مؤرخا جدت بالباي حسين اير
 ثم جدد السور علي باي بن حسين باي وذلك اخرا به من حصار
 يونس بن الباشا علي بن محمد باي الالير حسين بن علي باي بالقيروان حيث
 استشهد هذا الامير سنة ١١٥٢



باب الجلادين

وسار الموكب بعد الدخول من باب الجلادين في النهج الكبير الممتد
 باستقامة بين باب الجلادين وباب تونس وكانت الزينة والرايات التونسية
 والفرنساوية على ا كمل نظام ثم مر بالحفاوين ثم الحجامين



نهج الحجامين بالقيروان

ثم مر الموكب بسوق الخضار ثم عملة القصدير ثم الخرازين ثم
 الزرادعية ثم الصفارين ثم الجزارين وعند الوصول الى باب تونس عرج
 الموكب الى اليمين وسلك مع داخل السود ومر على باب القصة حيث مقام
 الای التريود





مدخل قصباء القيروان

تم مر على بطحاء غسالة المظاظمة فنهج الزاوية القادرية فنهج السور
الى الجامع الاعظم جامع عقبة بن نافع



جامع عقبة بن نافع وصومته

اما هذا الجامع الشريف فقد تداولت ايدي الولاة عليه فاونة بالاصلاح
واخرى بالتوسيع والتفخيم واما بناءه الحالي فهو من حسنات زيادة الله بن
الاعجب الذي دام ملكه من عام ٢٠١ الى عام ٢٢٣ فقد جدد له جميعه عدا
جدار المحراب الذي بناه عقبه بن نافع فانه ابقاه واقام عليه حايطا حتى لا
يظهر اثر في الجامع لغيره فعمر هذا الجامع اليوم الف ومائة ونيف من الاعوام
لذلك كان جديرا بالتشريف والتكريم - ثم جاء من بعده ابو ابراهيم احمد
ابن الاعجب الذي دام ملكه من عام ٢٤٢ الى عام ٢٤٨ وحسن المحراب
وجعل عليه شبايك من الرخام يرى من ورائها جداره العقبى العتيق
وجلب ذلك الرخام من العراق - ورصع وجه حايط المحراب بقراميد
صينية - واقام بالجامع منبرا غريب الصنع من ساج اتى به من بغداد وهو
لم يزل قائم الذات اجريت به بعض اصلاحات عام ١٣٢٧ وفي الجامع بيت
متسع من الواح مخبرية على نمط عربي بديع مقام على باب مقصورة
الامام على يمين المحراب بنسالة المعز بن باديس لخاصة الملك عند الصلاة
ولعله قصد بذلك الانفراد اما الترافع عن الناس حتى لا يرون انفسهم
متساوين معه ولو بين يدي الله القادر على كل شيء واما التباعد عن مقاصد
اهل السوء والسطو والجرأة





المحارب والمنبر بجامع سيدى عقبة بن نافع

و جامع عقبة هو الكعبة التي كان يحج إليها طلاب العلم من افريقية
 والمغرب والاندلس على عهد امام المغرب سحنون بن سعيد التونسي القاضي
 المتوفى سنة ٢٤٠ و لاهميته العامة والتاريخية كانت العناية به متواصلة
 حفظا لذاته وحشا على نشر الامم في كل عهد وجيل وعليه اوقاف جمّة من
 ربح وعقار واشجار حتى في غير القيروان مثل اعمال الساحل وقابس
 وافريقية وهو الان محل عناية الدولة التونسية التي لم تنفك ساهرة بعين
 كتابتها العامة على حفظه والسعي في عود شبابه وليس احد بهذا الديار
 يجهل ما لجنتاب مسيورا والوزير المفوض من الايادي البيضاء والهمة
 المتواصلة والمساعدة على احياء ذكر هذا الجامع في الخافقين
 ولما وفد ركاب رئيس الجمهورية لجهة الجامع وقفت عربة فضامته

بباب الصحن وطافت بقية العربات بالجامع من كل جهة حيث كانت ابواب
 المصلى مفتحة جميعا ثم رجع الموكب بعد زيارة الجامع على هذه الصورة
 وخرج من باب تونس قاصدا زيارة المستشفى الاهلي الذي وقع احداثه لثلاث
 سنوات فارطة فنزل فخامة الرئيس وحاشيته فتلقاهم على باب السياج المحيط
 بساحة المستشفى الحكيم الماسوف عليه كاردالياقي مدير هذا المارستان
 والمعاون الطبي السيد عبد القادر المرزوقي ف شكر الرئيس الحكيم المذكور
 وقال له بلغني اعتناؤك واجتهادك في مقاومة انواع الامراض وساله عن اطوار
 خدمته في المملكة التونسية وعن بدلا بفرانسا فعرفه الطبيب بذلك وبين له ان
 عدد الكشوفات الطبية التي جرت على يده في العام الفارط كانت تسعة عشر الفا
 وعدد ذلك في الشهر الفارط « مارس ١٩١١ » الفان وخمسمائة وقدم الى فخامته
 معاونه السيد عبد القادر المذكور فسال فخامته عن نشاط المعاوين المسلمين
 ونجاحهم ف شكر له الطبيب التلامذة المتخرجين وقال ان مشروع تخريج التلامذة
 المعاوين من انفس اعمال الحكومة وبعد ما شاهد بيوت الرجال والنساء خرج
 من باب دار النساء وكان دخوله من باب دار الرجال وقبل ان يبارح
 المستشفى احسن فخامته بالوسام العلمي للحكيم كاردالياقي المذكور وبمثله
 للسيد محمد المقداد الوردتاني نائب عموم الاوقاف اما بالقيروان المستشفى
 المذكور فقد كان الشروع في بنائه عام ١٣٢٦ وتم وفتح للمرضى يوم
 الاثنين الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ والثالث من ماي ١٩٠٩
 في موكب حافل حضره جناب الوزير المقيم العام و جناب مسيو بلان

الكاتب العام وراقب القيروان وعالمها والمجلس الشرعي ونائب الاوقاف
ووكلاء الاحباس بها وخطب يومئذ المراقب المذكور وهو من المستعربين
المجيدين وتمنى ان يرى من ابناء القيروان الميل الى تعلم الطب حتى يرى
منهم امثال احمد بن الجزار الطيب القيرواني في القرن العاشر للميلاد
(الرابع للهجرة) ثم اعان بافتتاحه للبؤساء وابناء السبيل واثنى على همة
جناب الكاتب العام ونشاط نائب الاوقاف بالقيروان الذى اشار بتسميته
بمستشفى ابن الجزار احياء لذكر ذلك الحكيم القيرواني الذى كان يعيش
في القرن الرابع وتنبها لمجد مدينة القيروان ثم ان فخامة الرئيس توجه
من المستشفى لزيارة فسقية الاغالبه وتعرف في التاريخ بماجل بني الاغلب
بنابا ابوابراهيم احمد بن الاغلب خارج باب تونس على شكل هندسي كثير
الاضلاع وكان شرب اهالي القيروان منه وبنى في وسط الماجل صرحا مشمن
الشكل باعلاا قصبة ذات ابواب اربعة تحمل احد عشر رجلا يجلس فيها
الامير مع حاشيته ولا زالت بقية ذلك الصرح الى الان في مركز محيط
الفسقية المذكورة وهذا الماجل الذى اتمه احمد بن محمد بن الاغلب
عام ٢٤٨ كاد ان يذهب ضحية الاهمال ويطوي الدهر خبره لولا ان
تداركته الحكومة في عهد الحماية واطهرت محاسنه واحيت به ذكر
صاحبه واليه تدفع الان المياه الفاضلة من عين الشريشيرة المجلوبة لشرب
القيروان وهو شاهد عدل على ما لصدر الاسلام من الاعتناء بعلوم العمران
وحسن الذوق وكمال الحضارة وعلى الماجل المذكور اوقاف مع
بقية الفساتي التي لنظر جمعية الاوقاف



ماجل بني الغلب بالقيروان

ثم مر الموكب الرئيسي بمقام سيدنا ابي زمعة البلوي ورجع الى محطة سكة الحديد وكانت فرسان العروش فوق خيولها المطهمة باكمل زينة على سمطين ممتدين على طول الطرق التي سلكها ركاب فخامته ولما كانت الساعة العاشرة تحرك الرتل قاصدا مدينة سوسة

اما سيدنا ابو زمعة المذكور فهو عبد الله ابن آدم الصحابي دفين القيروان ومعه شعرات من جسد النبي صلى الله عليه وسلم اتى مع رجال الفتح ومات ودفن هناك ويوجد على جدار القبة التي بناها بتربة ابي زمعة الامير حمود باشا المرادي في اواخر القرن الحادي عشر هـ هذه العبارة « تاريخ وفاة ابي زمعة عام ٣٤٠ » ويتصل بالقبة صحن متسع

ورواقات مكسوة بالقراميد الاندلسية ذات الطلاء الملون البديع ويلى
الصحن مدرسة لطلاب العلم وحفظ القرآن الشريف



منظر داخلي من زاوية سيدنا أبي زمة البوي

ويتصل بذلك علو كان معداً لنزل امراء تونس عند وفودهم على
القيروان يعرف بعلو الباشا



منظر خارجي من زاوية سيدنا ابي زمة البلوي

هذا وبما لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتبار في النفوس
ولاستصحابه شعرات النبوة اعتنى بتربيته السلف والخلف ووقفوا عليها الموقوفات
الطائلة ومن ريعها تخرج الان صدقات كثيرة على الفقراء ومستشفى ابن الجزار
وطلبة العلم والقراء والمدرسين - هذا ولاستيفاء حديث الزيارة الرئيسية
للقيروان لامندوحة للكاتب من التعرض للجسارة والمهارة التي قام بها
ابوجناح بوفي صبيحة يوم مبارحة الرئيس للقيروان فان هذا الرجل
الجسور قد انجز اثنا مرور الموكب بالمدينة تمرينات غريبة على صفحات
الجو الا ان العيون رمته بسهام فوق جريحا فوق جدار وقامت حينئذ
ضجة ارتياح بين كافة الناس واسرعوا لاغاثته فاما طيارته فقد تكسرت
اربا اربا واما بدنه فقد عاينه الحكيم وبشر الحاضرين بان جرحه لا يخشى منه
على حياته وقد اهتم فخامة الرئيس بامرلا وبعث له من بلغه تحيته ويهنيه بالسلامة

الباب التاسع

في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية

واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية

اعلم ان سوسة اسمها الفينيقيون وعندهم ورثها الرومان وكانت تسمى على عهدهم هدر وميطوم وهي من اقدم ثغور الاسلام فتحها الصحابة في سنة ٤٥ للهجرة على يد معاوية بن حديج بالحاء المهملة في خلافة معاوية بن ابي سفيان وكان ذلك في معركة مشهورة مع عساكر الروم الذي سيرهم امبراطور القسطنطينية لمحاربة جيش العرب الفاتحين الا ان النصر كان حليف المسلمين في تلك الوقعة فهزموا عدوهم على مقربة من قصر الجمل الوارد ذكره في محله من هذه الرحلة ومن آثار السلف بها قصر الرباط وجامعها الاعظم وكلاهما احدهما السلطان محمد بن الاغلب فاما القصر فكان معدا للسكنى الغزاة حين كانت سوسة مرسى حريا لدول القيروان وفيها تحشد الجيوش والاساطيل المعدة لفتح جزيرة صقلية وفيها صومعة شهيرة شاهقة البناء كانت ناظورا للمرابطين يترصدون منها طلائع العدو فيكشفون من بعد على اساطيله ويتهاون لمواجهته بالثيران الحامية والسيوف الاوامع وفي هذا المقام روى التاريخ ان غالب الثغور الافريقية على ساحل البحر المتوسط من طرابلس الغرب الى طنجة كانت بها نواظير على نمط صومعة قصر الرباط بسوسة فاذا لاحت اساطيل العدو لواحد من هاتيك الثغور بادر مرابطوها الى اعلام الثغر القريب منهم بعلامات واشارات اصطلاحية ترى من بعد قيادار اهل ذلك الثغر باعلام الذين يلوونهم وهؤلاء

يفعلون على اثرهم مثل ذلك مع الدين يلونهم وهلم جرا بحيث ان كفاة
نفور الاسلام بافريقيا تكون في وقت واحد على علم من الخطر الذي
يتهدد بلاد الاسلام فتأخذ حذرهما وتهاهب للدفاع او الهجوم وفي عصرنا
هذا تحول قصر الرباط لمدرسة لطلبة العلم



قصر الرباط وصومعته

اما الجامع الاعظم بسوسة وناهيك به من مسجد صلى فيه سحنون
وغيره من ائمة الفقه فقد اسسه محمد بن الاغلب المندكور سنة ٢٣٦ ثم زيد
في بنائه بعد سقوط دولة بني الاغلب الى ان تعاضم شأنه واصبح من اضخم
جوامع الاسلام بشمال افريقيا ولقد نقشوا باعمدته في اواسط المائة الرابعة
هذه العبارة وهي « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » مما يويد ما قصه
علينا التاريخ من اذلال وامتهان اهل السنة بسوسة في دولة القايم ابي القاسم
محمد بن عبيد الله المهدي ثم تغلب الحق على الباطل واعتلاء اهل السنة على
الشيعية وهوما اشار له احد شعرائهم المجيدين احمد بن صالح السوسي حيث قال

مدينة سوسة في الغرب ثمر تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريظة والنضير

اتاما الخارجون ليملكوها فكان من الاله لها نصير
اعز الله خالق كل شئ بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا نصره ظهرت دواهي يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكرا سوسة كل ارض ويفشى اهلها العدد الغفير
قيل ان الفحش والظالم والقساوة التي ارتكبها الشيعة نحو اهل سوسة
اوائل المائة الرابعة جعلتها قاعا صفصفا لا ترى فيها انسيا سنيا الى ان اتاح
الله نصره لاهل السنة فاستعادوها من اهل الشيعة واصبحوا كلهم على مذهب
امام دار الهجرة ملك من انس لتوحيد المذاهب يومئذ بافريقية دفعا للشبهات
ولمدينة سوسة ينتسب جماعة من اهل العلم منهم الامام يحيى بن عمر
الكناني وعنه اخذ علماء القيروان (راجع كتاب اقتباس الانوار)



ضريح الامام يحيى بن عمر الكناني بالبطحاء البلدية الجديدة بسوسة
اما اليوم فسوسة هي عاصمة البلاد الساحلية جمعا يربو عدد ساكنيها على
٢٥ الف نسمة وهي بلاد تجارة نافقة وغراسة دافقة ارجاها زاهية واحوازها
زاهرة بفروس الزياتين والعمارات والمصانع وليس عمل من اعمال المملكة
التونسية اكثر من عمل سوسة عمراننا ومدنا وقرى وشؤونها البلدية يدبرها

مجلس يديره نخبة من اهاليها المسلمين والفرنساويين تحت اشراف عاملها
 الفيور ورئاسة معتمد فرنساوي تمحض خدفا وحزما وهو الاستاذ غاليني
 الذي سيأتي ذكره في هذا الباب من الرحلة
 فلما دخلها الرئيس قرب زوال يوم الثلاثاء ٢٥ افريل ١٩١١ كان
 الهواء ناعما والغزاة تغشي باسحتها الابصار وكانت الفرس والزرع قد اخذ
 نصيبه من نعمة الفيث فاصبح جماله يسحر الابصار



الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسي اليها
 ولدى نزول فخامته بموقف الحديد تقدم للسلام عليه كل من مسيو
 دوماس المراقب المدني بسوسة وعاملها السيد البشير صفر والاميرال
 ييلوقايد اسطول بنزرت حيث عاد لساحلها باسطولها المهيب

بعد ان قضى اياما في ميلا صفاقس وعاد للاتحاق بفخامة
الرئيس عند قدومه لسوسة ثم للعودة لميلا بنزرت ليكون على اذن جنابه
للرجوع بفخامته لفرنسا يوم ٣٧ افريل ١٩١١

وكانت محطة السكة بسوسة غاصة بوجوه المستقبلين يتقدمهم الجنرال
ديزورت والمجلس البلدي والمجلس الشرعي والمجلس الافاقي ورجال العدلية
الفرنساوية وسائر الادارات والهيئات الرسمية واصحاب الحيشيات من سائر
الطبقات وعندئذ تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته بالاعيان
الحاضرين ثم عرض على جنابه مراسم تهنيتهم واحترامهم جميعا فشكر
فخامته سعيهم وقلد اوسمة من درجات مختلفة منها الصنف الرابع من
اللجيون دونور للملازم السيد احمد بن حسين من جيش التريور



موكب تقليد الاوسمة بسوسة

ثم انتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر على نغمات الموسيقى مارا
بشوارع المدينة وكانت لابسة ثوب الزينة واعلام الفخر خاققة على معالمها
والناس قد غص بهم رحب الفضاء فكان الموكب يسير الهونا لشدة

الازدحام والفرح الذي بلغ بالسكان حد الهيام ولما وصل الركاب الرئيسي لدار المراقبة نزل فخامته والوزراء ورجال الحاشية ودخلوها مع الاعيان المصاحبين لهم احضور مادبة الاكرام واذاك اطلق الاسطول مدافعه اشعارا بالسلام على فخامته

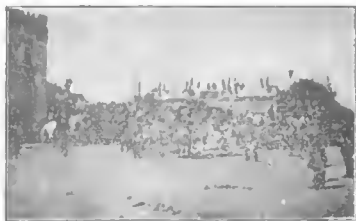
وقد حضر هذا المادبة الفاخرة كل من جناب عامل سوسة ورئيس مجلسها البلدي وكاهيته مسيو غاليني السالف الذكر فلما حضرت ساعة شرب القهوة انتقل فخامته ومعيته لقاعة الاستقبال وتجاذب مع الحاضرين اطراف الحديث واذاك استدنى من فخامته صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة



السيد البشير صفر عامل سوسة

وأنسه بلطيف القول ثم اخذ يساله عن حالة الراحة التي ما افكت متواصلة
 بجهات الساحل ولما اكسد له صاحبنا المذكور اخلاص الاهالي للسكون
 والاقبال على شئونهم بفضل العدالة التي مدت رواقها فيما بينهم انجرب
 الحديث للكلام على الجرائم الشاذة التي هي من خصوصيات البدو
 كاختطاف الابكار بداعي العشق والغرام وهنا افاض العامل القول على ما
 يعقب ذلك من الدفاع عن شرف المعارض الذي يؤول في غالب الاحوال
 للطلاق بين العاشقين فاستفهم منه فخامة الرئيس صورة الطلاق في الشرع
 الاسلامي فشرحه له مبتدأ بالاشارة لونه « ابغض الحلال الى الله » ثم بين
 درجات الطلاق الرجعي والبائن وختم كلامه بمعنى الطلاق بالثلاث
 القاضي بالفصل بتاتا بين الزوجين وحينئذ اخذ فخامته يتبع مجاري
 الحديث بكل تفهم وتعمق فادته قريحته الصقيلة للاستفسار هل من سبيل
 بعد ذلك للجمع بين الزوجين لانه استروح من جواز تكرار النكاح
 والطلاق مرارا السر الخفي الذي ذهب بالشارع للركوب بامته مركب اليسر
 لاستدامة الالفه والمعايشة العائدة طبعاً بتنمية اعداد جماعة المؤمنين وصون
 الرجال عن مد عيونهم لنساء الغير

فقص عليه صاحبنا العامل عندئذ حديث المراهق على المذهب الحنفي
 واقفا دون (حديث المسيلة) واذاك ادرك فخامته بقية النازلة فضحك كثيراً
 ولما استاذن العامل للانصراف حياء فخامة الرئيس وصافحه مصافحة الكرام
 ثم ان فخامة الرئيس تلقى مراسم المودعة من كبار المأمورين
 بسومة وركب عربته وسار موكبه بعد الظهر معفوفاً بالاقبال

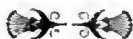


موكب فخامة رئيس الجمهورية عند مبارحته لسوسة

والاجلال قاصدا السكة الحديد حيث ركب الرتل عائدا لحاضرة
تونس فوصلها بسلام

هذا ونختم كلامي على مدينة سوسة بذكر حكاية لطيفة ذكرها
الحميدي في تاريخه قال « اخبرني بعض اصحابنا بالاندلس عن سليمان
ابن محمد الهروي الصقلي قال كان بسوسة افريقية رجل اديب شاعر وكان
يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه قال
فينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب
من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قبس نار ويحرق على الغلام داره لتجنيه
عليه فقام من حينه وجعل ذلك واتفق ان رؤى بعض الجيران فبادروا النار
بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموا فاحضره القاضي وساله عما
فعل فانشا يقول ارتجالا

لما تمادى على بمادي واضرم النار في فوادي
 ولم اجد من هو الا بدا ولا معيناً على السهاد
 حملت نفسي على وقوفي ببابه حملة الجواد
 فطار من بعض نار قلبي اقل في الوصف من زناد
 فاحرق الباب دون علم ولم يكن ذاك من مرادي
 قال فاستظرف ذلك القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان له
 يعود وقريب من تجاوز هذا القاضي اللبيب صنيع الخليفة عبد الملك بن
 مروان يقال انه هو الذي ابطال اول حد في الاسلام اذ رجع عن قطع يد
 سارق لانه انشده ساعة الحكم عليه بقطع يده
 يدي يا امير المؤمنين اعينها
 بمفوك ان تلقى مقاما يشينها
 فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
 اذا ما شمال فارقتها يمينها



الباب العاشر

في الكلام على زيارة فخامة رئيس الجمهورية للجهات الغربية

ولخرابات دقة ورجوعه لفرنسا

بعد ان قضى رئيس الجمهورية ليلة الاربعاء ٢٦ افريل ١٩١١
بدار السفارة العامة انتظم موكب فخامته صبيحة اليوم المذكور وتحرك
ركابه على الساعة السابعة قاصدا محطة السكة الحديد الجنوبية فمر
موكبه بين اسمطة الجيش الفرنسي-ساوي على نعمات تشيد المراسياز وثابت
ساحة السفارة واحياء الحارة الأوروبية خاصة بالخلايق واليهاتفين بالثناء
لفخامته واذاك اطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة من الحصون واقلاع اشعارا
بموادعة الحاضرة التونسية لفخامته وبينما كان البارود يتكلم استعرض جناب
الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال تحت انظار فخامته فرقة من العساكر
المسلمين المنخرطين في الجندية الفرنسية-ساوي جي بهم للمحطة بقصد ارسالهم
للاتحاق بالجيش الفرنسي-ساوي العامل بالديار المغربية فاستنشق فخامة
الرئيس بسالتهم واتنى عليهم وعلى قائد جيش الاحتلال بتونس





فخامة رئيس الجمهورية عند ركوبه القطار بالحاضرة

متوجها للجهات الغربية

ثم ركب جنبه رتلا مزركشا بابدع اسلوب وهو الرتل الذي كان في خدمة مسيولوبي عند زيارته للمملكة التونسية في ربيع عام ١٣٢٢ فتحرك الركب قاصدا مجاز الباب يحفه الاقبال والاكرام ولما مريلد طبرية اوقف سيرا واذاك خرج فخامة الرئيس من غرفته واشرف من برطال العربية على جموع الوافدين للسلام عليه من اعيان النزلاء والاهالي بجهة طبرية فتقدم حينئذ نحو مدرج العربية السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة واعرب لفخامته عن ولائه واحترامه ثم قدم لفخامته المرحوم الشيخ محمد المجابي القاضي الشرعي بطبرية وهو شيخ على جانب

من الوقار اطل على ما وراء التسعين فحيلا جناب الرئيس تحية طيبة ثم تلقى فخامته مراسم السلام والاحترام من المجلس البادي فاعيان النزلاء فبقية الطوائف واذن باستئناف السير فتحرك الرتل نحو بلد مجاز الباب



مدافن قدماء البرابرة بشواطئ من عمل الاحواز

وهذا البلد كان يسمى عند الرومان « منبريسة » فقضى نحبهم في جملة مدنهم التي عفت رسومها بعدهم الى ان جاء الاندلس في جباليتهم الاخيرة سنة ١٠١٧ على عهد عثمان داي فاحيوا كما احيوا واسسوا عدة مدن اخرى قال في كتاب المونس انهم بنوا اكثر من عشرين بلدا بشمال العمالة التونسية وذكر اغابها وانا انقلها عنه هنا لفائدة القاري وتمجيذا لذكر اهل

قنطرة مجاز الباب



تلك الجالية الذين ادخلوا جملة من العوائد الحسنة واسسوا عدة مدائن
واوجدوا نظاما مدنيا للعائلة في البلدان والجهات التي امتزجوا فيها بالعنصر
الاهلي التونسي اما المدن التي اسسوها بالعمالة فهي على ما ذكره المورخ
ابن ابي دينار في كتاب المونس المشار اليه

سليمان

بلي

نيانو

قربالية

تركي

الجديدة

زغوان

طبرية

قريش الواد

مجاز الباب

السلوقية

تستور

العالية

قلعة الاندلس



الجسر الروماني بقريش الواد
وباغلب جهات تلك المداين آثار رومانية لم تنزل قائمة الذات تدل
على ما كان لتلك الأرض من الرفعة والشان في فائت الأزمان
وكذلك يوجد بها أيضا آثار للبرابرة كمواجل توكابرة



هيكل عطارد بمين طنقة من عمل المجاز
وهو الهة التجارة والفصاحة والتلصص عند الوثنيين



مواجل البرابرة بتوكابر على مقربة من تستور

هذا وبعد ان تلقى فخامة الرئيس مراسم السلام والاحترام من اعيان
النزلاء ومن وفود الاهالي وكان في مقدمتهم عاملهم الامير الادي السيد محمد
الدويك ومشايخ الطرق والزوايا والعمد والاعيان انتظم بيباب المحطة
قطار مركب من نحو ثلاثين عربة سيارة في طليعتها السيارة الرئيسية وسار
الموكب على هذا النظام قاصدا تبرسق فمر بطريقه على بلد تستور ذات
الصومعة الاندلسية التي تحاكي شكل صومعة جامع اشبيلية على عهد
السلطة الاسلامية وهنالك التف حول ركابه جموع لا تحصى من الفرسان
والعربان وكانت بايديهم مباخر الطيب وطفقوا يلهجون بالدعاء لفخامته
ويخفقون اعلاما مثلثة كانوا قابضين عليها فوق صنيعهم لدى فخامته
موقع الاستحسان



سوسة جامع تسيور الشهيرة وهي من بناءات الاندلس

ولا يسم القاري إلا النظر بعين الاعتبار والاعجاب لهذه الصومعة التي بناها اخواننا الاندلس كما شيّدوا بغيرها من الجهات كثيرا من الصوامع والمساجد التي يذكر فيها اسم الله ومنها جامع بلد السلوقية الذي يرى القاري أيضا مثالا من صومعتها هنا



منظر من بلد السلوقية وصومعتها التي أحدثها الاندلس

في اوائل القرن الحادي عشر

هذا وبعد مبارحة تستور تقدم الموكب الرئيسي قاصدا تبرسق الواقعة بسفح جبل وهي من المدن الاثرية وكانت على عهد الروان طافحة بالعمران واسمها عندهم « تبرسكوم » فلما دخلها الموكب نزل فخامة الرئيس بدار المراقبة المدنية وبها تلقى مراسم السلام والاحترام من المعمرين

الفرنساويين ثم من العامل السيد مصطفى بن عصمان والمجلس الشرعي
واعيان وعمد العمل وتنازل لاشباع الحديث معهم مظهرا عنايته واهتمامه
بشئون ناحيتهم فاستطلع منهم اساليب حراثتهم في تلك الارض التي بطبيعتها
حجرية واستعلم عن درجة خصوبتها وعن حال الزرع والضرع بها الى غير
ذلك من الاستفادات الزراعية واتجربه الحديث معهم لسماع رغائبهم التي منها
طلب توسيع المجال لهم في الاراضي الخصيبة التي ضاق نطاقها لديهم
باقبال شركات الاستعمار على ناحيتهم وبعد انتهاء موكب القبول جلس
فخامة الرئيس للفقير مع وزرائه وحاشيته الدتاية

وبعد الزوال بساعة ونصف تحرك الموكب لزيارة اطلال
دقة الواقعة على بعد ستة اميال من تبرسق



جامع بلد تبرسق

وقرية دقة كانت في القديم مدينة رومانية متمصرة وبها الهياكل
العظيمة التي منها هيكل « المشتري » الذي اقامه الرومان حين
كانوا على الديانة الصائية اكراما للقيصرين مرقوس وفيروس في حدود
سنة ٤٥٦ قبل الهجرة فطاف فخامة الرئيس بصحبة مدير الانطكخانة خلال
تلك الاطلال وتامل منها بعين العبرة مستوقفا نظرا وفاتحا اذنه للافادات الضافية
التي كان المدير المذكور يلقيها بخصوص تلك الديار لانه كان اليها قبل الف
عام من هذا الزمان وكانت تقريراته بخصوص المسرح والكنيسة والضريح
التي هي اهم اطلال دقة محل اعجاب فخامة الرئيس وحزبه لان المسرح
كان يحتوي على خمسة وعشرين طبقة من الدرج لصعود المتفرجين
ويوجد فيه بالنفس على صفحات الحجر عبارة تدل على انه بني على نفقة
احد اهل الثروة من الفلاحين اكراما لآخوانه المزارعين لدرجة انه لدرجة
الشرف في نظام الدولة الرومانية اما الكنيسة فانها تشبه « الدار المربعة »
الرومانية الموجودة الى الآن بنية من اعمال فرنسا سوى ان هذا اصغر من
تلك واما الضريح فانه يبلغ لعلو شاهق ويقال ان بناءه متقدم على دولة الرومان
وبعد ان اجال فخامة الرئيس نظرا في بقية الاطلال وخصوصا حمامات
المياه المعدنية وهيكل الالهة السماوية واجل المدينة الرومانية بارح
فخامته دقة وركب سيارته وتبعه اهل دائرته وقصد الموكب مدينة الكاف
البعيدة من هنالك بنحو سبعين ميلا

والكاف مدينة قديمة وكانت تعرف على عهد الرومان باسم (سيكافاريا)
نسبة لكوكب الزهرة التي هي آلهة الجمال والخلاعة عند قدماء اليونان

وهي واقعة في سفح جبل على نسبة ميل ونصف فوق سطح الماء لاجل ذلك كانت لسبب ارتفاعها من اهم المعاقل الحربية

فلما وصل الموكب الرئيسي مدينة الكاف قيسل الغروب كان اهل البلدة باجمعهم في انتظار فخامة الرئيس وكانت معالم المدينة وانهاجها وبطاحها لابسة من الزينة ثوبا قشيا واقواس النصر متعالية برحابها وشوارعها غاصت بجموع المستقبليين الوافدين من قرب ومن بعد وكانت المزامير العربية تعزف والطبول تفرع بافراط حتى يخال السامع والناظر انه المنام لما حصل للكافيين من الفرح والهيام فر فخامة مسيو فليار وسط تلك الجموع والوفود الحشيدة ومن جملتهم وفود التلاميذ فحياهم فخامته وخاطبهم بقوله « تابروا ابناي على التعلم فان عيون فرنسا ناظرة اليكم وهي لا تنساكم » ثم سار وعلائم البشربادية على محيلا سيما عند مشاهدته لجملة من الاعراب كانت برائسهم موشحة بميدالية مراکش اشعارا بانهم كانوا قاتلوا في سبيل المدينة الفرنسية بالمغرب الاقصى ولما وصل ركابه دار المراقبة نزل بها واذن بانتظام موكب القبول

واذاك تقدم مسيورات المراقب المدني بالمكان وادى لفخامته عبارات التهنية والاحترام ثم تناول فخامته باقة من الزهور من يد اللطيفة ابنة المراقب المذكور ومثلها من يد الماجدة ابنة السيد المختار الجورني عامل تاجروين وكليهما في نحو السابعة من عمرها



الماجدة الاصيلة تاج البخت

ابنة السيد المخترار الجويني عامل تاجروين

وكانت هذه البنت الجوينية تحمل لبوسا بدوية فاخرة وعاليها من
الحلي والحلي قدر وفير فلما حبت فخامة الرئيس بلسان فرنساوي فصيح اعجب
بمنطقها وبزتها ولطفها ولم يتمالك عن حملها وتقبيلها

ثم تقدم نحو فخامته لاداء مراسم السلام والتهنئة المعرون فرنساويون
فموظفو الادارات فرنساوية فاهالي الكاف يتقدمهم عاملهم السيد احمد
السقاط محوطا بخلفاواته وباهل المجلس الشرعي والمشايع والعمد والاعيان
فالسيد المخترار الجويني عامل تاجروين يعضد خلفاواته وشيوخ وعمد
واعيان العمل

فبقية الطوائف على اختلاف الملل والنحل ومنهم ابناء الجالية الطليانية
وقد حياهم فخامة الرئيس تحية ودية صرح لهم اثناها بانسراحه لوفود

الاسطول الطلياني للسلام عليه بنزرت في هذه الساعة التي تحتفل فيها
الامة الطليانية بعاصمة رومة بتدكار مرور خمسين سنة على تأسيس الوحدة
الطليانية التي اختلطت دماء رجالها مع دماء ابناء فرنسا في وقعة « مجنته »
الشهيرة لتأييد مقصد واحد

ثم لما انتهى موكب القبول اشرف فخامة الرئيس من معارج الدار
على المساكر واستعرض كتيبتين من ادي « الجوايو » وقد اعجب ببسالتهم
وتسابقهم في مضمار الشجاعة ثم استعرض فخامته الخيالة المسلمين وعاد
لداخل المراقبة حيث استراح رده زمن ثم تاهب للمشاء مع الاعيان
الحاضرين

فاقام فخامته مادية فاخرة بدار المراقبة دعى اليها الوزراء وبعض
الذوات كما اقام ارباب الصحافة الباريسية مادية حافلة اكراما لجناب مسيو
بلان الكاتب العام ولجناب مسيو بيرال مدير التعليم الصناعي وكاتب السر
بالسفارة الفرنسية

وبعد ان تفصح اولئك الذوات بالمدينة وكانت آية في الزينة
والاسراج بمنائة مجلسها البلدي وعاملها النشيط وحضروا الالعاب النارية
والشماريخ توجهوا لمراقدهم ونهضوا بكرة الغداة متاهيين للرحيل





الجامع الاعظم بالكاف

فانتظم اذاك الركب الرئيسي وخرج فخامة مسيو فليار من دار المراقبة المدنية محفوفاً بوزرائه ورجال حاشيته وبعد ان تلقى مراسم الوداع والاحترام من المراقب المدني وعامل الكاف وبقية الاعيان امتطى سيارته السريعة وتبعه الجمع راكبين ثلاثين سيارة خفيفة وبارح الموكب الكاف ماراً بخنقة جبل الدير ومكتشفاً من علوشاهق على سهول السرس الخصيبة والبديمة المنظر ثم وقف موكبه لحظة عند وصوله لبلد نبر لمشاهدة الاشغال الجارية لنصب سكة حديدية منها الى ماطر القصد منها تسهيل نقل النتائج المعدنية من الجهات الغربية الى نغر بنزرت ومنها لفرنسا واروبا ثم استأنف فخامته السير وبعد قليل وصل لجندوبة وكانت ارضها كالزبرجد تبشر بصابة بعد العهد بمثلها فاحي مرأها في اذهان فخامته ورجاله تدكار خصوبة دخلة جندوبة في العصور الخالية حتى وقم التعبير عنها في كتب التاريخ بمطمور رومة ولما كانت الساعة العاشرة وصل الركب لمدينة سوق الاربعاء وهي من المدائن المحدثه بعد الحماية الفرنسية



منظر من بلد سوق الاربعاء

وكانت تلك البلاد مزدانة بالرايات واقواس النصر وعلايم السرور بادية
على وجه سكانها فدخلها فخامة الرئيس مارا بين اسمطة العسكر الخفيف من
الاي التريس الثالث وبين هتاف الوف العربان والبدو المتوافدين من اعمال
الرقبة وعين دراهم وجندوبة والشحية واو لادبوسالم وغيرها من الجهات الغربية



رسم اصلي من عربان دخلة جندوبة

واذاك تقدم الموكب ونزل الرئيس بمحطة السكة الحديد واذن بانتظام
موكب القبول ففتح فخاته المجلس بسماع النشيد الوطني الفرنسية تغنى
به بين يديه تلاميذ المدارس ثم تلقى مراسم السلام والاحترام من مراقب
سوق الاربعاء ومن ليف المعمرين والمتوظفين الفرنسيين ثم من السيد
حسونه الزواري عامل جندوبة والسيد الصادق بن خليفه عامل الشبيحة



ضريح روماني بعمل الشبيحة

والسيد احمد الاخولا عامل الرقة والسيد حميدة الحبيب عامل عين دراهم
يمضدhem خلفواتهم ومشايخ وعمد المدائن والقرى والنجوع بالاعمال المذكورة
فأثنى فخامة الرئيس على الجميع واستحسن بزتهم العريية ونظر بوجه خاص
لجمع من اهالي جبل خمير جاءوا مع عاملهم للاعراب لفخامته عن طاعتهم
وجنوحهم للهدو والراحة وتمتعهم بالعدل والامان في ظل الحماية الفرنسية
بعد ان كانوا قبل قد اخذوا حظا في القنك والنهب بين الناس اتساء وقايح
الاحتلال لانهم كانوا يمتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح



شجرة الفرنان

التي كان عربان خمير يقدمون اليها النذور وقد احترقت عام ١٣٢٥

ثم ان فخامة الرئيس احسن بالميدالية العسكرية لنفرين من جيش
الجنדרمة وتسلم عددا باقات من الزهور من يد تلميذات مسلمات وفرنساويات
وخرج من محطة السكة قاصدا حضور مائدة انيقة اقيمت هنالك تحت
خيام مزركش على نفقة شركة بون قائلة فجلس فخامته وجلس حوله
الوزراء والوزير المقيم والكاتب العام وبقية الدوات وكان مجلس الطعام
موسوما بالالطف والظرف وعلايم الفرع والنشاط تتلأعلى جبين الحاضرين
وفي ختام الفطور نهض جناب مسيو الابنيت الوزير المقيم العام والقى خطابا
عظيما هذا نصه



موصكب الخطب بسوق الاربعاء

ياسيدي رئيس الجمهورية

المامل من المسيو تريلات الذي هو من اكرم اهل القرا والذي قام
مع من شاركه في ذلك من ماونيه بالعجب العجاب مدة اسابيع عديدة
في تهيأ قبولكم بما يليق ان يتفضل بالتنازل لي عن مهمة الخطاب لعرض
على فغامتكم مراسم الوداع بالنيابة عن العمالة التونسية في هذا الحين الذي

وصلتم فيه لنهاية هذا الرحلة التي ستبقى خالدة بتواريخها ولا ينسى لها
 بعد ذكر لان زيارتكم لم تغفل اي ناحية من النواحي
 هذا وقد امكنكم ان تشاهدوا مقدار ما حصل عليه هذا القطر بسرعة
 من استكمال عدته تحت نظر وصيته فرانسا : فهذه طرقاته وهذه سككه
 الحديدية قد استحقت من طرفكم الثناء الذي سفتخر به كما سفتخر به
 ادارة الاشغال العمومية - ومعلوم ان هذه الادارة هي التي تولت هندسة
 مجموع خطوطنا الحديدية ولا زالت وفقا لمرغوب المعمرين الفرنسيين
 متواصلة السمي في انجازها اكثر فاكثر ولا شك ان فخامتكم قد حكمت
 عند فتحها للخط المنسوب بين سوسة وصفاقس بحسن اتقان خدمة
 ذلك الخط

اما السكك الحديدية الشمالية المعدة لتزويد تفر بنزرت فقد لاقت
 عثرات طبيعية كانت مجهولة في البدء : فصحة المهندسين والنظار الواقفين
 على الاشغال لم تكن باقل اصابة من صحة ملتزمي الاعمال والفعلة بحيث
 انهم لم يتغلبوا على تلك المصاعب إلا باستعمال الاولين منهم لمهارة صناعية
 عالية وايضا لمثابرة ونجدة اخذ الجميع منها نصيبه وليس هنالك شئ
 ينسبهم عبء تلك المامورية اجل من حسن الالتفات الذي قابلتم به صنيعهم
 فلتسمح لي حينئذ فخامتكم بتقديم شعائر شكرهم المزوج
 بشكران الملكة التونسية قاطبة

وان فخامتكم التي لم تفكر لحظة في سبيل الاشفاق على قواكم البدنية
 لم يخطر لها ان تمحو اي حركة متعبة من فصول برنامج الرحلة الذي
 عرض على انتظاركم وما ذلك إلا رغبة منكم في المعاينة والوقوف بداتكم

على كل شئ مع ان الخطاب التي سمعتموها كانت تكرارا محضا - وهذا
 برهن لكم على وجود احساسات هنا عامة لدى جميع الطبقات وهي
 احساسات مشتركة عند الجميع مسماها الاخلاص لفرنسا والاحترام العميق
 مع الاعزاز نحو ذاتكم وقد نال كل اخطه من خطاباتكم حيث اطنبتم
 القول اينما حلتم بفصاحتكم النضاجة المعبودة ولطفكم الجامع بين الابداع
 والبساطة ذلك اللطف الذي سحريته كل من اقترب منكم لا بطريقة
 التمييز لان فخامتكم تنازل ايضا لسماع صوت الضمضاء بل بداعية الفرح
 والتسابق لتلقي ما يفولا به جنابكم من الكلام

واذا بقي في فتح العمالة التونسية للنفوذ الفرنسي نقص يحتاج الى اتمام
 فان الفضل في انجازها يكون عائدا لاياديكم البيضاء

واني ارى نفسي بصدد محاولة شئ مفروغ منه حيث وقفت موقف الترجمة
 عن احساسات الشعب الذي ما افكك متسابقا منذ عشرة ايام للمثول امام
 ركايبكم لان كاس فؤادنا قد طفحت بما انا عاجز عن وصفه كما يستحق

هذا واني بمحضر نواب المعمرين الفرنسيين من اهل الفلاحة
 والتجارة وبمحضر اهالي مراقبة سوق الاربعاء وبمحضر الطفاء رجال
 الصحافة الذين لهم يدركهم عياء والوزراء الذين تنمو اجورنا بسرورهم
 اشرب مع كامل المراعاة المتصلة بجوارحنا على سلامة فخامة رئيس الجمهورية
 وعند انتهاء هذا الخطاب الذي تلقاه الحاضرون به ظاهرا الاستحسان
 والتصفيق الطويل قام فخامة الرئيس وارتجل خطبا بديعا اذلا بصوت
 جهوري وبحماسة وقد نقله الصحافيون بطريقة الاختزال في الكتابة
 وكان سماع الحاضرين اليه وهم وقوف على القدم ونمسه بمبارته

أيها السادة

ان العبارات التي سمعتموها تزيد في الاسف الذي حصل لي لاقترب
ساعاتكم فمفارقتم لكن مرادي ان اقول كلمة اخيرة بالعمالة التونسية قبل
افتراقنا من هذه الرحلة - ذلك اني جئت للعمالة لتبليغها سلام الاخوة من
فرنسا وكذلك سابغ عنها سلام الاخوة لفرنسا

وان ما شهدته وسمعته لم يغير شيئا من الاحساس الذي هو بخلدي نحوكم
من قبل فالاشغال العجيبة التي تم انجازها بهذه الارض تشهد بان مهندسينا
والشركات الحديدية هم الذين مهدوا حقا مشروع المدينة لذلك اشكر
كل الذين شاركوا اي مشاركة كانت في ذلك المشروع ومددوا بالمساعدة
التي من الواجب ان لا تنسى ونعني بهم مدير الاشغال العامة ومهندسيه
والواقفين على الاعمال والمستخدمين والعملة

وبازاء الطرقات الحديدية والاشغال العمومية التي ساعدت على الرفاهية
وتنمية الثروة العامة يوجد ذلك الامر الذي ينقاد قلبي طبعنا نحو جهته ألا
وهو المدارس المفتحة الابواب في وجوه الاطفال الفرنسيين والتونسيين
الذين لا ارى فرقا بينهم لانني لا اطلب الا شيئا واحدا من التونسيين وهو
تعلم اللغة الفرنسية التي هي بكل المعاني لغة العالم المتمدن والذي يظهر
يا جناب المقيم العام ان من الواجب صرف عنايتكم الحثيثة نحو هذا
المقصد اذ قد اصبحنا بفضل ادارة الحماية ليس في مقام الاعادي بل
كاحباب يبسط الينا كل الناس ايديهم لنصافحها

ويقول بعضهم اني ودع وانني اسط يدي بسهولة للمصافحة نعم اتهم قالوا
حقا ولكن لا اسطها الا للذين يعماون لعظمة الوطن - اما الايدي الكثيرة
التي صافحتها هنا فلكوني احسست منها انعطافا مثل الذي احسته مني
ومعلوم ان ضمائرنا لا يوجد وراها مقاصد خفية ولا تحر كنا غاية
الفتح اذ لا نرى الا مقصدا واحدا الا وهو فتح القلوب - على انه توجد بين
فرنس وروس مشاركة في عوطف شريفة واخرى في الوطنية ولدنيا راموز
من ذلك حيث شاهدنا البارحة بفضل قائد جيش الاحتلال استعراض ابناء
القطر التونسي المتوجهين للمغرب الأقصى بقصد اعانة اخوانهم في السلاح
واعلاء مقام العلم الفرنسي ان اقتضى الحال - ولي العلم بان كثيرين
يتجمعون لذلك السفر اعني العساكر الذين بقوا لانه لا يوجد مكان للكل
ثم قال فخامة الرئيس ان رحلته هذه لا ينساها وشكر اعضاء الصحافة
الفرنساوية والتونسية عن كدهم الذي لم يتطرقه الفشل وسرح لهم باعتماد
على حكمتهم وانصافهم لانه لا نارة الراي العام كما شكر الميسومرسيل تريبات
رئيس مجلس ادارة بون فالمة عن براعته الغريبة في ادارة الشئون المنوطة بمهده
اثناء هذا الرحلة التي ابرز نظامها وتم نجاحها على غاية ما يرام
ثم ختم خطابه قائلا - قد قضينا رحلة عظيمة وجيلة والسادة الوزراء
الذين رافقوني وشاركوني في ابتهاجي يشهدون بي بذلك وانجزنا عملا
للسياسة العمومية بين الدول وجولنا الفكر الفرنسي باصقاعكم التي اشربت
حب العدل والحمية الوطنية المثيرة ونباح هذا القطر معتقدين انه توجد
الافرنسا واحدة وعند شربنا على مجدها وعظمتها نشرب في آن واحد على
مستقبل وسعادة المملكة التونسية

فلما انتهى الرئيس من خطابه قامت ضجة هتاف وتصفيق بلغت عنان السماء
ورطب الحاضرون السنتهم بالدعاء لفخامته وللجمهورية ثم انتهى الموكب
واذن مسيو فليار بالرحيل واذاك بارح فخامته باد سوق الاربعاء



جامع سوق الاربعاء الذي احدث سنة ١٩٠٩

وقبل ان نختم الكلام على حديث الرحلة الرئيسية بسوق الاربعاء قاعدة
عمل جندوبة ينبغي ان اشير لماضى هذا الجهة وما كانت عليه من
السعادة والعمران على عهد الدولة الرومانية ويكفى في ذلك ان ننقل هنا
للقاري راموزا من مدينة تلك البلاد الناطقة ارضها حتى اليوم بانثار حضرية
ومجد لم يمحه كره الدهور وتماقب السنين والشهور



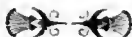
مساكن اهل الكهوف في القديم
بجبة ربيعة المعروفة عند علماء الآثار باسم بولاريجا

كذلك يرى القاري تلو هذا من مناظر التمدن الروماني ومن ثروة المقاطع المعدنية والمرمية ومن الغيب الملتفة ما يدل على اهمية مناخ تلك الجهات التي اصبحت اليوم مقصدا للسواحين ومصيفا للاروباويين ناهيك ان الدولة التونسية اقامت بمزرعة السردوك على مقربة من عين دراهم خانا كبيرا لمن يرغب من مستخدميها ومتوظفيها تبديل الهواء عوض السفر لفرنسا



بلد عین دراهم

وهذا جبل شتمون عمل الرقبة وهو حجة ناطقة بشروة مقاطع
 الممرية التي زينت الواحها بيوت الاغنياء والكبراء سواء ذلك بتونس وباروبا
 وكل من نظر لأنواع رخامه من اللون القرمزي والبنفسجي والاحمر الناصع
 والاصفر الفاقع والاخضر والابيض والازرق الأواء عجب بجمال ذلك المرمر
 النادر الوجود





مقطع الرمر بشتو

هذا ولما بارح صاحب الفخامة مسيو فليار بلد سوق الاربعاء ركب
 رتله الرئيسي وسار على طريق السكة الحديد قاصدا واد باجة ويعرف اليوم
 باسم قنطرة « طراجان » نسبة لانراطور ورواني كان من الرجال المصلحين
 على راس المائة الثانية للميلاد





منظر مدينة باجة

وباجة كانت تسمى على عهد الرومان « فاسكا » وكانت على عهدهم
بلاد زرع وضرع كما هو شأنها ايضا في دولة الاسلام ناهيك انها تسمى في
المعجمات الجغرافية العربية باسم « باجة القمح » قال ياقوت « سميت بذلك
لكثرة حنطتها » وامتنع اهلها في اواسط المائة الرابعة في ايام مغلد بن
يزيد بالقتل والسبي والحريق قال الراجز في ذلك

وبمدها باجة ايضا افسدا واهلها اجلى ومنها شردا
وهدم الاسوار والمعمورا والدور قد فتش والقصورا

وباجة ابنتت غير واحد من العلماء الفحول منهم الشيخ صالح المفرائي
ذكره العبدري في رحلته واثنى عليه ولا زال له عقب بها ليومنا هذا
فلما وصل رئيس الجمهورية لمحطة واد باجة كان في استقباله مسيو
كلييار المراقب المدني والمتوظفون ولفيف الممرين والمجلس البلدي واعيان
اهالي العمل يتقدمهم عاملهم السيد محمد الصالح البكوش فالسيد عثمان
ابن عبد الرحمن العضو النائب عن مدينة باجة بالمجلس الشوري فالخلفاوات
والشايع والعمد بقبية اصحاب الحشيات والمظاهر الرسمية واذاك دخل فخامة
الرئيس قاعة الاستقبال وانتظم الموكب لقبول مراسم التهنئة والاحترام فافتح
المراقب المذكور تلك المراسم بادا سلامه واحترامه لجناب الرئيس وتشرف
بمدا بادا نظير تلك المراسم بقبية الذوات الحاضرين ولما آلت نوبة الكلام
للسيد عثمان بن عبد الرحمن العضو بمجلس الشوري التقى على الاسماع
الرئيسية اياتا جاء فيها قوله

لنا ثلث قرن في السعادة والهنا ومنكم هذا العزيزي ويكمل
نبتنا سلاح الاولين لعلنا بدولتكم هي السلاح الموفل
واهديت تدكارا لكم بندقيتي وسيفا على اليمن المويدي يقبل

ثم قدم لفخامته هذا السلاح الذي اشار اليه في الايات المذكورة
معرفة اياه انه سلاح الرباء والاجداد وان الاهالي اصبحوا في غنى عنه بفضل
العدل والامان الذي مد عليهم رواقه في ظل الحماية الفرنسية فاختد منه
فخامة الرئيس تلك الهدية واجابه بشهادة قائلا

« بقي هذا الاسلحة باغمادها كما فعلنا منذ ثلاثين سنة ونستمد
مع ذلك لحفظ الراحة اما في زماننا هذا فسلح الانسان ذكاه وعلمه »
ثم ان فخامة الرئيس استحضر السيد محمد الصالح البكوش واتى عليه
ومجد ذكرا وقلدا يبداه وسام الشرف الفرنسية وهنالا به تهنة فائقة بين
تصفيق المستحسن من كافة المعمرين والاهالي الحاضرين





السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

وبعد ان جامل فخامته اعيان الذوات تحادث مع مسيو فوردير العضو
بمجلس الشوري ورئيس الجمعية الاستعمارية بباجة وافاض معه القول
في الشئون الزراعية وتربية البقر ثم وعدا بانه سيرسل له باسم الجمعية
المذكورة على وجه التنشيط راسين من البقر الضخام المشهورة ببلاد «الجيرس»
من اعمال فرنسا لتسهيل جنسها بالعمالة التونسية فشكر مسيو فوردير هذا
العناية العالية الدالة على مزيد اعتناء فخامته بشئون الزراعة التونسية
وانجز فخامة الرئيس وعدا اذ وجه له في شهر فراير سنة ١٩١٢ فحلا
من الثيران وعجلة فاخرة من الجنس المذكور اعلا

ثم ان جناب الرئيس مر بصف البنات من تلميذات المدرسة الاسلامية
وقصد العربية فصدقن وراى بالولوة الكثيرة ورشما ارتقى رتله توادع مع
الحاضرين واذن بالسفر فتحرك القطار قاصدا ترسخانة سيدي عبد الله
ببحيرة بنزرت

واذاك كان في انتظاره برصيف الترسخانة اهل العمل والعقد والمجلس
البلدي بمدينة فريفل فتقدم ككاهية هذا المجلس والقى على مسامع
فخامته الخطاب الاتي نصه

ياسيدي رئيس الجمهورية

اقدم لكم التحية والاحترام بلسان المجلس البلدي والمدينة واعرب
لفخامتكم مع ذلك عن شعائر تعلقنا السدي لا ينفصم حبله نحو فرنسا
الجمهورية

انكم قد لقيتم اثناء هذا السفر الطويل المتعب ترحابا شائقا ومتكررا
من اجناس سكان الايالة على اختلافهم إلا انه لم يحصل ببلد مثل ما حصل
ببلدنا من الشعور بالنخوة الوطنية والفرح والتشرف بزيارة نائب فرنسا
الموقر وذلك لان بلدنا كاد ان يكون فرنساويا بحثا فقد نشا وتكون بارض
لم يكن بها شيء فكانت قد شيدته يد ساحرة

ان هذا البلد احدث منذ عشرة سنين لخاصة خدمة الترسخانة وهو اليوم
ياوي طائفة من النوبة والعمامة وحسن مستقبله مقيد بحسن حظ بحريتنا
الوطنية

وحيث كدنا ولدنا وكذا نشانا كذلك كدنا نطمح لزيارتكم وكذلك
صرنا سعداء الحظ بتمكننا من رد السلام عليكم اعني على وطننا الجميل نفسه

وعند ركوبكم البحر في هذه الساعة للاتحاق بالارض التي هي
مسقط راس جميعنا حيث ستبغون لمسامع اخواننا بام الوطن تحيتنا ودرغائبنا
نستمح منكم يا فخامة الرئيس مع الدعاء لكم بسفر ميمون وسعيد ان
نصعد مرة زائدة بالديار التونسية قائلين « لتمش فرنسا ولتمش الجمهورية
وليمش فليار !

وقد اجابه فخامة الرئيس بهذه العبارات

اني لم اتف هنا في اليوم الآخر حيث كنت اعلم اني راجع ولكن
مما لا ريب فيه عندكم اني لا امرينكم من دون ان احبكم واصافحكم
وحيث اعرفكم فرفساويين عريقين وجمهوريين مخلصين فكيف لا اجد
من نفسي انبساطا عظيما للمحادثة معكم بعض دقائق

هذا واني لاعلم كما بدأ غيري بفرنسا معرفته قيمة المشروع البهيج
الذي وقع القيام به هنا وشاركتكم في اتجازا باخلاص وكيف لا تكونون
فرنساويين وجمهوريين وانتم سكان بلد منسوب لغيري

انكم طليعة المدينة في هذا القطر الانيس الذي كنت اتجول به
واني ابارحكم ومعني ذكر لا يمحي من جميع ما شاهدته واني لا اقول
لكم « في الوديعة » بل اقول لكم « الى عودة الملاقاة ان شاء الله »
واصافحكم كلكم مصافحة الوداد

وفلا فانه شوهده وشعران المصافحات عندئذ من مسيو فليار لاعضاء
المجلس البلدي كانت ودادية قليلة

وفي تلك الاثناء حضرت ثلاث بنات لابسات ثيابا بيضا ومنتنقات
باوشحة مثلثة الالوان وبايديهن ثلاث باقات من الزهر دفعنها لفخامة

الرئيس وهن الإبركار بنات لرنيو ورنديو واذاك نطقت كبيرتهن البكر
جرمان لرنيو بالخطاب اللطيف الاتي
يا سيدي الرئيس

حيث انا نحب الزهور وكنا ظريفات تقدم لكم من صميم الفؤاد هاته
الباقية اللطيفة مع ابتسامات نفورنا لانكم على وشك الارتحال فعاها
تكون تدكارا لطيفا من بلدنا الواقع تحت هذه القبة الزرقاء الصاحبة
التي ترى شمسها في عيوننا النجل والمرجوان تقولوا لآخواتنا اللطيفات
بفرنسا اتنا نحبهن ونتذكرهن وان تبلغوهن من طرفنا قبلار وحية لاننا
نحن ايضا فرنساويات ونحب وطننا وجمهوريتنا

يا سيدي الرئيس تصاحبكم السلامة ولتعش فرنسا وليعش فليارا!
هذا وكان في زمرة المشيعين برصيف المرسى رفيع الشان البرنس
سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية وبصحبه الفاريق فلنسي



المرفع شانه سيدي المنصف باي

فلما التقى مقام الرئيس العظيم والبرنس الكريم تصافحا مصافحة الكرام وقال سموه لفخامته (ان الحضرة العلية كلفته بالمجيء نيابة عنها لاهداء سلامها العالي لجناب رئيس الجمهورية قبل سفره وسؤال فخامته هل رجع مسرورا من رحلته) واجابه فخامة الرئيس عن هذا الاحاسات الشريفة قائلا (انه لمسرور جدا من رحلته كلها وانه يرغب من سموه ان ينهي للحضرة العلية شكراته الفاتحة عن العناية التي اظهرها كافة المامورين الاهلين بجنابه)

ثم سلم فخامة مسيو فليار للبرنس سيدي المنصف باي وسام الكمندور الاعلى من نيشان الزراعة برسم الحضرة الملكية والصنف الثاني من الوسام الموما اليه بعنوان البرنس نفسه فشكر سمو البرنس فخامة الرئيس عن هذا العواطف السامية وتقدم مع فخامته والوزراء وبقية الذوات لرصيف البحر واذاك ادت العساكر السلام وتصافح فخامته مع سيدي المنصف باي والجنرال يستور وجناب الوزير مسيوروا وجناب مسيو بلان وبقية الذوات وامتطى مع جناب الوزير المقيم متن الطراداة المسماة (المجتاز) فتحركت بفخامته نحو الدارعة الرئيسية (الحق) وهناك توادع فخامته والوزراء مع المقيم العام ورفع العلم الرئيسي فوق اعالي المدرعة واقلع الاسطول عند الغروب بفخامته ووزرائه وحاشيته من ميلا بنزرت على طنين المدافع من كافة القلاع والشكنات البرية فسار به مع اليمن والسلامة الى ان عاد بفخامته لثغر طولون العربي الذي ركب منه فخامته قبل عشرة ايام بقصد القدوم لتونس

﴿ الخاتمة ﴾

الفصل الاول

في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا والمملكة التونسية
يظهر من عبارة التواريخ ان مبادي العلايق بين تونس واروبا كانت
على عهد الحروب الصليبية اي بعد انتصار السلطان صلاح الدين
الايوبي ورجوع النصارى من البلاد السورية يدلك عليه وجود الفاظ
كثيرة قديمة جدا في الاصطلاح التونسي كقولهم « هذا رجل يتكلم
ويلبس بالسوري » كناية على انه يحسن الالسنه واللبسه الفرنجية وما
ذلك إلا لظنا منهم في البدء ان الشئ السوري هو الفرنجي بعينه ويا بعد
ما بين المشرق والمغرب وانما انجز لهم هذا الوهم من طريق اهل اروبا
الذين وفدوا على افريقيا بعد اقامتهم اجبالا متعاقبة بالديار الشامية
فانت ترى ان اختلاط البلاد التونسية باروبا يرتقي في سلم القرون
الخالية الى اواسط المائة السابعة للهجرة وهو العصر الذي كانت فيه اذاك
سوق العلم بهذه الديار نافقة وبحور فنونها بالتاليف التونسية طافحة دافقة
قال في كتاب المسامرات الادارية الذي انزه رؤساء دولة الحماية باذن
العلامة الخطيب المصنع مسيو ملي الوزير المقيم السابق
« ان موقع الولاية التونسية بحوض البحر المتوسط من احسن المواقع
الجغرافية ووجودها باقصى شمال افريقيا جعلها مع عمالة الجزائر متاخمة

للقسم الغربي من حوض البحر المذكور الذي تحيط به اراضي اروبواوية
يعني اسبانيا وفرنسا وايطاليا - على ان سكان القطر التونسي اهالي المدن
واهالي قرى السواحل كانت لهم في كل العصور علاقة متبعة بالاروبواويين
ومن دون احتياج للنظر في صحيفة الازمان السالفة اي في عهد ازهر
عصورها الماضية فان تونس الاسلامية انما امتزجت ضمن المحفل
الاروبواوي الغربي بعلايق تجارية وسياسية لذلك كانت هي ملتقى
العلماء في كل حين وآت فالقروان والمهدية وتونس كانت مراكز راقية
للاداب العالية نعم ان صبح هذه المدائن العلمية اظلمت غيوم الفتن في
القرون الاخيرة إلا انه بقي على كل حال للتونسين ذوق عميق وحب
في العام وثيق ولنا ان نرى في عصر الحماية الفرنسية نوع حركة
ونهضة سيبقى اثرها خالدا بتاريخ هذه امة الراقية »

ولقد قال صاحب هذه العبارات حقاً لان ارتقاء الافكار الاسلامية
في تلك العصور كان بالغاً حدها يدل ذلك عليه مسألة اختلاف المذاهب
بهذه الديار عند ظهور دولة الشيعة اي الدولة العبيدية اذ كمل بظهورها
اجتماع اشهر المذاهب الاسلامية الاعتقادية بهذه البلاد حيث جمعت اهل
السنة بقسميهم « السلفية » الذين كانت عقيدتهم كمقيدة اهل السلف
مبنية على ظواهر القرآن والسنة و « المنكلمين » الذين كانت عقيدتهم
موسسة على الفوص في حقايق معاني الكتاب والاحاديث النبوية وجمعت
« الشيعة » اي انصار سيدنا علي بن ابي طالب بقسميهم الاصليين قسم

« المتغالين » في الانتصار لمذهبهم المبني على ظواهر ضعيفة وقسم « المتفلسفين » وهو منشأ طائفة الصوفية في تلك العصور ومذهب « الخوارج » المبني على ابطال الحكومة في الاسلام وعلى التغالي في التحاشي من مخالفة اوامره وعلى تكفير من حاد عن عقيدتهم واستحلال دمه وماله الذين يجوز ان تنعمهم بانهم باء طائفة الفوضيين المعروفة في هذه العصور

تلك الحالة الراقية التي كانت عليها المملكة التونسية في القرون الوسطى وما قبلها وهي حالة اعقبها الفشل والضعف لسوء الحظ في الثلاثة القرون الاخيرة حتى آل امرها للانحطاط الدفعي وسقوطها في حجر فرنسا التي مدت لها يد المساعدة حتى اصبحت تونس متعلقة بها تعلق البنت البارة بامها الحنية

ولم يكن استقرار فرنسا بتونس بالسهل عليها لانها كانت تمنعها ذلك دول اوروبا اعني الدول التي اصبحت فيما بعد بفضل سداد التدبير الفرنسي احياء لفرنسا وليكن القاري على بينة من ذلك تنقل له ملخص مقالة سياسية نشرتها في هذا الموضوع جريدة الطان المعبرة - وهي اسان حال السياسة الخارجية لدولة الجمهورية - اثر اختتام زيارة مسيو فليار لتونس

قال - لابد لمن له المام بالتاريخ ان يستغرب كون الميلاء التونسية اصبحت اليوم مسرحا لهذه المظاهرات الودية وذلك ان بريطانيا العظمى وايطاليا كانتا على التناوب اشد الدول معا كسمة لمشروع فرنسا بالمملكة اولائم

اكثرهن مجاداة فيه . فلا شئ اعظم قيمة اليوم للفرنسيين من ان يروا
 تينك الدولتين مشاركتين لهم بحسن طوية في الابتهاج بانجاز مشروعاتهم
 ثم من يوم استيلاء فرنسا على القطر الجزائري اضطرت الحكومة
 الفرنسية للاهتمام بمراقبة الحوادث الواقعة بتونس وقد اعرب جول فري
 عن حقيقة لا تقبل النزاع اذ قال يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ بمجلس نواب الامة
 « ان المسألة التونسية لا تقل قدما عن المسألة الجزائرية بل انهما
 متعاصرتان ولا يمكن ان يخطر على بال فرنسوي مخلص لبلاد ترك
 اكتساب وطن هو مفتاح دارنا باتم معنى الكلمة لغير دولة ضعيفة اوجيية
 او راضخة لسلطتنا »

فجول فري لما نطق بهذه العبارات ذكر بتدقيق قضية مقررة منذ
 زمن طويل وذلك ان الاميرال الفرنسي هوكون كان منع في سنة ١٨٣٥
 الاسطول العثماني من انزال جيش الاحتلال تونس وفي سنة ١٨٤٥ رفض
 الباي بايعاز من القنصل الفرنسي الولاية التي كان يروم الباب العالي الزامه
 بقبولها ثم في سنة ١٨٥٤ تعرض الميومتوي سفير فرنسا بالاستانة لتدخل
 الاتراك وفي سنة ١٨٦٤ رامت الحكومة العثمانية ان تتدخل من جديد
 ولكنها لاقت من حكومة باريس مثل المارضة الاولى بحيث ان جميع
 الحوادث التي حدثت في ذلك الوقت اثبتت صحة الملاحظة التي كان
 ابداءها القنصل الفرنسي بتونس يوم ٢٨ ديسمبر ١٨٧١ حيث قال :

« لست اعتقد بان يمكن اجتناب احتلال المملكة التونسية في المستقبل »

ومن المعلوم ان مسألة الاحتلال كانت عرضت لأول مرة في محادثة سياسية دارت بمؤتمر برلين وبيانه ان اللورد ساليزبوري سال في ٧ جويليه سنة ١٨٧٨ سفيرنا الميسو وادينطون عن الشروط التي تشرطها فرنسا للموافقة على الاتفاق الانكليزي التركي المتعلق بقبرص ولكن حيث ان السفير الفرنسي الموما اليه لم يجبه بجواب قطعي فان اللورد ساليزبوري هو الذي قال له من تلقاء نفسه : « اعملوا بالملكة التونسية ما تريدون . » فاستغرب الميسو وادينطون هذا الكلام اولاً ولكنه لما عاد الى باريس قال لبعض خواصه : « اننى اتيت بالملكة التونسية هنا » ووضع يده على جيبه .

ولقد كان الميسو وادينطون على الصواب غير ان الامور جرت باقل سرعة مما كان ينتظر وذلك ان اللورد ساليزبوري اظهر الاحتراز في المسألة منذ ٧ اوت ١٨٧٨ حيث كتب للورد ليونس ما معناه :

انه يوجد بون عظيم بين الموافقة على امر وقع ونزل والتسليم للضرورة الناشئة عن الظروف السياسية فليس في امكان اسكلترا ان تتجاوز هذا الحد ومن جهة اخرى فان الحادث الذي يشيرون اليه لم يزل بلا شك بعيداً جداً .

وفي الوقت نفسه كذب السير لازار بالاستانة ما كان شاع بان بريطانيا العظمى اباحت احتلال المملكة التونسية

ثم لما كانت فرنسا يوم ٢٦ افريل ١٨٨١ عازمة على العمل فان وزارة صان جامس (الوزارة الانكليزية) عزمت على ايقافها ولكنها لم تخف

ايضا اغتياضها من ذلك وبهذه المناسبة بلغ اللورد ساليزبوري الباب العالي ما معناه :

« انني آسف كثيرا لكون فرنسا رات من واجبه ان تثير مسألة شرقية شديدة لفائدتها الشخصية » ومع ذلك فقد اقترح كبير وزراء انكلترا على فرنسا بنوع استياء في الحقيقة ان يتوسط بينها وبين الحكومة العثمانية في المسألة التونسية . ثم لما وقع امضاء معاهدة باردو بعد بضعة اسابيع قال اللورد غرانفيل للمسيو شالميل لاسكور :

« من اخفاء الحقيقة ان اترككم تعتقدون بان عمل فرنسا في المملكة التونسية احدث تاثيرا حسنا بانكلترا وقد كنا نتنظر وقوع عمليات عسكرية ولكنكم اتيتمونا بمعاهدة حماية حقيقة . »

ومن جهة اخرى فان اللورد ليونس اعتنى تسليم لائحة الى وزير خارجيتنا المسيو برتيلمي صانت هيلير احتج فيها سافعا عن فكرة جعل بنزرت قلعة حربية وبالجماة فان استياء بريطانيا العظمى في المسألة التونسية كان جليا بقدر الامكان

١٠ ايطاليا فان حنقها كان اشد وذلك انها ما كادت ان تتحقق حصول وحدتها حتى صارت تعلم بنشر سلطتها على البحر المتوسط حسبما كان يعدها بذلك ادباؤها وفي هذا المقام قال متريني في سنة ١٨٣٨ ان افريقيا الشمالية راجعة الى ايطاليا وفي سنة ١٨٦٦ كتب ييزمارك لمتريني نفسه بانها لا يمكن فرنسا وايطاليا ان تشتركا في البحر المتوسط لفائدتهما المشتركة وان ذلك البحر ارث تستحيل قسمته بين اقرباء . ثم ان مملكة

البحر المتوسط ملك من املاك ايطاليا بلا نزاع فان لهذا الدولة من السواحل فيه ضعفي ما لفرنسا . فمن الواجب اذن ان تكون مملكة البحر المتوسط موضوع اهتمام ايطاليا على الدوام والاستمرار والغاية التي يسعى لها وزراؤها والمقصود الاصلي لوزارة فيرينسة (ايطاليا) . وبالجملة فان المؤلف الطلياني فيروزو كان يطلب في كتابه الذي سماه « ابل بريماتو ايطاليانو » مصر وطرابلس الغرب والمملكة التونسية والقطر الجزائري بصفة مستعمرات طبيعية لايطاليا فهل يمكن المرء والحالة هذه ان يستغرب هذا الامر وهو حدوث استياء شديد بايطاليا من العمل الذي قامت به فرنسا في سنة ١٨٨١ وقد التى ذلك الاستياء بعد بضعة اشهر بايطاليا في حجر المحالة الثلاثية بحماسة عدوانية اشتد بسببها الخطر الذي كانت تتوقعه فرنسا من تلك المحالفة

فاذا امكن اليوم اعادة ذكرى تلك المقاومة بدون خطر وفي يوم عيد وسرور فما ذاك إلا لكون الحالة باروبا تغيرت كثيرا ولكون فرنسا وايطاليا وانكلترا رات ان لكل واحدة منهما مكانا راجيا في البحر المتوسط وان بريطانيا العظمى اولاهم ايطاليا اعترفتا بمركز فرنسا بتونس . ثم ان رئيس الجمهورية لما ذكر الارقام التي تدل على ترقى المملكة التونسية لم يتكبد غناء عظيما في اثبات هذا الامر وهو ان مساعينا خدمت الايالة التونسية واروبا معا ولقد مضت ثلاثون سنة على امضاء معاهدة باردو وبعد هذه المعاهدة باقل من عشرين سنة تمت المصالحة بين فرنسا وانكلترا وايطاليا اه
فهذا النبذة التاريخية التي قراها المطالع تداه على كنه سياسة فرنسا

بتونس من حيث العلائق الخارجية واما من حيث سياسة الحماية اعني السياسة الداخلية التي نسمع بها ونراها فعنوانها الخطاب السفيري الذي وقع به تنصيب سمو الحضرة العلية على اريكتة اسلافها الكرمين والجواب عنه بلسانها الشريف وهما خطابان يبرهnan عن شدة الوثوق واستحكام روابط الالفّة وعلائق الوديس . الامة الحامية والامة المحمية وقد تقدم نقاهما بمقدمة هذه الرحلة الانيسة فليرجع لهما من شاء الوقوف على الخبر اليقين

الفصل الثاني

في الكلام على هدايا الاكرام وشعائر الوداد والاحترام
اهدى جناب رئيس الجمهورية الفرنسية للحضرة العلية يوم زيارة فخامته سموها بسراية باردو المعمور مقطفا فضيا للزهور حجمه ضخيم ونقشه جميل وفخم وهذا المحمل الثمين النفيس كتب فوق قاعدته بالحرف الذهبي العبارة الآتية « من ارمان فليار رئيس الجمهورية الفرنسية لسمو سيدي محمد الناصر باي - تفكرة زيارته لتونس في افريل ١٩١١ »
كما اهدى فخامته لمقامها الملوكي عند مبارحته للميلا التونسية وسام الكمندور الاكبر من النيشان الزراعي
واهدى الجناب الملوكي لفخامة مسيو فليار عند تلقي زيارته بسراية باردو نيشان آل البيت الحسيني السني كما اهدى فخامته يوم - فرلا عائدا للديار الفرنسية سفرا جميلا مموها بالذهب الوهاج مطرز الحواشي ووشح الصفحات بمناظر ابنية ومعاهد ومعالم الحاضرة التونسية

وعند تمام زيارة فخامته ومبارحته لميلا بنزرت ارسل مقامه العالي
 لسمو الحضرة الملكية التلغراف الاتي نصه
 الى حضرة سيدى محمد الناصر باي - بتونس

في هذا الوقت الذي يارحت فيه ارض الايالة التونسية اعرب لحضرتكم
 العلية عن كامل امتناني من اجل الاكرام الذي تفضلتم به نحوي
 وشاركتكم فيه الامة مشاركة فائقة كما اعرب لسموكم عن الابهتاج الذي
 حصل لي بما شاهدت في القطر التونسي من الاتحاد والوفاق المبشر
 بالسعادة والعمران

الامضاء - فليار

واجاب المقام الملوكي عن تلك الرسالة البرقية بتلغراف نصه
 الى فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية بطولون
 ان زيارة فخامتكم ستبقى محفوظة بذهني الى ما شاء الله ورادي
 ان اكرر لكم عن تلك الزيارة عبارات الشكر في حق نفسي وبالنيابة
 عن الامة واتي لسعيد الحظ من كون فخامتكم شاهدت بالذات مقدار ما
 لبلادي من التعلق بفرنسا وهو تعلق مبناه اعتراف القطر بما لفرنسا عليه من
 مزية تحقيق سعادته وعمرانه

الامضاء - محمد الناصر باي

واصدر جناب المولى الوزير الاكبر بالدولة التونسية منشورا لكافة
 العمال يعرب فيه عن رضاه عما قاموا به من اظهار الاحتفال والاحتراف
 بفخامة الرئيس الكريم اثناء رحلته بالاموال وهذا نص المنشور بمد فاتحته

اما بعد فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية اعرب لجناب المقيم العام عن شدة التأثير الحسن الذي حصل مما شاهدته من . ظاهر الاخلاص والصدقة نحو الدولة الجمهورية الفرنسية ومما اظهره اهالي العمالة التونسية من الاعتناء والاحترام الذي تلقوا به فخامة الرئيس وقد رغب جناب المقيم العام في تعريفكم بذلك وعليه فبمجرد اتصالكم بهذا تبادرون بجمع خلفاوات ومشايخ واعيان ترابكم وتعرفونهم بما اظهره فخامة رئيس الجمهورية من الانبهاج التام بذلك كما نعرفكم ببناء الحضرة العلية على ١٠ وقع من جميعكم مما ذكر ودمتم بخير والسلام من الفقير الى ربه تعالى امير الامراء يوسف جمعت الوزير الاكبر وفقه الله

الفصل الثالث

في عطايا الكرام

احسن فخامة رئيس الجمهورية على جهات البر والفقراء بتونس عند	
مبارحته للحاضرة بخمسة الاف فرنك وقع توزيعها على الوجه الاتي	
المستشفى الفرنسي	فرنكات ١٠٠٠
المستشفى الصادقي	» ١٠٠٠
المستشفى الاسرائيلي	» ٥٠٠
المستشفى الطلياني	» ٥٠٠
الجمعية الخيرية الاسلامية	» ٥٠٠
الجمعية الخيرية الفرنسية	» ١٠٠٠

الجمعية الخيرية الاسرائيلية فرنكات ٢٥٠

مستشفى الابيت ٢٥٠

كما ان الكتابة العامة احسنت بتلك المناسبة لارامل فقراء المسلمين بالفين. ن
الفرنكات وزعتها عليهم توزيعا عادلا انطقهم بالشكر الجميل والثناء الجزيل
وكما ان فخامة الرئيس احسن بمبالغ اخرى للجمعيات الخيرات
والفقراء بالمدين الاتي يياتها

فلمدينة القيروان بمبلغ قدره فرنكات ١٠٠٠

ولمدينة سوسة بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة صفاقس بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة بنزرت بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة الكاف بفرنكات ٥٠٠

ولمدينة قابس بمثل ذلك ٥٠٠

الفصل الرابع

في مصاريف الرحلة الرئيسية

في الخامس عشر من جمادى الاخرة سنة ١٣٢٩ اصدرت الحضرة
العلية امرا في تخصيص المال اللازم لدفع المصاريف الناتجة عن زيارة
فخامة رئيس الجمهورية للمملكة التونسية وهذا نص محل الحاجة منه

الفصل الاول

زيادة على المبالغ المرسدة بالارائورخ في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢٨
وفي ٣١ ديسمبر ١٩١٠ يرسم لادارة الاشغال العامة تحت عنوان

• المصاريف الغير اعتيادية بميزانية سنة ١٩١١ « مبلغ قدره ماثنا الف فرنك وخمسون الف فرنك ويكون ترسيمه بالبواب ٧ من القسم الثاني من ميزان سنة ١٩١١ تحت الفصل ٢٩ المراد فتحه بعنوان (رحلة جناب رئيس الجمهورية الفرنسية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وكما اصدرت امرا ثانيا بعنوان ملحق للار المذكور في تاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٢٩ ونص - حل الحاجة - منه

(زيادة على المبالغ التي عينت يرسم لادارة الاشغال العامة مبلغ قدره ثمانية وثلاثون الف فرنك بعنوان سفر جناب رئيس الجمهورية الفرنسية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وزيادة على ذلك فان المجالس البلدية شاركت في مصاريف رحلة الضيف الكريم بالمبالغ الاتية

٥٠٠٠٠	فمدينة تونس اغدت لذلك . مبلغا قدره فرنكات
٢٠٠٠٠	ومدينة سوسة . مبلغا قدره
٢٠٠٠٠	ومدينة صفاقس مبلغا قدره ايضا
١٥٠٠٠	ومدينة بنزرت . مبلغا قدره
٥٠٠٠	ومدينة القيروان مبلغا قدره
٥٠٠٠	ومدينة قابس مثلها
٣٠٠٠	ومدينة الكاف . مبلغا قدره
٢٠٠٠	ومدينة قفصة . مبلغا قدره
٢٠٠٠	ومدينة مجاز الباب . مثلها
٢٠٠٠	ومدينة سوق الاربعاء مثلها

الفصل الخامس

في عرايض التهاني وقصايد المديح

كان في مقدمة المهنيين بمقدم فخامة رئيس الجمهورية جناب والي عموم الجزائر اذ ارسل لفخامته تلفرافا في التهنية بقدم جنابه العالي لزيارة المملكة التونسية اعرب فيه عن عظيم احترامه وعن تعلق المستعمرة الجزائرية بالدولة الجمهورية وختمه باستدعاء فخامته لزيارة البلاد الجزائرية وقد اجابه المقام الرئيسي متشكرا عن تلك الاحساسات وواعدة اياها بزيارة العمالة الجزائرية خلال هذا العام

اما المجالس البلدية بالمملكة التونسية فقد اجتمع اعضاء كل مجلس بلدي بمحل ادارته وقرروا باجماع الاصوات فرحهم واعربوا عن تهنيتهم لمقام الرئيس العظيم والضيف الكريم

كما كتب مجلس الجمعية الخلدونية في تقرير جاساته عبارة تشكراته وامتنانه وهنائه لفخامة مسيو فليار الذي احسن للجمعية بعطية قدرها الف فرنك على وجه التنشيط كما سبقت الاشارة لذلك بالباب الثاني من الرحلة وكما قدم اعيان الجزائريين والوهراسيين عريضة لجناب السفارة في الاعراب عن ولائهم واخلاصهم لفخامة رئيس الجمهورية

وقدمت الجمعية العلمية الفرنسية بسوسة عريضة هناء من قلم رئيسها كما قدمت فتيات قابس الفرنسية نظما حماسيا من قلم السيود برجون في تهنة فخامته وكما قدم نادي قربالية بلسان التلفراف تهنة لجنابه على طريق جناب الوزير المقيم وهذا نصها

ان النادي التونسي بقرنباية الذي يمثل اهالي هذا البلد وناحيته
يرجو منكم يا جناب الوزير ان تبلغوا فخامة رئيس الجمهورية عند حلوله
بالبلاد التونسية مراسم الترحيب المقررة بالاحترام ولما للتونسيين من
التشبث بحكومة الحماية فانهم بتحيتهم لفخامته لا يحيون رئيس الدولة
العظيم فقط بل ويحيون معه فرنسا ذات المبادئ الكريمة الخيرية التي
ملأت اشعتها العالم

الامضاء : ادارة النادي

ونشرت الجرائد العربية التونسية وفي مقدمتها الحاضرة والزهرة
والصواب ومرشد الامة والمشير عبارات الهناء لفخامة الرئيس مكتوبة بقلم
السرور ومشعرة بما حصل للبلاد التونسية من الفخر والعناء بزيارته
الكريمة

كما قدمت صحيفة « صباح » الاسرائيلية التي تطبع بالحاضرة
لفخامته قصيدة في التهئة والمديح من انشاء المويستي بنيني شمامه معلم
النقر على البيانو

هذا ما وصل لعلنا في هذا الباب نقلناه هنا اساما للفائدة وجمعاً
للطراف والشاردة

واما قصائد المديح التي قيلت في فخامة الرئيس فتذكر منها ما وقفنا
عليه بالجرائد تنويرها بشأن تلك الخرائد

فمن ذلك قصيدة انشاها الشاعر الكبير الشيخ محمد الحشايشي الشريف
متفقد الكتب بجامع الزيتونة قدمها لفخامة الممدوح على طريق الكتابة
العامة ونصها

رئيس القوم يصحبك السلام اضاء القطر وجهك يا همام
 ولما ان قدمت قدوم غيث لتونسنا وزان بك النظام
 تباشرت البلاد ومن عليها ونغر القطر راق له ابتسام
 ونادى البشر بشرى الناس طرا بفليير وتصحبه العظام
 تطلم بدر باريس بارض حمت اقطارها قوم فخام
 وشرفها فلنا بها افتخارا وامنا للبلاد فلا تضام
 الست رئيس جمهور الفرنسي وزورة ذاتك المعظمى اغتنام
 وسعد مقبل لا ريب فيه وعز ليس يخلقه الدوام
 وشمس تونس منها استارت وادبر عن معالمها الظلام
 فاهلا ثم سهلا ثم رجبا بيدر لا يفارقه التمام
 فيا فليير انت رئيس قوم لهم في العلم مرتبة تقام
 لهم تعزى المعارف كل يوم كما يمزى الى البحر الغمام
 ودمت مطوقا بنظام عز وبدر لا يفارقه الدوام
 وكما قدم ايضا لفخامته على الطريق المذكور الفاضل الاديب السيد
 علي الورداني احد كبار المترجمين بالدولة التونسية قصيدة هذا نصها
 قدوم سموكم للقطر فخر ويبقى للايالة منه ذكر
 ولا عجب اذا شرفتمونا وبان على الوجوه لديك بشر
 فان ودادنا للعرش منكم عليه قد انطوى قلب وصدر
 وتنجذب النفوس الى مثال له في الكون والارواح سر
 وهذا المبد قد ود اقترابا فقربه الى الاعتبار شعر
 ومعترف بمجز عن مديح لامتك الجليلة وهو فخر

فان الجمهورية لا يساوي مزاياها الجميلة منا شكر
 وامتك الفخيمة قد تعالت كثيرا والعاوم بها تقر
 وهاتيك الديار ديار امن وانصاف ونعم المستقر
 وكم نزل الغريب بها فالقى احسن الحظ ما يرجوا حر
 جمالها قد كسا الاقطار حسنا واهنها كالنجوم وانت بدر
 بهمتها استتب الامن فينا وزالت كل منقصة وذعر
 واصبحت البلاد تيه عجبا تشد لها الرحال وتشمخر
 وقد نال التمدن ساكنوها وزاد شعورهم وتعالى فكر
 وبالاصلاح قد كسبوا الرتياحا وحفظا للجسوم فطال عمر
 واصبح نسلهم ريان علما وخف الجهل عنهم واستقروا
 وكلمهم يدين بذاك شكرا وذاكر فضلكم في الناس غمر
 اما زال الشقاء ببعيد دار وحاكى قربهم في الحين نشر
 وسار الرتل يخترق الثنايا يقربها ولم يرتد شفر
 ونال نظام مال القطر عدلا وعين للمصالح وهي كثر
 وفاز العدل عما كان قبلا ونال الخصم ما يهوا فكر
 واسست المحاكم بانتظام فاذهب بيننا ظلم وجور
 وهل يخفى الضيا لدى صباح وبعد الجهل فينا بان فجر
 نعم ارجو الاعانة من علاكم لاجياء فان الموت فقر
 وليس المال إلا بعد جهد ومعرفة بها فوز وظفر
 وقد ماتت صنائعنا وارجو يعيد حياتها طلب وذكر
 وان تجري السياسة باشتراك يفوز بئله بدو وحضر

وتشترك المنافع بين كل وتحصل الفتة وينال خير
 ودونكم مقالا من ضعيف يقدم كالمديته وهو شعر
 يرجى ان يرى ثمرا نفيسا يفوز بنيله اهل وقطر
 وداست دولة الجمهور ترقى مراقبي العزلة ياتيها ضير
 وها انا قات غب الختم ارخ قدوم ريسنا فخير يقتر
 ٣١٠ ٨٨٠ ٥٧١ ١٥٠

سنة ١٩١١

وقدم الفاضل الاديب الشيخ صالح سويسي الشريف من بيوت
 المجد القيرواني قصيدة لفخامته يوم زيارته جنابه للقيروان وهذا نصها
 عظيم الناس من نفع العباد واسعد من فضائله البلاد
 واكبر في نفوس القوم طرا همام بالمعارف قد افاد
 فمن غرس المصالح نال خيرا واضحى في حياته لا يعادى
 وكم في الدهر من دول عظام بسر العدل قد بلغوا المراد
 وكم في الشورى من امر عظيم وفخر ما راينا له نفاذ
 بها كل الممالك راقيات ومن ايجادها سلكوا الرشاد
 لقد وافى (الرئيس) بكل خير الى قـطربـه غرس الوداد
 فاسفر باليسالة صبح عدل بها تهوى نفوس القوم جاد
 وحل (القيروان) بكل بشر واسلاما ر شاهد ما افاد
 ورحب اهلها بقدم شهم بسر العدل والاصـلاح ساد
 فيا اهل (الحماية) اتقذونا من الجهل الذي عم السواد

وانواع (الم ارف) عمومها . فداء الجبل فيلقه تماذى
ومن علم (الصنائع) نوروزا فقد الفت صنائعنا الكساد
واحمال (الضرائب) خففوها فان الفقرة د هلك العباد
لقد عرضت مطالبنا لذيكم واتم خير من رفع العماد
الستم من بني الاحرار حقا وكل منكم به الحق نادى
فخير المنصفين فتى ايلبي نداء مطالب القى القياد
وقدم الوجيه التاجر السيد : نداء علان لفخامته سفرا جيلا متقن الوضع
والطبع يحتوي على مناظر وموقع قابس ونخيلها ضمنه القسيده الاتية
لقد نال هذا السفر فخرا موبدا ونال احترامنا فائقا لن يحددا
بلثم يد المولى المعظم من غدا بأرائم صدرا وملجا وسيدا
يشار اليه بالبنان مهابة وقد مدت الدنيا لحضرته يدا
فقال بها (فليير) عزا ورفعته واضحى بها بين الملوك ممجدا
وقاد بها شعبا كريما الى العلى فعاش سعيدا ذلك الشعب واهتدا
فكل عظيم حين يلقي رئيسه يطاطى راسا ثم ينكب ساجدا
فتم ايها القطر العزيز بزورة تستموبها يا قطر مادمت سرمدا
الا وتيقن ان سعدك قد بدا بما سترامن مكارم ذي الندى
تقدم هذا السفر منا هدية ونرجو قبولا بالمسرات عائدا
ولا ريب عندي ان تمن به على عبيدك يا من طببت فرعا ومحمددا
فمش ايها المولى الرئيس مبجلا وعش ايها الشعب العزيز مؤبدا



﴿ ذيل ﴾

يحتوي على اسماء الذوات والاعيان التونسيين الذين امكنني الوقوف
على اسمائهم ممن احسن لهم فخامة رئيس الجمهورية بالنياشين والامتيازات
بمناسبة زيارته للعمالة التونسية

(الصنف الثالث من اللجئون دونور)

السيد محمد القروي رئيس الخزنة العامة

السيد مصطفى دقزلي عامل احواز الحاضرة

السيد احمد اللوثو عامل الجريد

(الصنف الرابع من اللجئون دونور)

السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بانوزارة الكبرى

السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة

السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى

السيد محمد الفوراتي مثله

المسيو فيتوسي مثله

السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي

السيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط

السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

السيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى

السيد مسعود بن العربي عامل ورغمة

(الصنف الاول من نشان العلوم)

السيد محمد العزيز الحيوني رئيس قسم الاشهاد بادارة الفلاحة والتجارة

• محمد الزعفراني رئيس قسم الاشهاد بادارة الاشغال العامة

الصنف الثاني من نشان العلوم

السيد محمد بومن رئيس المجلس الجنائي بمحكمة الوزارة

• العربي بن عبد الله رئيس الترجمة بالقسم الاول من الوزارة الكبرى

• عبد العزيز البكوش كاهية قسم الترجمة بالكتابة العامة

1 علي الورداني المترجم بالكتابة العامة

• محمد المقداد الورتاني نائب جمعية الاوقاف بالقيروان

• صالح سويسي من ادباء القيروان

• احمد المحمودي معلم بمدرسة المرسى

• احمد داود معلم بالمدرسة العالوية

• محمد عظوم العضو بجمعية الزرية بالقيروان

• الحكيم حسين بوحاجب طبيب بالمستشفى الصادقي

• علي ثامر عضو بالمجلس البلدي بتونس

• محمد علان تاجر يقابس

• حسن حسني عبد الوهاب رئيس قسم بادارة الغابة

• الهادي بن عمار وكيل الكتب بالمدرسة الخلدونية

• الهادي الصنادلي معلم بمدرسة الحدادين

• هارون صفار محتسب بجريدة الديش تونزيان

الصنف الثالث من نيشان اللياقة الزراعي

السيد محمد بن خليفة عامل الاعراض

الصنف الرابع من نيشان اللياقة الزراعي

السيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت

١ عبد الرحمن الزمام العضو بمجلس الشورى

٢ الحبيب بن رجب مثله

٣ عبد الله كاهية مترجم المراقبة المدنية بقابس

٤ علي بن القروي خليفة تربية يعمل صفاقس



✧ عبارة الختم ✧

هَذَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ جَهْدُ الْقَلِّ فِي تَدْوِينِ أَخْبَارِ هَذِهِ الرِّجْلَةِ الْعَاقِلَةِ
الَّتِي أَذِنَتْ بِتَحْرِيرِهَا مِنْ طَرَفِ الدَّوْلَةِ التُّونِسِيَّةِ وَقَدْ تَوَخَّيْتُ فِي كِتَابَتِهَا
الْإِعْتِدَالَ حَتَّى لَا يَمْلَ مِنْ قَرَأَتِهَا الْمُطَالَعُ . وَحَتَّى يَسْتَفِيدَ مِنْهَا النَّاضِرُ
وَالسَّامِعُ . وَاعْتَمَدْتُ فِي تَكْمِيلِ إِقَاصِهَا عَلَى فِطْنَةِ الْقَارِي . رَاجِيًا مِنْهُ الصَّفْحَ
عَمَّا عَسَى أَنْ يَجِدَ بِهَا مِنْ الْغَلَطِ الَّذِي سَتَبْدِدُ سَحَابَتُهُ بِطُلُوعِ نَجْمِهِ
السَّارِي . وَاللَّهُ الْمُسَوِّلُ أَنْ يَغْفِرَ زَلَّاتِ الْجَمِيعِ . وَأَنْ يُلْهِمَ الْكُلَّ لِمَا فِيهِ حَسَنُ
الصَّنِيعِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

